

دكتورة نعمات احمد فؤاد

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رحلة فى الزمان والمكان
بين مصر وأوربا

كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم

رحلة في الزمان والمكان
بين مصر وأوربا

بقلم: دكتورة نعمات احمد فؤاد

يصدر عن مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة

الغــلاف

بريشة الفنان

محمود مصطفى

● مقـــدمة :

الانســـــان .. والرحـــــلة

حين يعدد انسان ألوان الأدب فى الشرق أو الغرب ، قلما ينسى هذا اللون الشـــائق من ألوان الادب وهو أدب الرحلات .. انه مرغوب شائق .. وأكثر من هذا هام ونافع .. ما هى الحضارة ؟ **أليست رحلة كبيرة من العصر الحجـــرى الى العصر الحديث** . استطاع فيها الانسان من خلال التجربة والخطأ ، والضرورة بين المواجهة . والارتفاع فوق مقتضاياتها الى أفق مجرد يعنى الفن الخالص وترف الروح .. أن يصوغ الانسان دنياه ويعيد تشكيلها ، مرات ، مستعينا بعقله وغرائزه معا حتى استوت أمامه فى الصورة التى نعيشها اليوم ؟

الاديان رحلة من الارض الى السماء تبدأ بالواقعية وتنتهى بالمثالية فى عملية كشف للحجب الكثيفة التى رانت على العيون والعقول .. حتى اذا تقبلتها النفوس وتطهرت بها ، رفت وشفت واتخذتها معراجا الى أفق أعلى من التصرف والتصوف والسلوك .

وفى أثناء رحلته الكبيرة ، عرف الانسان الوانا اخرى من الرحلة لاغراض شـــتى .. فمارس الرحلة **للتجارة ، وللعلم ، ولتوثيق النص ، وللتمهيد للغزو** ...

ولكن حين تكون الرحلة بيضاء .. سـياحة فى داخل النفس وخارجها .. فى المكان والزمان .. فى عملية مقارنة طموح حساسة ، تكون الرحلة نبضا انسانيا خلاقا ودافئـــا بمشاعر الامل والالم والاشادة والنقد ، والتطلع والاستطلاع والاضافة والطموح ..

يغذى الرحلة شوق الانسان الى المجهول ، وطموحه الى كسب المال او العلم او المجد . وفى اثناء هذا تسهم الرحلة فى الحضـــارة بما تكشف من مجهول وما تفجر من اساطير .. اليس النشيد الثانى

فى الالياذة معرضا لاوصاف هوميروس لما زار من بلاد وجبال ووهاد ، وبحار وأنهار ؟ ..

تسهم الرحلة فى الحضارة بما توثق من علاقة بين الامم والافراد .. وهى بهذا مقياس حضارى بما تسجل من فروق المكان والزمان ..وقد تنبه الى هذا بعض الغزاة وقواد الحروب فحاولوا وحولوا غزواتهم أو نزواتهم من قسوة الغزوة ، وحماقة النزوة ، الى مكاسب حقيقية .. أى الى رحلة علمية بما جلبوه من وسائل الرصد والتسجيل .. وأنا ألمح هنا بالطبع ، الحملة الفرنسية على مصر ، ونابليون ، بل ألمح الاسكندر قبله مع الفارق ..

وقد عرفت مصر القديمة الرحلة حتى يذهب البعض الى أنها وصلت الى المكسيك .. ولكن الذى نستطيع أن نؤكده هو وصولها فى الالف الثالث ق.م . الى بلاد (بنت) وهى (الصومال) برا وبحرا فى عهد الملكة حتشبسوت التى عنيت بتسجيل هذه الرحلة بالنقش البارز فى الدير البحرى بالصعيد .

وكما عرفت مصر الرحلة ، قصدتها الرحلة والرحالون .. فجاءها هيرودوت ، وزارها افلاطون لتلقى العلم من كهنتها . وكتب عنها بلوتارك وبتلر ..

وفى العصر الوسيط وقف عندها الادريسى والهروى والنابلسى والبلوى ، وابن جبير ، وابن سعيد الاندلسى ، والورثيلانى والمسعودى ، وابن حوقل ، وابن خردادبة ، وناصر خسرو ، وابن فضل الله العمرى ، وابن بطوطة ، والبغدادى .. وقف هؤلاء جميعا عندها وقفات طويلة متفاوتة ..

اما فى العصر الحديث فقد شد نيل مصر ، الرحالة الغربيين ، جريا وراء معرفة المجهول من أمره ، وجنونا بكشف منابعه حتى أعلن Speke و Grant الى الدنيا المتشوفة سره . وهنا افردت الكتب عنه ، ولعل من أشهرها كتاب اميل لودفج Emil Ludwig بجزئيه والذى سماه : النيل ..

وفى عصرنا الحاضر ظاهرة ملحوظة وهى تعلق الكثيرين بالسفر والرحلة مع أننا من أشد الناس تعلقا بالارض والوطن حتى امتلأت أغانينا قديما وحديثا بالام الغربة .. وهى غالبا لا تتجاوز الحدود .. وقد تكون حدود المحافظة الواحدة أيضا .. فاذ ابمقتضيات العصر ومطامحه تغير الصورة تماما .. واذا باسفارنا تتعدى حدود القارة الافريقية وتجوب القارات الست .

ولعل أشهر الرحلات فى أدبنا الحديث سندباديات الدكتور حسين فوزى ، ورحلات عزام (الدكتور عبد الوهاب عزام) ورحلة الدكتور زكى مبارك وليلاه المريضــة فى العراق ، ورحلة الشرق والغرب للدكتور لويس عوض ورحلة بل رحلات الاندلس للاستاذ عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس والبرقوقى ، و (٢٠٠ يوم حول العالم) للاستاذ أنيس منصور ، و (رحلة الحجاز) لاديبنا ابراهيم عبد القادر المازنى ٠

وهناك رحلة من لون آخر ، يراها أناس قصــة ، ويراها آخرون ترجمة حياة ٠٠ انها (الايام) ٠٠ وهل الترجمة الذاتية الا رحلة داخل النفس حتى أن الدكتور أحمد أمين يسمى ترجمته (حياتى) ٠٠ والترجمات عادة تذهب فى النفس بعيدا حيث الالم جمرات ، والفرح رقصات ، والعمر بينهما شفق وراءه نهــار مكدود ، وأمامه ليل مجهول ٠٠٠ ومع هذا يضىء بالشعاع ، ويعيش على الامل ٠

وحين عمرت رحلات مصر القديمة بالحنين الى العودة ـ يجسمه (سنوحى) ، والفرحة بالاياب ، تتسم رحلات مصر الحديثة بالبعد والايغال فيه من حيث الزمان والمكان حتى لم تعد تسمى رحـــلات بل هجرات ٠٠ وللشباب المهاجر للعمـل المؤقت أو الطويل تكون الرحلات المكتوبة من خبرة معمقـــة ، بوصلة للمسافر الحائر ٠ والمغامر ، والمبهور ٠٠

وبعد ٠٠٠ فهذه رحلة فى الوادى من أقصى الشــمال الى أقصى الجنـــوب

فى النيل

فى البحر الابيض

فى الغرب

أما الشرق فله عندى وقفــة أخرى أدخـل فى باب الذكريات لا الرحلات ٠ فقد أقمت فى بعض أقطـــاره ، وحاضرت فى بعض جامعاته أكثر من عام دراسى ، ودرست بعض آدابه حتى الشعبية منها ٠

سياحة فى النفس والمكان والزمان وأمل أن تكـون رضا لهواة السفر ، وعشاق الاثر ، وأدب الرحلات ٠

دكتورة

نعمات أحمد فؤاد

القاهرة ١٩٧٦

□ فى أوروبـــــــا

الليل والبحر

٨/٧/٧٣

بدأت الرحلة ··· نحن الآن على ظهـر الباخرة الايطاليـــة « اسبريا » أى الامل ··· والحقيقة أن الباخرة ليست وحدها الامل ولكن الرحلة أيضا ، أمل ·· أن يخرج الانسان ويرى ويسمع ويعلم ويتعلم وينمو شعوريا ونفسيا وحضاريا شىء ممتع حقا ·

الساعة الواحدة بعد الظهر ·· جلسنا الى مائدة الغداء · بدأت الباخرة تتحرك ويجذبها البحر وتجذبنا الاسكندرية التى تعلقت بها عيوننا فى نظرة وداع فلم نر ما فى أطباقنا وان كنا أكلناه ···

□

٩/٧/٧٣

بيروت

وصلتها الباخرة فى التاسعة صباحا وأقلعت منهــا فى الحادية عشرة مساء فعملنا على أن نقضى اليوم فى بيروت ·

شاهدنا فيلم (كاباريه) · السينما تحت الارض وعلمت أن كثيرا من المرافق الجديدة فى المدينة تحت الارض · السينما بسيطة ·· لا تقارن فى الديكور والفخفخة بسينما مترو فى القاهرة أو الاسكندرية ولكنها مع هذا أكثر نظافة وأكثر احتراما للفن والمكان ··· السلطات تمنع دخول المأكولات بل المشروبات والناس يحترمون هذا ولا يفكر أحد فى مخالفة التعليمات سرا أو علنا · الفيلم فيه عرى وجنس وليل ومع هذا لم تخدش الأذن ،كلمـــة عارية أو ضحكة نابية من المتفرجين ·

لقد خرجنا مرة بعد خمس دقائق من عرض فيلم قصة الحى الغربى بسينما أوديون بالاسكندرية من الاصوات البذيئة والتعليقات الاشد بذاءة التى صكت أسماعنا ومشاعرنا تلك الليلة وسحبنا أولادنا بسرعة خارج السينما ونحن نعانى من الألم ما يشبه الغثيان ..

وفى بيروت أكثر من مقهى بل عشرات المقاهى الانيقة المتألقة الناعمة بالزهور كأنها نبت وسط حديقة كشجرة من أشجارها ... قد يعلل هذا بارتفاع أسعار الطلبات من ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع مستوى الرواد .. العميل أو الزبون وحده هو الذى يحكم ويكيف الامور ومن هنا توجد المنافسة فى الخدمة وما يقدم فيها ولكن تكبيل الحريات وتقييد الاستيراد وتحويل كثير من المرافق الى قطاع عام أى الى بطالة مقنعة ومرتبات ثابتة وماس كهرباء فى شهر يونيو من كل عام ، أو شلل وجمود عن التصرف وخوف المحاسبة والاتهام ... كل هذا هبط بل هوى بكل شىء فى مصر ...

وفى بيروت الوجوه نظراتها مستريحة ليس فيها أو وراءها شجن أو هم دفين كعيون جميلة تعيش فى جنة الدنيا لو علم أهلها وأنصفوا أنفسهم من أنفسهم قبل أن ينصفهم الناس .

تقول لى صديقة مصرية تعيش فى بيروت ، هنا فى الصباح تجدين رجل الشارع والعامل يقضم تفاحة ويشرب زجاجة لبن فى يده الأخرى ! وتحسرنا على عمال أوفر ذكاء وسماحة يكادون لا يعرفون اللبن بله التفاح فى أخصب وديان الدنيا .

هذا هو الوجه المشرق فى بيروت لأن حس التجارة والشطارة والكسب فيهم منذ بعيد أيام فينيقية .

اما الوجه الآخر من بيروت الذى تشقى به مصر وكتابها وصناعاتها فوجه بغيض كالح كوجه سارق النعمة أو قطاع الطرق ... ففى بيروت فئة موكلة بنهب القاهرة تسرق كتبها وتطبعها فى غير حياء أو اعتبار لعرف أو شرف أو مبدأ تعامل .. وتسرق صناعاتها ... وقد رأينا فى طرابلس بليبيا المعلبات الغذائية بنفس شعار (قها) مع استبدال الميم بالقاف لتصير (مها) وكأن الميم قاف سقطت نقطها هذا إذا أراد احد أن يقرأ ويدقق !! سقطة ضمير ..

وتسرق زبانية بيروت اقمشة القاهرة لتبيعها تحت أسماء أجنبية .. تسرق زبانية بيروت كل شىء فى غير مواربة وفى صفاقة ومع هذا تظل القاهرة هى القاهرة ... العاصمة المفكرة .. وبيروت المدينة التاجرة ...

ما اجمل أن يسافر الانسان على باخرة كبيرة (لا تهتز بعنف) ويخلف اعباءه كلها وراء ظهره ويلتقى مع كتبه وقلمه فى بسطة من الوقت ومتعة حقيقية ...

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة ... البحر امامه لا نهاية له ... الأمواج التى تفرقها الباخرة على الجانبين لها زفيف الريح ... الهواء يلف الانسان من الخارج والداخل وينفض عنه تراب العام كله ..

◇◇*◇*◇*◇*◇*◇*◇

معابد البعلبك

المعابد هناك فى البعلبك ، كان المراد أن تكون أكبر وأعظم من المعابد فى أثينا (الاكروبول) ولكن معابد بعلبك لم يستكمل بناؤها . واتحاد آثار الحرب والزلازل ووجود الانسان على المعبد أكثر من احتماله حتى أن الزائر الآن لا يرى الا بقايا تدل على ما كان عليه هذا الاثر العظيم . يحتوى المعبد على أعلى أعمدة فى العالم القديم .

وعلى بعد مسيرة ١٠ دقائق على الاقدام ، وبالتحديد فى مدينة زيباداني حيث « حجر الحبلى » وطوله ٦٩ قدما وارتفاعه ١٣ قدما وعرضه ١٦ قدما ويزن ما يقرب من ٢٫٠٠٠ طن . حجر الحبلى هو أكبر حجر بناء فى العـــالم ومعبد « جوبيتار » الذى يمتد على مساحة ١٥٧ × ٢٨٨ قدما وكانت مساحته أكثر من ضعف مساحة الـــ (Parthenon) فى أثينا ٦ فقط من الـ ٥٤ عمودا الاصلية ما زال قائما على ارتفاع ٧٥ قدما من البقايا الباقية كقيثارة كبيرة . والمكان المحصور بين المعبدين والساحة الرئيسية الفسيحة المزينة بـ ٢٤٠ تمثالا لآلهة الرومان تحسب كاحدى عجائب العالم . وعلى الرغم من كل محاولات الاباطرة الرومان ، لم يكتمل أبدا الاكروبول فى بعلبك .

◇*◇*◇*◇*◇*◇*◇*◇*

هنا يلاقى الانسان نفسه ·· يستطيع أن يحلم ولو بالميناء القادمة وبالشراء ··· شراء أى شىء حتى ولو لم يكن فى حاجة اليه ··· يكفى أن هذا الشىء يستطيع أن يعيد اليه صور الساعات الحلوة الهنية وما بالقليل هذا ·

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة وأمامه تلوح من بعيد باخرة أخرى تبدو لعينه صغيرة مهما كبر حجمها ··· ان القرب يجسم الاشياء كالمشاكل الا فى العبقرية فان مارك توين يقول ان العبقرى لا يكتشفه أصدقاؤه لانهم بحكم التصاقهم به ، لا يرونه رؤية واضحة ···

رائع حقا أن يسافر الانسان فى البحر وفيه من خلال الباخرة يزاول رياضته وينعم بالموسيقى والسينما والصحيفة والكتاب وسمر الاحباب ·

وفى السفر يتلاقى الناس من مختلف الجنسيات ويتحدثون ثم يتسامرون وبعدها يحيى بعضهم بعضا كلما رآه كأنه صديق قديم ·· والاطفال فى الرحلة من مختلف الجنسيات يلعبون معا ··· لم تعرف قلوبهم بعد ما يحكم عالم الكبار من عواطف شوكية مدببة ·

لا يمكن أن يحذف المرء الاثرة والغيرة من قاموس الانسان مادامت فيه مصالح متشابكة وعقائد متوازية يحتدم من أجلها الصراع على المستوى الفردى والدولى ، ولكن محاولات التوفيق كانت دائما تأخذ مكانا عندما تخلص النيات ، وتتسامح وتقوى الرغبة فى نبذ النزاع فى عملية جنوح الى السلم ·

□

٧٣/٧/١٠

(كريت)

الجزيرة جبلية ··· الخضرة فيها بقع صغيرة تشبه الحدائق الخاصة فى الفيللات ·· الجبال صخرية صارمة الوجه ، خشنة

الجانب ·· حق للقرآن الكريم أن يصف مصر بأنها جنات وعيون وزروع ومقام كريم ·

جزيرة كريت متواضعة فى كل شىء ··· فى الشواطىء ·· فى الشوارع ··· فى البيوت ··· فى المحال التجارية ··· جزيرة ·

أو لعلى أراها هكذا لانى صاحبة شاطىء سيدى عبد الرحمن ومطروح ···

أبرز ما فيها أشغال اليد حيث لا زراعة كثيفة ولا صناعة ··· الملابس شغلها رقيق جميل ولكن قماشها ضعيف كالشاش كم تكون قيمتها لو أن الشغل والنمنمة على لينوه مصرى ·

□

٧٣/٧/١١

حين يحلق الانسان فى الفضاء فى طائرة من علمه ، أو يمخر عباب الماء فى باخرة من صنعه ، يتيه ولو بينه وبين نفسه ويكاد يقول هاؤم اقرأوا (ابداعيا) ·· ولكنه اذا خرج فى شرفة باخرة، ولا أقول أطل من نافذة طائرة ، اذا خرج فى الليل أحس لليل رهبة لا تبددها أضواء المدينة ··· هنا الانسان وحده والليل ··· فاذا اجتمع عليه الليل والبحر ··· أفاق من غروره وشعر أنه ضعيف أمام الطبيعة وأنه صغير صغير · وأن الله كبير كبير · وأن باخرته أو طائرته لا تحفظها الا عناية الله ، وأن آلاته وموتوراته لا تغنى عنه شيئا اذا احترقت الطائرة أو ارتطمت الباخرة ·

فى الجو والبحر يغدو علم الانسان مجرد اجتهاد ، واختراعه وابداعه مجرد محاولة ، ويبقى الله وحده « العليم » ، « العزيز » ، « الجبار » ·

هذا الانسان ما أضعفه فى قوته ··· ما أصغره فى كبرته ··· ما أهونه اذا ملكه الغرور ·

يا رافع السماء وباسط الارض
يا زارع المرج وفتان الروض
يا مجرى السحاب وبواخر العباب
يا نور الفجر يا روح البحر
يا عطر الورد يا عبير الزهر
أنت أنت القوى
أنت أنت الله

وفى البر ، شاهدت فيلم (جحيم تحت البحر Posiden aventure يدور حول غرق باخرة ضخمة عالية الطوابق والشهرة حين

اعترضها جبل مائى بسبب زلزال فى منطقة كريت ·· وتدفقت المياه من النوافذ والابواب كالطوفان · وانكفأت الباخرة الشامخة وصار عاليها واطيها كما يقولون ··· وتفدت حيلة الربان ، وحارت بصيرة الانسان · وحين زاغ البصر ، وخم القدر تساقط الناس والاشياء ورأى الركاب الذين كانوا يرقصون ويشربون غافلين ، رأوا فزع القيامة ·· وصارعت الحياة ، الموت صراعا مريرا داميـــا عرف من خلاله الانسان ، المشاهد على الاقل ، أن البحر أقوى منه ، وأن جبل الماء بله الصخر أقوى منه ، وأن القوة الاكبر التى تهيمن على الكائنات يتلاشى أمامها فى ساعة الخطر علمه ببريقه وزخارفه فلا يعصمـه الا الايمان والرجاء ··

الايمان بالله

والرجاء فى الله

بقى أن أقول أن قس السفينة كان يعرف من المعلومات العلميـة عن الباخرة ما أتاح له أن ينقذ النفر القليل الذى سار وراءه · فرجل الدين الحقيقى لا يقتصر عمله على ترديد الثواب والعقـاب والجنة والنار ···

ان من الدين معايشة العصر بعلومه وانجازاته ··· وفى مصر القديمة كانت الكهانة لا تعنى وظيفة دينية ولكنها تعنى أسرار العلم وأعماقه البعيدة · ان الوظيفة وحدها بلا علم له قيمة ، حرفة ·· لا فن ·· وكم بين « حرفية » الوظيفة ، وسماوية الفنان ··

□

١١/٧/٧٣

سيراكوزا Siracooza

نزلنا من الباخرة لنجد الاتوبيس فى انتظارنا ··· أوتوبيس فاخر جدا بالنسبة لجزيرة صغيرة بل بالنسبة لمدينة ··· أوتوبيس به تليفزيون وعلى كل كرسى فتحة للهواء وعدة أزرار ككراسى الطائرة ·· ومثبت فى اللوحة الامامية ساعة كبيرة ··

زرنا الكاتدرائية وجدرانها كالعادة فى ايطاليا مملوءة بالتماثيل وسقوفها بالرسم والتلوين ·· بها قباب كالمساجد والكنائس فى مصر غير أن قبابها غطيت باللوحات الملونة بدلا من المقرنص ··

وفى الطريق الى المسرح الاغريقى الرومانى كان بعض شرفات المنازل من الحديد المطروق ذى الشكل الاسبانى · فالاسبان بعض من احتلوا الجزيرة يوما ، كما احتلها العرب ·

المسرح كبيرا جدا ، مدرجاته دوائر متسعة ··

هناك الجبل حدث فيه من مدة طويلة عدة انهيارات خلفت فجوات عالية ومنخفضة ، والارض هناك مستويات كثيرة ولكنهم بدلوا خوف الطبيعة ، أمنا بما زرعوه من ألوان الازهار والاشجار حتى غدا المكان حديقة أنيقة تستهوى العين بالتنوع والغرابة ·

الجزيرة بها شوارع ضيقة ولكنها بها الكثير من الشوارع الكبيرة المرصوفة الناعمة ذات المحال التجارية وبها سكة حديد ·

وكريت (اليونان) وسيراكوزا (ايطاليا) بل ايطاليا كلها فيها الكثير من أسلوبنا فى العيش وفى الحديث ، لا فى المدينة بل حتى فى الريف ·· عربات الفاكهة ، والميزان اليدوى ، والكفتان ، والنساء على عتبات الدور ينقين الارز ، والغسيل فى الشرفات بل أمام البيوت فى الطريق ، (فى سيراكوزا) ·

□

٧٣/٧/١٢

نابولى

فى التاسعة صباحا نزلنا نابولى ··· محطة المينا كبيرة فخمة ولكن الغريب أن ساعات الحائط بها ، جميعها معطلة ··· اننا نسرف كثيرا فى لوم أنفسنا ··· لو أن هذه الظاهرة فى ميناء مصرية لاكثرنا من اللوم وتبكيت النفس ·

البلد فيه ملامح من الاسكندرية ·· الاسعار فيه أرخص من سائر المدن الايطالية اذا استثنينا شارع روما وهو أكبر الشوارع وأحفلها بالمعروضات وأغلاها أسعارا ··· ولكن العالمين بايطاليا يقولون أن الشوارع الاخرى الاقل سعرا بضاعتها مغشوشة والبائعون يتلاعبون كثيرا ···

جلسنا فى الجاليرى المغرمة به المدن الايطالية · جلسنا على مقهى يقول صديق لنا فى صحبتنا أن به أجمل « كابتشينو » ··

عدنا الى الباخرة سريعا حيث أبحرت فى الساعة الواحدة ظهرا فى طريقها الى جنوه ···

□

١٣/٧/٧٣

جنـــوه

وصلنا فى التاســـعة صباحا وحجـزنا الاتوبيس الذاهب الى نيس بفرنسا .

جاء موعد الاتوبيس وركبنا وقطع بنا الريفييرا الايطالية وهى فى رأيى أجمل وأنظف مناطق ايطاليا .. ظل الاتوبيس يصعد بنا ويهبط ويدخل فى أنفاق ويخرج من أخرى ... مرة نعلو كثيرا على سطح البحر ومرة نحاذى الشاطىء والطريق يشق بين جبـال كثيرة . كانت بلا شك موحشة قبل أن يؤنسها الزهر والشجر والانسان الذى تصعد بيوته السفوح فى طموح الى القمة ...

كان المطر يتساقط ثم يكف لتطلع الشمس ثم يعود الغمام . ويلف السحاب الجبال وفى جميع الحالات يبدو المنظر غريبـا لنا نحن أبناء الســهل والوادى لولا أننا رأينا هذا فى زيارتنا الاولى لاوربا .

☐

نيس

مدينة (نيس) على شاطىء البحر المتوســط مقسمة الى ثلاثة أقســـام :

المدينة الجديدة .. المدينة القديمة والميناء .. والى الشـمال المدينة الجديدة بمسارحها وفنادقها و (كازينواتها) و (فيللاتها) . وشرق المدينة القديمة به الوسط التجارى والميناء .

وبنيس كاتيدرائية ومتحف ومكتبة وأثر لـ (غاريبالدى) الذى ولد فى نيس سنة ١٨٠٧ .

ونيس أسست منذ ٢٠٠٠ سنة على يد يونان مارسيليا . وعندما سيطر اليونان على المناطق المجاورة ، وبنوا (نيس) أطلقوا عليها اسم (نيس) نسبة الى الكلمة اليونانية نيك (Nike) بمعنى (النصر) .

وبعد ذلك وقعت المدينة تحت الحكمين الرومانى والتركى .. وفى القرون التالية حكمت من البروفنس Provance وسافوى Savoy .

واهم صادرات نيس هو زيت الزيتون والصابون ، والبارفان ، الجلود ، الاثاث ومنتجات أخرى .

ونيس عاصمة Câtesur الفرنسية .

عن دائرة المعارف الامريكية

حوار طويل بين الانســـان والجبل

● سان ريمو

وصلنا سان ريمون فى الرابعة مساء ٠٠

سان ريمون مدينة جميلة نظيفـــة فى حضن البحر ٠٠ هواؤها رائق وشوارعها نظيفة ولو أنها صاخبة مزدحمة ٠ وهى كسائر مدن الشواطىء ، الشوارع فيها اما صاعدة واما منحدرة ٠٠ ومراجيح الاطفال بها تساير العصر فلم تعد مراكب الاطفال الحصان والوزة بل العربات بأنواعها والسيارات بماركاتها وسفينة الفضاء والدبابة الخ ٠٠٠ وأثناء الدوران تتدلى من السقف لعبة تدنو وتبعد وكأنها تعابثهم فيحاولون التقاطها وهى تحاورهم حتى يتمكن طفل طويل نوعا من الامساك بها ويضحك الاطفال مسرورين ٠

اهم من هذا كله كيف أحال الانسان الاوربى العائق الى ميزة ؟ كيف تغلب على الجبال الرهيبة ؟ كيف تودد الى طبيعة أرضــــه القاسية حتى لان الصخر وأربى ؟ ان القرى الجميلة والمدن الحالية التى مررنا عليها كان يمكن أن تكون قفرا لا ظل فيها ولا نبض ولكن الانسان الاوربى لم ييأس من الجبل ٠ وبدلا من أن ينشىء فى ظله مدينة أنشأ مدنا ٠ فقد قسم السفح مدرجات وهضابا فبدت المدن والكبارى والبيوت طوابق يعلو بعضها بعضا ٠٠٠ المدن هنا رأسية لندرة الارض المنبسطة السهلة ٠٠٠ الصعب غدا ميزة وأســـلوبا وطابعا بعد أن يسره الانسان وأخضعه لارادته ٠

وسعينا الى الشــاطىء فى سان ريمون فاذا بالبحر كابى اللون أو ترابى اللون ولكنه يعج باليخوت والزوارق والشاليهات والسيارات والناس والاطفال ٠٠٠

واحسست بقلبى يعصر عصرا على جنـــات اللازورد وشواطىء الفيروز الممتد من الاسكندرية الى السلوم دون أن تمتد اليها يد ٠ وما بها حاجة الى جهد الانسان المصرى ولكن الانسان المصرى فى أشد الحاجة الى الانتفاع بهـــا ٠٠٠ كيف لا تعمر شواطئنا التى لا نظير لها ولا ضريب ؟

أين شاطىء النخيل فى العريش ؟

البلاد التى تبهرنا قصارى ما تملكه شريط من البحر الابيض محدود المساحة ومصرنا تملك شاطئا مترامىا فى البحر الابيض وآخر فى البحر الاحمر ثم ننام عن هذه الكنوز كما نمنا عن غابات جبل علبة .

ليتهم يرسلون المحافظين فى بعثة الى هنا ليروا ويعلموا كيف تخلق المدن وتوفر فيها الحياة السهلة المريحة بالنظام والنظافة والترفيه ... كيف تنتشر المطاعم الانيقة والحدائق الجميلة والنافورات والتماثيل والميادين .. كيف تطل الزهور من النوافذ والشرفات ... كيف تتنفس المدن هنا وتجمل بالزروع والزهور ولا تذبح الخضرة فيها بدعوة البناء والاسكان وفى الصحراوات متسع لهما .

لابد لنا من حرية كبيرة تطلق سراح الافكار لتبدع ، وسراح الارادة لتنفذ ، سراح العمل والمنافسة لتتبارى الطاقات .. حرية آمنة وأمن لا تتهدده قيود ...

□

فرنسا — ايطاليا

فى طريقنا الى فرنسا لاحظت أن رعايا الدولتين يدخلون ويخرجون بالبطاقات فقط ... مسألة جوار ومصالح يفعلون هذا فى هدوء دون مانشيتات عريضة فى الصحف تعلن البشرى ، ودون قصائد طويلة من الشعر تتغنى بالاخوة والوحدة .

ان السفر بالبطاقات أمر طبيعى جدا عند غيرنا بلا زفة أو ميكروفون .

□

٧٣/٧/١٤

نيس

أخذنا الاتوبيس فى تمام العاشرة صباحا من « سان ريمو » متجهين الى نيس بفرنسا وبعد ساعتين تقريبا وصلنا الحدود ما بين ايطاليا وفرنسا أى نهاية الريفييرا الايطالية وبداية الريفييرا الفرنسية .. كان المطر يهطل ولكنه لم يمنع الناس من سيرهم السير المعتاد بدون هرولة أو تلفت للاحتماء بالسقوف .. بعضهم كان يحمل مظلة ولكن الوجوه ساكنة ..

عند الحدود استوقف ، السيارة ، الجمرك ·· وصعد رجل الجمرك وعندما قدمنا له جوازات سفرنا سأل سؤالا خفيفا عن وجهتنا ثم أرسل الجوازات للتأشير عليها في مكتب الجمرك على جانب الطريق · وكذلك فعل رجل البوليس ·

بدأت السيارة تستير بنا في الريفييرا الفرنسية فتضاءلت أو اهتزت على الاقل صورة الريفييرا الايطالية ··· هنا ريفييرا أخرى أجمل واغنى وأزهى واشد نظافة وأكثر أناقة ··· هنا قصور وعمارات شاهقة على الشاطىء ، وقصور وناطحات سحاب على السفوح وفي أعلى القمم ··· حتى البحر أصفى لونا والشاطىء أخضر به زروع وملاعب وحمامات خاصة وجراجات سيارات ويخوت ··· هنا دنيا أخرى ··· الشوارع النظيفة المترفة بالزهور والشجر والاسوار وما وراءها من حدائق وفيللات جميلة ، بدت في هذا الصباح أكثر شفافية بعد أن غسلها المطر وترك حباته على أوراق الشجر لتلمع في ضوء الشمس وتسيل من الرقة مع رفيف النسمة النشوانة من الهواء والصفاء والنعيم البادي في المكان كله ·

لقد حضر الشرق القديم ، السهول والوديان ، وحضر الغرب الحديث ، الجبل ·

هنا حوار طويل بين الانسان والجبل ·· كانت هنا معركة عنيفة انتصر فيها عقل الانسان وارادته معا ··· أنفاق اسطوانية وشوارع تحتية وفوقية والكبارى في كل مكان من الجبل ·· أعلاه وتحته ·· على رأسه وعند قدميه ··· على صدره وفي جوفه ··· كان الحوار دائما ينتهي بانتصار الانسان ·· فاذا حدث ووصل مرة ، الجدل مع الجبل الى طريق مسدود لم يكن الانسان يضيع وقتا بل يفتت الصخر وينفذ من خلاله ·· ان بعض الأنفاق بدون طلاء كأنها تروى القصة كاملة ··· انها تقول هنا كان يقف الجبل متعنتا ولكن الانسان كان أقوى منه ··· أقوى منه صلابة ، وأقوى منه صبرا ، وأقوى منه ارادة ، وأمضى منه ذكاء وأملا ··· اللهم الا بعض أماكن قليلة يقف فيها الجبل ، بعد أن أفسح للانسان طريقا ، يقف مديب الصخور كأنياب حادة ··· أنياب زرقاء خبيثة ··· ولكنها بصورتها هذه تعمق معنى انتصار الانسان وتزيد الجمال في المواضع الأخرى جمالا وراحة حين يتخيل الانسان أن هذا الجمال كله كان في الاصل صخرا وجبلا !!

استطاع الغرب أن ييسر الحياة فكل شيء فيه مبذول رخيص اذا قيس بمستوى الدخل ··· أغلى ما في الغرب ، اليوم ، الانسان ···

اليد العاملة غالية وما ارخصها فى الشرق سواء فى مصر أو الهند أو الصين لقلة المال وكثرة العيال والجهل بموارد الثروة الطبيعية ووسائل استغلالها ... ولو انتشر التعليم الصحيح والديمقراطية السليمة لتدفق الخير فى ربوعنا وقطعت أوطاننا أشواطا بعيدة على طريق التقدم والمدنية الحديثة بطاقاتها المدفونة والمعطلة والمجمدة ، وبالحس الحضارى اذا تهيأ لنا الانطلاق بلا تعويق أو تثبيط . وقد لاحت تباشير الفجر .

□

٧٣/٧/١٥

يوم حافل فى (نيس) Nice اليوم (الاثنين) بداية الاوكازيونات فى كثير من المحلات ... خرجنا للفرجة .. رأيت فى الطريق محطة انتظار الاتوبيس ... محطة جميلة رائعة من الزجاج والنحاس الاصفر ... مظهر من مظاهر احترام الانسان .

ثم أفضى بنا الطريق الى Supre marché .. ودخلنا لنختار غذاءنا ورأينا عجبا ... المحل مساحته نحو فدان وبه كل ما يخطر على البال ... اللحوم بأنواعها والاسماك بأنواعها ... والطيور والخضر والفاكهة والحلوى والمعلبات والمشروبات الخ .... لكل شىء قسمان طويلان مطهوا وغير مطهو ... وفى الحالتين تمت التعبئة على مختلف الاحجام والمقادير فى أطباق وعلب ، الوجه الاعلى منها نايلون أبيض شفاف كشف عنها بوضوح دون أن يعرضها للتلوث أو اللمس . أما الحجم والوزن فقد روعى فى الاعداد والتغليف أن تتناسب مع حاجة الفرد الواحد ، أو شخصين معا أو أسرة صغيرة أو كبيرة مثلا الاطباق منها طبق سعته قطعتان فقط من السمك أو اللحم أو الدجاج أو ثمار الخوخ الخ ... الكوكاكولا منها زجاجات صغيرة ومنها زجاجات كبيرة كزجاجات الماء ومنها علب تفتح بالضغط ... الخضر تم تنظيفها قبل التغليف فى أكياس من الخيط (شبكة) وفى حالة الطعام الساخن أو المشوى يوضع فى أكياس خاصة من الورق المفضض يحتفظ بحرارتها وبعده فى أكياس ورق جميلة .

وعند الدفع هناك مساطر خاصة فاصلة توضع حاجزا بعد تفريغ مشتريات العميل على المنضدة الطويلة حتى لا تختلط أشياء الناس . وورقة الحساب فيها التفاصيل وفيها المجموع الكلى بل فيها بيان النقود التى دفعتها ، مطروحا منها على الآلة الحاسبة

طبعا ، المجموع الكلى والباقى لك توفيرا للوقت وللاطمئنان الكامل ... مظهر آخر من مظاهر احترام الانسان ... المشترى والبائع ... كل شىء محسوب .

وما رأيناه على ضخامته ونظافته صورة مصغرة جدا مما رأيناه فيما بعد فى طريقنا الى (كان) هناك سوق يقال له (تروامبل) Trois mille اى ثلاثة آلاف له محطة خاصة به فى طريق أوتوبيس Nouvoutelle ... وعربات اليد صف طوله كيلو ولها باب يسحب منه الزبون عربة ويدخل من الباب الخاص وبعد الشراء يخرج من باب آخر وهذا السوق به ما يخطر على البال وما لا يخطر على البال أيضا من لوازم الحياة ما يؤكل وما يلبس ... انه بالاختصار مدينة داخل مدينة .

وفى جولة المساء لاحظنا فى الاماكن المزدحمة من وسط المدينة حديقة غناء على أعمدة .. هكذا تبدو من بعيد فاذا اقترب منها السائر عرف أنها دوران جراجات السيارات تعلوها حديقة دائرية ينبت منها فى الوسط أعمدة مرة أخرى تحمل دورا رابعا عبارة عن حلقة سباق !!

ما أكثر الحدائق فى المدن الفرنسية .. أكثر من حديقة واثنتين فى الشارع الواحد ونحن نستكثر على القاهرة ذات الملايين الثمانية، حديقة الازبكية بعد أن وأدنا جزيرتى الروضة والزمالك وحولناهما الى حيين سكنيين !! ..

وخرجنا الى البحر .. أقصد الى الشاطىء .. ان شاطىء نيس ممتد كشاطىء الاسكندرية وتطل عليه المبانى الفخمة والعمارات الشاهقة قديمة وحديثة بل تطل عليه الاوبرا .. أوبرا نيس فلكل مدينة فى أوربا ، على ما يبدو ، أوبرا خاصة .. ولا يقتصر الامر على العاصمة كما هو الحال عندنا ، وليت الاوبرا الوحيدة عندنا عاشت بل التهمتها هى الاخرى ، النار .

نعود الى شاطىء نيس .. انه من أوله الى آخره مفروش بالحصى والزلط الصغير .. لقد تحدوا قسوة الطبيعة بالزرع فى معظم الجهات ولكنهم لم يستطيعوا فى هذا الجزء فهو مصيف المدينة هنا بطل الطلاء .. وتذكرت الرمال البيضاء المخملية فى شاطىء سيدى عبد الرحمن ومطروح .. الرمال الملساء التى يحلو للاقدام أن تغوص فيها مرتاحة الى بردها ونعومتها .. ان الانسان فى مصايفنا يغرق فى البر لافى البحر ومع هذا كله لاتحظى مصايفنا



شاطىء نيس ممتد كشاطىء الاسكندرية

او كنوزنا بمعشار ما يحظى به الصخر والحجر عند غيرنا ·· ولكنى متفائلة ·· لقد كانت فرنسا وسائر البلاد المتقدمة ·· كلها كانت يوما تعانى من سوء الحال مرة ومن الفقر مرة ومن الاستعمار مرة ومن التخلف يوما ·· ان فرنسا التى تعتبر من اسبق البلاد الاوربية الى المدنية كانت منذ الفى سنة فقط تسكنها قبائل الجلواز الصيادين !! اى بعد أن كانت مصر قد قطعت من عمر حضارتها المعروفة تاريخيا خمسة آلاف سنة وسبقها بالطبع عشرات الآلاف من السنين فى عملية تحضير وسعى حضارى مستمر !! لهذا اقول ان الذى يبهرنا من أوربا اليوم يجب الا يفقدنا ثقتنا بانفسنا بالتخلف بل على العكس يجب أن يدفعنا الى النهوض ايمانا بالممكن وايمانا بالعمل وايمانا بالعلم وايمانا بالمحاولة والطموح والاجتهاد ··

وتأكيدا لهذا حاولنا أن نبحث عن الوجه الآخر من المدينة ·· عن الاحياء الشعبية ·· عن الاماكن التى لم تنفض عنها الغبار بعد ·· ووجدناها كثيرة ··

فى (نيس) الجميلة الانيقة المترفة حارات ضيقة ، ومنها حارة اليهود ، وبيوت متواضعة بائسة متآكلة يطحنها البلى ٠٠ وعلى الأرض مخلفات من أنواع شتى ولكنها مع التفاوت الواسع ليست بهـا أصوات عالية أو شتائم عارية ، أو اشارات نابية تصـك العين والسمع ٠٠ ليس بها حفاة أو ثياب رثة مهلهلة ٠٠ لقد رأيت بهـا عجوزا تطلب احسانا ولكنها كانت تلبس ما يسترها ولا تلحف فى السؤال ٠٠ وأخرى تبيع نوعا من النبات فى عرض محتشم دون أن تذكر شيئا عن فوائده أو عن آخر وجبة تناولتها أو عن عـدد من تعولهم أو أوصاف الزمان وأحواله ٠٠

ان الفرق بيننا وبينهم أنهم يعملون ويعالجون وجـوه النقص حتى رجحت كفة المزايا على كفة السيئات وخاصة فى الحياة المادية أما نحن فلا نزال نهوى الكلام والخطابيات والمانشتات والوعـود والاحـلام ٠

❁❁*❁*

بلاد لا تقف للمـــدير
.. وانمـــا تحترم الانســـان

٧٣/٧/١٧

جــراس Grasse (١)

احدى ضواحى نيس . دعا اكبر مصانع العطور زوجى ودعيت معه .. لفت نظرى فى الطريق الجميل مكان علقت فيه لافتة كبيرة كتب عليها (رسم المرور) . ليس فيها شرطى بل تصير اشارة المرور حمراء وهناك تجويف معين اذا وُضع فيه راكب السيارة قرشا ، صارت الاشارة خضراء ويواصل السير .. كل شىء يتم فى هدوء واتفاق وتفاهم راض .

وهناك فى المصنع عدد من الباحثين والموظفين والعمال ولا يسمع الانسان اقل صوت كأن ليس به أحد !

ولم تر عيناى بالمصنع الكبير الذى له فروع وراء البحار حجابا أو سعاة .. وهو على ضخامته وأهميته به عدد محدود جداً من العاملين كل معمل به من الباحثين اثنان أو واحـــد .. كل عنبر

❖✱❖✱❖✱❖✱❖✱❖✱

(١) تتربع مدينة (جراس) على التلال المشرفة على (كان) وهى مركز صناعة العطور ، تحيط بها حقول متسعة تزرع بها الازهار الشذية مثل : البنفسج ، والورد ، والياسمين ، والزنبق ، والميموزا ، وازهار البرتقال ، وفقا لفصول السنة . وتحتاج الزجاجة الصغيرة من العطر الفرنسى الرقيق الى آلاف من تلك الازهار . أما الازهار المدهوكة فتخلط بالـدهن فى أوعية كبيرة ويصنع منها الصـــابون المعطر . فلا غرو أن العطر الفرنسى والصابون الفرنسى غاليا الثمن لانهما يحتاجان الى عمل شاق ووقت طويل فى اعدادهما .

وتفخر (جراس) بأنها مسقط رأس الفنان الشهير « جان أونوبيه فراجوتار » Jean Honopé Fragonard الذى ولد بها بهام ١٧٣٢ .

من كتاب (فرنسا .. شعبها وأرضها)
تأليف : ليليان ج. براجدون

❖✱❖✱❖✱❖✱❖✱❖✱

آلات به أربعة على الاكثر ·· ولو كان هذا المصنع عندنا لغص بالآلاف المتزايدة كل عام مع موسم القوى العاملة ·· هناك كل انسان له عمل يكفى طاقته ويزيد ولهذا يعمل بدون رقابة وبلاتزويغ وبلا افتعال أعذار لأن وراءه شيئا يشده وعليه أن ينجزه ·· ليست هناك بطالة أو بطانة ولهذا لا يضيع على الدولة أو الامة ، وقت أو مال ·

وطاف بنا المدير ، وهو من المرموقين هناك ، على المعامل وأماكن الآلات المختلفة شارحا المراحل الكثيرة للتقطير ·· وعندما نمر على باحثين أو موظفين أو عمال كان أشد ما لفت نظرى بل أدار رأسى ان أحدا من هؤلاء لم يهب واقفا عندما يدخل المدير ·· لم يقفز احد أو تنخلع يده فى ضرب السلام ·· كل انسان منصرف الى عمله كان المدير لم يكن ·· هناك المدير لا يفتعل أحد تحيته أو تشجيع ناديه أو تدبيج نشرة طويلة فى الصحف تعزية فى بنت خالة زوجة ابيه أو تهنئة بشفاء كلبه من وعكة البرد التى ألمت به ·

الذى حدث أن المدير كان هو الذى يحيى الشخص القادر على شرح العمل فى مكانه فيرد التحية فى اقتصاد ·· ولمست يدى سرا كبيرا من أسرار تقدمهم ·· هناك يعمل الانسان بلا عقد أو خوف قاتل أو زيف واحترام مصطنع ونفاق رخيص وتأليه كافر بما يقول وألقاب بلهاء مخبولة يخلعها كل واحد على كل واحد كأن الكلام يستطيع أن يرفع خاملا ، أو يشفع للحقيقة المرة · لهذا فقدت الكلمة الشريفة عندنا مدلولها عندما تداخلت معها الكلمة المحترفة ثم ضاعت الكلمات ·· جميعها ضاعت ·· وضاعت الايام ·· سرقت واحترقت ولم تخلف وراءها غير رماد ولوعشناها للأناها عملا واملا وعلما وصناعة وفنا وحياة ··

ومع هذا كله نستطيع أن نبدأ من جديد ·· نبدأ على مستوى أمة بدلا من أن يحاول أفراد منا أن يبدأوا فى بلاد أخرى وحدهم · وقد اثبتت التجربة أن معظمهم ينجحون ويتألقون وهم انفسهم كانوا بيننا مطحونين يقهرهم الغبن والتجمد والاهدار وضيق الحركة ·

اذن المسألة لكى ننهض مسألة اتاحة الفرص واحترام الكفاية وتقدير العمل الجاد والثقة بالانسان ·· الانسان المصرى عنده الكثير ليعطيه ·· عنده كنوز من الطيبة والذكاء والاخلاص والصبر والجلد والاجادة لو وجد بيئة مسعدة ·· فلا تلجئوه الى أن يبحث عنها خارج مصر ·· حرام ·

مرة أخرى فى هذا اليوم خرجنا ولكن فى التاسعة مساء لنرسل تلغرافا الى شركة الادرياتيكا الايطالية .. كانت المحلات مغلقة أبوابها فقط ولكن واجهاتها الزجاجية كما هى بمعروضاتها بل أكثر من هذا كانت مضيئة من الداخل وأى محاولة بسيطة تستطيع تحطيمها أو نهب ما بها وهو قوى الاغراء . ولم نر فى الشوارع رجل بوليس واحدا . ما دلالة هذا الا افتراض الامانة والثقة الكاملة!

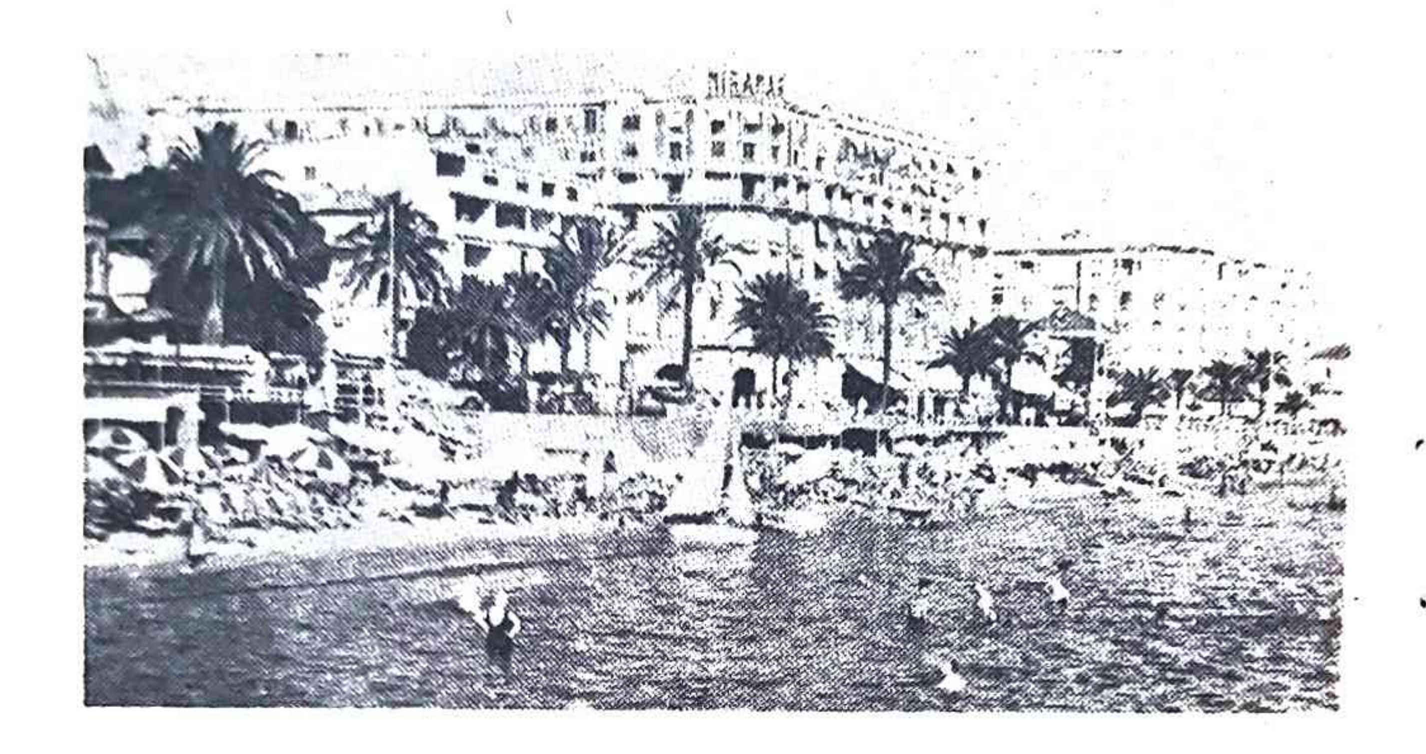
وأكبر من هذا ما يجرى فى مكتب البريد .. هناك يتم كل شيء فى جو من الثقة فلا ايصالات عن المكالمات ولا رقابة على المكالمات المطلوبة بل يتم الحساب عنها وفقا لعداد يحسب المدة ، بذمة .

ان الناس هناك يقفون فى اشارات المرور حتى ولو لم تكن هناك سيارات .. مجرد احترام الاشارة المغلقة فلا يتحرك انسان الا اذا فتحت .

ثم هناك الزى الموحد اذا استثنينا الهيبز ، فلا يمكن أن ترى العين مثلا بيجاما فى الشارع . ولكن الذى لا تخطئه العين فى الوقت نفسه ، أسى الشيخوخة ووحدتها القاتلة .. عند عودتنا من مكتب البريد رأيت عجائز من السيدات والرجال يسيرون فى الطريق أو يمتطون دراجات ووجوههم صماء ممتصة ليس فيها بريق .. أن يكافح الانسان فى هذه السن المرتفعة قسوة .. متى يستريح وأين رعاية الابناء ومتى يردون الحنان والبذل ؟ نحمد الله مازالت الاسرة عندنا بخير .. لم يتهرأ الرباط العائلى كما حدث فى أوربا .. ويبدو لى أنهم فى قرارة نفوسهم تعساء بجفاف العاطفة حتى بدأت تظهر فى المدن الاوربية الكبيرة كباريس جمعيات لتخفيف شقاء الانسان . بعض الذين يترددون عليها لا مطلب لهم الا الاستماع اليهم .. مجرد أن يجد الواحد منهم انسانا يصغى اليه وينفض نفسه عنده !! قالت لى سائحة امريكية كانت ضمن الفوج السياحى الزائر لاسبانيا :

— لا أكتمك ان السيارة كلهـــا لا انا فحسب نغبط اسرتك فانتم طوال الرحلة (أسرة) تأكل معا وتخرج معا وتتضام .. اننا ننظر اليكم الوقت كله .. وعندما أراحت ابنتك رأسها على كتفك لتنـام فى السيارة كان منظرا رائعا يهزنى ..

ولم أكن أنا أشعر بالغرابة التى شدت انظارهم لاننا فى مصر وفى الشرق تنعم بجو الاسرة حين حرموا منه .



شاطىء « كان »

١٩٧٣/٧/١٨

ذهبنا الى « كان » مدينة السينما ومهرجاناتها العالمية واحد المصايف الشهيرة لاصحاب المال والاعمال من جميع انحاء العالم .. مدينة جميلة غنية أسعارها جعونية لا يطيقها الا وارث أو مليونير ، أو نجوم السينما . هذه « كان » التى نزل نابليون قريبا منها عندما فر من منفاه فى جزيرة « البا » والتى تقع على مقربة منها « مونت كارلو » فى امارة « موناكو » حيث يتجمع هواة القمار فى « الكازينو » الشهير .

ابنتى همست فى أذنى .. انى احببت « نيس » أكثر . احس أن «كان» مدينة متعالية لا تتودد الى زائرها بل تتحدث اليه بطرف لسانها وتسلم بطرف يدها .. ان سلمت .. معروضاتها لا تبهرنى ما دامت ليست لى وانما تبهرنى زهورها .. الطبيعة أم الانسان فى كل مكان ..

انصرفنا عن المدينة وكاننا نرد على تعاليها بتعال واتجهنا الى البحـــر ..

طبعا ما يهمنا منها هو الشاطىء .. الشاطىء هناك رملى فى بعض اجزائه .. صخرى فى اجزاء أخرى .. ولكنه على امتداده مرصوف مما يلى الشماسى كانه شارع خاص به وبعده حديقة .. حدائق جميلة .. اشجارها وارفة .. وقد نثرت فيــه الكراسى

والارائك للجلوس عليها بين الزرع والبحر فاذا قطع الانسان الحديقة فى مكانه وسار فى الشارع الكبير فعلى طول الطريق أحواض الزهور الفاتنة الالوان حتى كأن رصيف الشارع ومنتصفه حوض كبير متصل من الزهور .. حتى لقد حسب أطفالنا أنها مدينة الزهور الفرنسية .

□

١٩/٧/٧٣

نيس - برشلونة

غادرنا نيس فى قطار التاسعة صباحا .. وصلنا مرسيليا فى الثانية بعد الظهر ومنها أخذنا قطارا آخر الى الحدود الفرنسية الاسبانية عند Portbou وصلنا فى الخامسة والثلث بعد الظهر وهناك فى قاعة مكتب البوليس الفرنسى على يمين الداخل .. وفى مواجهته عند الطرف الآخر من القاعة ، البوليس الاسبانى . أشر الفرنسيون على جوازاتنا بالخروج وأشر الاسبانيون بعد بضعة أمتار على جوازاتنا بالدخول .. ووقفنا على المنضدة الحاجزة Counter أمام الجمرك الاسبانى للتفتيش فقد سبقنا شاب فتشوا حقيبة ملابسه قطعة قطعة ولكننا عندما جاء دورنا سألنا ضابط الجمرك عن بلدنا فقلنا مصر Egypte فابتسم ابتسامة مرحبة وعلم الحقائب دون أن يمسها .. وجرينا نلحق القطار واذا بنا نكتشف بعد سيره أنه قطار (قشاش) ما أن بدأ يتحرك حتى وقف وكأنه ترام شبرا .. وظل على هذا المنوال الطريق كله أى خمس ساعات نفد فيها صبرنا لا سيما أنه ليس به ما يؤكل أو يرطب ولم نكن قد تناولنا طعاما بعد سندوتشات صغيرة فى القطار الفرنسى الساعة الثانية عشرة .

حاولنا التغلب على هذا المطب بالمرح وأسعفتنا النكتة المصرية فترات طويلة . ولكن ما يلبث الضجر أن يطفو على السطح وهكذا حتى وصلنا فى العاشرة مساء (برشلونة) واذا بنا لا نجد مكانا واحدا لتغيير العملة واذا بنا لا نجد انسانا واحدا يفهم لغة غير الاسبانية التى لا نفهمها نحن بدورنا .. وبلغ ضيقنا قمته اذا كان لم يبلغها بعد

وضعنا حقائبنا فى الفندق ثم ذهبنا نتحسس مطعما لتناول العشاء بعد يوم حافل واذا بنا نقع فى مطعم خدعنا مظهره الكبير وقربه من الفندق .. وقدم لنا طبقا واحدا لا يؤكل .. ثم قدم الينا فاتورة الحساب ستة جنيهات ونصف جنيه !! أسطورة أو قصة رخص الاكل وكثرته فى أسبانيا التى سمعنا بها قبل أن نأتى .

المهم اننا منذ غادرنا القطار وغادرنا آخر حاجة أى المطعم ودخلنا السرير ، ونحن نهتز أو نتطوح تطويحة القطار وكأننا لم نغادره بعد ٠٠ ولم نتحرك من التعب حتى أيقظنا ضوء الصباح أو على الاصح ضوضاء الصباح فى هذا الحى الذى يقع فندقنا فيه ٠٠ حى الرملة كما يدعونه ٠

□

٢٠/٧/٧٣

برشلونة

تجولنا فى برشلونة فى طريقنا الى شركة Marsans السياحية الاسبانية ٠٠ الشوارع طويلة كأنها بلا نهاية ٠٠ واسعة حتى عد أولادنا فى كثير منها ثمانية أنهر للسيارات ٠٠ أحسن وصف لها قول ابنتى انها مطارات لا شوارع ٠ والشوارع فى أسبانيا كأنها لضخامتها ، ميادين ٠ اختاروا للخضرة منتصفها ففى وسط كل شارع صفان متقابلان من الاشجار الظليلة تحتها صفت الارائك المدهونة النظيفة ٠٠ هذه الخميلة للمشاة ٠٠ هذا غير رصيفين عريضين !! وكثير من المقاهى ومحال المرطبات صفت كراسيها ومظلاتها فى هذه الخمائل ٠٠ ان المقهى فى برشلونة خط الوسط من الشارع لا الجانبين كما هو فى مصر وفى فرنسا ٠

وذهبنا الى البنك لتغيير العملة وما أكثر البنوك فى برشلونة كأن بين كل بنك وبنك ، بنكا ٠٠ دليل الوفرة والغنى واقبال رءوس الاموال على اختلاف جنسياتها ٠٠ ان اسبانيا اليوم تسمى بلد الـ ٤٠٠ بنك !! وهذا شاهد لا يخطىء على نجاح السياحة فى اسبانيا نجاحا يقف وراء الترف البادى فى عروض المحلات التجارية

دخلنا البنك واذا به مكيف الهواء تتردد بين جنباته موسيقى جميلة ناعمة هادئة لقد قدروا أن عمل موظف البنك يتعلق بالمال وبالحساب فعملوا على راحة أعصابه وتهيئة جو مريح يعينه على أداء مهمته الدقيقة !!

وفى برشلونة ميدان واسع تحيط به التماثيل وتتوسطه فسقية جميلة يتدفق منها الماء وفى دوائر بعدأن ينبثق الى أعلى ٠٠ هذا الميدان به مئات من الحمام كما فى ميدان سان مارك فى فينسيا ٠ مثل هذا الميدان اضافة جمال للمدينة التى يكون بها ٠٠ جمال نابع من السلام الذى يشيعه الحمام الوادع الآمن من الخوف ٠

ولكن فى برشلونة كما فى فرنسا يعمل كبار السن الاعمال المرهقة ففى الصباح راينا سيدات طاعنات فى السن يقمن بتنظيف وغسل المحال التجارية ·

وفى برشلونة رايت ماسح احذية يضع صندوقه الى جانبه ويجلس على ركبتيه وتحتهما وسادة صغيرة وياخذ فى تلميع حذاء يجلس صاحبه على كرسى عال يطل منه على اخيه الانسان المتضع عند قدميه ·

وفى اسبانيا رايت فى الشوارع بصقا ومخاطا ولست ادرى من ارتكب هذا ·· أهل البلد ام الغرباء ·· ولكن الكافتيرات أو معظم روادها من الاسبان لا تخلو ارضها من ورق ونفايات ·

والناس فى برشلونة لا يحترمون اشارات المرور ·· ما من شارع مررت به الا ويعبر الناس قبل فتح الاشارة بلا استثناء كنا ننتظر الاشارة وحدنا ·· لعلها حساسية الغريب ·

وفى اسبانيا كسائر اوربا تدخن البنات الصغيرات ممن دون العشرين · Teenage

وفى المساء لا يستطيع السائح ان يجد موضعا لقدمه فى المدينة بشوارعها وميادينها على اتساعها فان الاسبانيين من عادتهم أن يقيلوا فى الظهيرة ويسمون القيلولة : سيستا ·· وفى المساء يخرجون الى الشوارع يسيرون أو يجلسون اذا تعبوا ، فى المقاهى التى تتوسط الشوارع ·· من يراهم يخيل اليه ان البيوت خلت من سكانها حتى لم يبق منهم بها أحد ·

والطعام فى اسبانيا غالى التكاليف كسائر بلاد أوربا حتى الاشياء الصغيرة الكوكاكولا بعشرين قرشا وكذلك الجيلاتى الذى نشتريه فى مصر بثلاثة قروش لعلها تعادل مليما هنا أو أقل لو جاز أن هناك أقل من مليم ·· اننا نعيش فى مصر ملوكا دون أن ندرى ·· الآن فقط عرفنا ·

لو أن عندنا من الحرية نصف ما عندنا من الطعام !!

لقد حكم اسبانيا اليونان والرومان والعرب والفرنسيون والالمان ومع كل هذه العثرات استطاعت أن تقف على قدميها بل استطاعت ان تقفز قفزة واسعة ·

لقد كانت اسبانيا فى الاربعينات أى فى الامس القريب ، فقيرة- منهوكة عاجزة بعد الحرب الاهلية وكانت مصر تمنحها الهبات

وتعطيها القروض .. قال لى مسئول فى السفارة المصرية بمدريد انه كان فى أسبانيا منذ سبع سنوات فقط وكانت العاصمة نفسها متواضعة وكان يومئذ من السهل أن يعرفها المرء شبرا شبرا فلما عاد اليها سنة ١٩٧٣ وجد كل شىء جديدا عليه واحتاج الى ثلاثة شهور ليتعرف الى المدينة الكبيرة الواسعة الجديدة ..

□

السياحة فى اسبانيا

رفعت أسبانيا الشعار (سائح لكل مواطن) فى سنة ١٩٦١ . وكان عدد السكان ٣٠ مليونا . وعدد السائحين ستة ملايين . وارتفع الرقم الى ٣٢ مليونا من السياح فى سنة ١٩٧٣ حين كان عدد السكان ٣٤ مليونا .

وأعظم شاهد على ما بلغته السياحة فى أسبانيا قرية «بنى دورم»

□

قرية بنى دورم

تعداد السكان فى هذه القرية الاسبانية (١٠ر٨٠٧) نسمة . وهى مسترخى صيفى . وفى خلال الموسم تستقبل ٠٠٠ر١٠٠٠ مصطاف .

وقرية بنى دورم ، أيضا مسترخى شتوى . انها قرية متحضرة تنمو فى سرعة . تقف عالية فوق تل « كانتالى » وتطل على شاطئين جميلين ويعلو من خلفها أبنية عالية ..

الاغنية الاسبانية .. المسابقات الرياضية .. الفنادق .. المقاهى .. النوادى تعطيها الحياة وتضمن لك زيارة ممتعة فى جو رائع وتحت شمس ساطعة .

□

بلاد الاندلس

٧٣/٧/٢١

كلمة الاندلس من الكلمات التى لها تاريخ وطرائف . فبعض المؤرخين يرد هذه اللفظة الى اسم جماعات الفنداليين Vandales الذين هاجموا اسبانيا ومروا بها مهاجرين الى أفريقيا الشمالية

فى مطلع القرن الخامس الميلادى • ويقال ان هؤلاء الفنداليين عندما مروا بالمضيق الذى يفصل أسبانيا عن المغرب ولعله مرفأ Tarila سموه باسمهم فأصبح مرفأ فندلس وقد ظل هذا الاسم حتى جاء العرب فخلعوه على جميع البلدان التى احتلوها بعد أن حرفوه وجعلوه « أندلس » •

ومن المؤرخين من يقول ان اقطاعية اسبانيا الجنوبية كلها ، التى كانت تسمى فى العهد الرومانى اقطاعية بيتيك Betique قد سميت بـ « فندالسيا » Vandalci عند مرور الفنداليين من أسبانيا الجنوبية أثناء هجرتهم الى أفريقيا الشمالية • ولكن هذا الزعم الاخير لم تؤيده الوثائق ••

ومهما يكن من أمر هذا الاسم فان كلمة الاندلس قد استعملها المؤرخون العرب والجغرافيون بسرعة وتقبلوها بسهولة وكانت تدل بادىء ذى بدء على أسبانيا كلها ثم أخذت تقتصر على المنطقة التى احتلها المسلمون من الارض الاسبانية •• وتسمى مقاطعات اشبيلية وقرطبة وغرناطة حتى اليوم باسم « الاندلس » •

كم من رحلات قبلنا استشرفت الى الاندلس •• رحل اليها ناس عاديون ورحل اليها مشهورون ورحل اليها الشعر والفن •• ورحل اليها زرياب المغنى الذى شكل نهضة غنائية بها امتد أثرها الى الغرب حيث تأثرت بها موسيقاه وشعره الغنائى معا •• وبالطبع أثرت نهضة زرياب الغنائية فى الشعر الاندلسى تأثيرا يعتبر نقلة فى تاريخه وفى تاريخ الشعر العربى بعامة • فقد كانت هذه النهضة التى ازدهرت عليها الاغنية الشعبية ، وراء ابتداع الموشحات والازجال التى تعتبر الاغنية الشعبية منبعا لهما • وزرياب هو الذى زاد فى الاندلس على أوتار العود وترا خامسا • وكانت أربعة قبل عهده ، وهو الذى اخترع مضراب العود من قوادم النسر •

وأعطت هذه الحياة الطروب للشعر : الموشحات ـ ابتدعها عبادة بن ماء السماء القزاز ـ والازجال • ابتكر الزجل ابو بكر ابن قزمان وهما اندلسيان ••

وأعطت للنثر : طوق الحمامة فى الألفة والآلاف وهو الاسم بالكامل وهو ثلاثون بابا •• ويتناول هذا الكتاب الرائع فلسفة الحب معتمدا الى حد كبير على التجربة والملاحظة والتحليل النفسى واستخلاص النتائج • ولعله أول بحث فى العربية من نوعه •

ومن الطريف أن مؤلفه ، فقيه !! وهو الامام على بن حزم الذى أفرد له العالم الاسبانى آسين بلاثيوس كتابا تناول فيه حياته وكتابه الجامع « الفصل فى الملل والاهواء والنحل » . ويعتبره بلاثيوس ، مفكرا ، وعالما لاهوتيا ، ومؤرخا ناقدا للاديان والمدارس الفلسفية الدينية . كما يعتبره الاستاذ نكل Nykl (أديبا وشاعرا ، وفقيها ، ومؤرخا سياسيا ، وعالما أخلاقيا) .

كان عطاء الاندلس فى الادب العربى ، عقدا فريدا ..

وكما صبت الرحلة من كل لون فى الاندلس ، نبعت من الاندلس الرحلة ولكن الى مكان غريب .. وأنا أعنى هنا رسالة (التوابع والزوابع) التى يحكى فيها ابن شهيد رحلة له فى عالم الجن ، التقى فيه بشياطين الشعراء وناقشهم .

وان كان النقد الادبى يرى ابن شهيد فى رسالته متأثرا بالمقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذانى ، كما يلمح الشبه بينهما وبين رسالة الغفران لابى العلاء المعرى الذى يقول بعض المؤرخين انه كان مولعا به وأنه عارض رسالة الغفران برسالته (التوابع والزوابع) التى أورد ابن بسام فى الذخيرة أقساما كثيرة منها .. هذا حين يقول المستشرق بروكلمان انها صنفت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة . ويرى بطرس البستانى الذى نشرها فى بيروت عام ١٩٥٣ أنها لم تتقدم رسالة الغفران بأكثر من تسع سنوات وليس هناك ما يدل على أن أبا العلاء قد اطلع عليها .

ومما يذكر أن الاندلس كان موئل اليهود وجنتهم فى العهد الاسلامى ومنهم من بلغ الوزارة كما يقول الدكتور حسين مؤنس فى كتابه (فجر الاندلس) بل (أن حركة بعث اللغة العبرية والأدب العبرى بدأت فى أسبانيا . نشأت ونمت بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم ، بل كان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم) .

كل هذا لمع فى ذهنى وتجمع ونحن على أبواب رحلة الاندلس ... كنت أعرف الاندلس بعقلى فلم تبق الا رؤية العين ...

بدأت الرحلة فى الثامنة والنصف صباحا وقرأنا آيات من القرآن الكريم .

السيارة مكيفة ... كراسيها كراسى طيارة من القطيفة الزرقاء الجميلة لبست رؤوسها تلبيسات بيضاء شفافة أنيقة ... السائق

فى خريف العمر وقور صامت متزن الحركة ... كانت السيارة بفضل خبرته تسبح فى نعومه ...

الدليل سيدة تتكلم الانجليزية والفرنسية بوضوح فضلا عن الاسبانية بالطبع ... علمها واسع بتاريخ بلادها واسلوبها لا يخلو من لمسات ادبية لطيفة وفكاهة ... وعندما تحدثت عن العمارة فى بلادها وكيف يقف القديم الى جوار الوسيط والحديث قالت :
We only need candles in this procession

سألتنا من أين ؟ فقلنا من مصر فقالت فى أدب جم : من بلد التاريخ والقدم والآثار ... والمصريون المحدثون يجيدون اللغات ... فشكرناها على تحيتها الرقيقة وشكرناها على رفقتها العلمية التى توضح الرؤية أو تزيدها وضوحا ...

السيارة تسير بنا فى طريق عريض طويل لم نحس فيه على امتداده بمطب واحد أو حفر وأخاديد . المزروعات على الجانبين تخف وتكثف حسب طبيعة المكان ...

الانهار متواضعة ضحلة لا تقاس بالنيل .. ربما كانت لهذا السبب تتوارى منا دون سائر أفراد الرحلة فلم تلفت نظرنا كغيرها من المعالم الاسبانية .. .

فى منتصف الطريق نزلنا فى Small Inn على حد تعبير الدليل وتوقعنا أن يكون كما يشير اسمه مطعما ريفيا فاذا به مطعم أنيق فخم تترامى حديقته حتى شاطىء البحر ومع هذا به حمام سباحة كبير جميل .. والموائد به اصطف كثير منها فى التراس المطل على الحديقة غير قاعة ضخمة امتلأت بالموائد فى الداخل .. والطعام توالت صحافه حارة نزلت من على النار منذ ثوان وحين تبدل الاطباق تأتى ساخنة بالبخار ! ... دليل استعداد ضخم .. المفارش والادوات موحدة لطيفة انيقة .

هل هذا كله مجرد Inn ؟

اكملنا رحلتنا الى بلنسيه بعد أن صافحنا بالعين على البعد كثيرا من القلاع العربية القديمة وصافحنا بالأذن كثيرا من الاسماء العربية التى تؤيد ما جاء فى كتاب الدكتور حسين مؤنس (رحلة الأندلس) . هذه « بلنسيه » التى وصفها وأفاض ابن الأبار شعرا ونثرا ، وبكاها أبو المطرف بن عميرة ولكن الحديد كان أصدق أنباء

من القصيد فسقطت بلنسيه وغادرها أميرها أبو جميل زيان الى الجزيرة ٠٠ جزيرة شقر ٠٠ بعد أن أسلمها الى الملك خايمى الفاتح ٠ كما غادرها وزيرها وأديبها ابن الأبار مع أهله الى تونس ٠

نزلنا بلنسيه فى فندق أكسلسيور ٠ الوثارة والفخامة والخدم والحشم والطعام كأنه قصر من قصور ألف ليلة وليلة بخيالالتها وتهاويلها ٠ وبالطبع لم نقصده باختيارنا ولكن الرحلة رتبتها لنا شركة مارسانس الاسبانية السياحية ٠ تتسلم الفوج السياحى فى برشلونة وتطوف به الأندلس حتى يصل مدريد دون أن يتكلف حتى حمل حقائبه ٠ ولكن يتكلف اشتراك الرحلة طبعا ٠ والرحلة الى الأندلس نوعان : سريعة فى عشر أيام وبطيئة فى خمسة عشر يوما ٠ وقد اخترنا الاولى ٠

□

بلنسية

الميناء الثانى والمدينة الثالثة فى أسبانيا ٠ وهى مدينة أندلسية قديمة ، على الشاطىء الغربى لاسبانيا وعلى بعد ٢٠٠ ميل جنوب غرب برشلونة ٠ والمدينة الى الداخل بثلاثة أميال ، ولكن الميناء يقع عند مصب نهر توريا (Turia) ٠

والجو هناك معتدل ، والمطر السنوى قليل ولم تسقط الثلوج الا مرتين خلال القرن الماضى ٠

وقد أسس العرب فى بلنسية نظاما عظيما للرى لم يتغير حتى الآن ، وتفتح بوابات الرى بجرس اشارة من المدينة ، ويحاكم المخالفون للقانون أمام محكمة فى يوم الخميس من كل أسبوع ٠ وقد أدى ذلك الى أن صارت بلنسية أخصب رقعة فى أسبانيا كلها ٠ ويمكن زراعتها ٣ ــ ٤ مرات فى السنة ٠ وتصدر بلنسية اللوز والبرتقال والليمون والتين والبلح والبطيخ وقصب السكر ٠ وتشتهر المدينة بالتوت الاحمر والحرير الطبيعى ، وينمو على الساحل أفخر أنواع الارز فى العالم ٠

وعلى الرغم من المبانى الحديثة ، تتميز المدينة بطابع عربى قوى من غرتها الى أخمص قدمها ٠ وتجذب الاحتفالات فى يوليو وأغسطس ملايين السياح ٠

« عن دائرة المعارف الامريكية »

وضعنا حقائبنا ونزلنا نتجول فى البلد حتى يحين موعد العشاء .. واذا بها ليست مجرد مدينة أو عاصمة اقليم ، فطنطا عاصمة اقليم من اكبر واغنى محافظات الدلتا اخصب منطقة فى الدنيـا لا فى مصر وحدها . وليس بطنطا فندق أو مطعم أو شارع أو مقهى ، لا أقول ، فخم أو ضخم أو رفيع المستوى بل مجرد مقبول معقول .. ليس فى طنطا شىء عليه القيمة فما بالك بسائر مدننا والمراكـز فى الدلتا والصعيد ؟

كل هذا ثقل على صدرى وأنا أرى بلنسية واسعة متوسعة غنية مترفة فى المبانى والمتاجر والمطاعم والمناعم .. عشرات من الفنادق السياحية الفخمة التى تعدل ان لم تتفوق على سميراميس وشبرد وهيلتون وشيراتون .. أقسم بسيناء وعودتها الينا ان فى ميدان واحد فى مدينة بلنسيه ست بنـوك من أكبر وأفخم ما رأيت من البنوك من جنسيات مختلفة ولا يكاد ينتقل الانسان الى شارع حتى تتكرر الظاهرة .. عشرات البنوك فى بلنسيه وعشرات البنوك فى برشلونة قبلها .. ان البنوك عملها (المال) .. اذن تستطيع أن تقدر دورة المال المتدفق فى اسبانيا ، ان مصر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ليس بها اكثر من خمسة بنوك وهنا لا تقوى الكلمات على التعليق من حزنها والا سقطت جثة هامدة مقطوعة الانفاس .

أثناء الرحلة قالت السيدة الدليل ان تعداد السكان فى اسبانيا ثلاثون مليون نسمة وأن عدد السياح الذين يزورون اسبانيا كل عام ٣٢ مليونا ! فلو قدرنا أن كل سائح يصرف مائة دولار فقط فمعنى هذا أن دخل أسبانيا سنويا من السياحة ثلاثة آلاف ومائتا مليون دولار سنويا !!! وليس باسبانيا واحد على مائة مما بمصر من آثار !!

ان آثار اسبانيا عصر واحد هو العصر الوسيط، أما مصر فحضارتها عمر الانسان قديمة ومتوسطة وحديثة وهى متصلة الحلقات ومصر بها من الحضارة ، مقدسات الاديان .. ان الطريق الذى قطعتـه مريم تحمل المسيح والاماكن التى وقفت بها واستظلت لو استغلت سياحيا كم من الملايين تفد الينا من الغرب ومصر فيها من المزارات والآثار الاسلامية ما يجذب قلوب الملايين من الشرق .. ولكننـا بدلا من أن نفتح عيوننا ، هللنا عندما جاءنا ١٠٠ مليون جنيه فى سنة من السياحة .. طنطنت الصحافة المصرية واستنفدت ما تملك من مداد أحمر فى كتابة مانشيتات الكسب الكبير !!!

اننا فى أشد الحاجة الى الاقتصاد فى الكلام حتى نرى الاشياء

فى حجمها الطبيعى لتتحدد خطوتنا القادمة فى ضوء الصدق لا المبالغة والهذر والهدر والخدر والسذاجة الجاهلة ٠

اذا أردنا نقلة كبيرة يفيق عليها ضعفنا واقتصادنا وتدب فيه الحياة فتعم الصحوة كل شىء ٠٠ اذا أردنا هذا جادين فلنتحدث انقلابا فى سياستنا السياحية أكبر كثيرا من شركة مصر للسياحة التى تنفر المصريين أنفسهم من السياحة الداخلية فما بالك بالاجانب ؟

ان مصر اغنى بلد فى الدنيا بالمعالم السياحية وتستطيع لو اخلصت الجهود والنيات أن تكون مصر اغنى بلد بالمال فى العالم كله من السياحة وحدها ٠

يقول الدكتور محمود كامل مستشار السياحة بالامم المتحدة استنادا الى البيان الخاص بالسياسة الاقتصادية الجديدة للدولة ونصيب السياحة منه أقل من نصف فى المائة فى الوقت الذى تتجه فيه موجة السياحة العالمية نحو البحر الابيض (ومصر دون باقى دول منطقة البحر الابيض المتوسط بل دون باقى قطاع الشرق الاوسط من هذه المنطقة تنفرد أنها تستأثر بنماذج متكاملة من المغريات السياحية الجاذبة كلها ، طبقا لاحدث البحوث الاحصائية السياحية المستندة الى دراسات علمية للسوق السياحية والمتوقعات المنتظرة لهذه السوق) ٠ **الاهرام عدد ٧٣/٨/١٨**

وفى هذا المقال يشير الدكتور محمود كامل الى دراسة (دوفير) لعلم الانماط التى تشمل المصادر والانشطة السياحية وهى الدراسة التى قدمها الى مؤتمر « الجمعية الدولية لخبراء السياحة العلميين » الذى دعا فى آخر عام ١٩٧٣ لدراسة « طرق الابحاث السياحية وتطبيقها على البلاد والمناطق النامية » يقول الدكتور محمود كامل (لم يتردد « دوفير » عند بحث المغريات الجاذبة التاريخية بمنطقة البحر الابيض المتوسط فى أن يضع مصر على رأس دول المنطقة السياحية قبل اليونان والاراضى المقدسة وتركيا ومدن الفن الايطالية « فلورانس وروما ونابولى » ويؤيده فى هذا العلامة السويسرى « كرابف » فى بحثه عن مساهمة السياحة فى تنمية البلاد النامية) ٠

ويقول المقال ان (أحدث صيحة اعلامية سياحية فى تونس والجزائر قد ركزت على « السياحة الصحراوية » و « سياحة الواحات » باعتبارهما مخرجين من اطار السياحة التقليدية) ٠

وبعد لقد انتقلت أسبانيا من حضيض التخلف والفقر والحروب الاهلية الى قمة الغنى والثروة فى اقل من نصف قرن ، كنا نحسب ونقرأ أنها تعانى فيه من الديكتاتورية وقيودها ·· وكنا نحسب أننا فيه سعداء نسبيا فاذا بنا فى هذا النصف قرن التعساء وحدنا ·· الاشقياء المحزونون ·· اذا بنا وحدنا الفقراء الجهلاء المهمومون ·· نحن وحدنا البسطاء البلهاء النائمون السادرون فى الاحلام ·

☐

٧٣/٧/٢٢

بلنسيه (المدينة)

طافت بنا السيارة معالم المدينة وأسواقها ونزلنا عند : محكمة الشعب ·· وهى عبارة عن كنيسة كانت فى الاصل مسجدا وكان فى حكم العرب تعقد المحكمة الزراعية خارجه فيأتى الفلاحون من القرى والاقاليم المجاورة يعرضون شكاياتهم وموضوعها دائما الرى والارض وكل ما يتعلق بالزراعة ·· وقد اختار لها العرب يوم الخميس باعتباره نهاية الاسبوع ، والجمعة للصلاة والعطلة الاسبوعية فلا يجوز فيها عمل ·

وظل هذا التقليد متبعا حتى بعد أن رحل العرب عن الاندلس والآن ينظر اليه على أنه ظاهرة اسبانية تنفرد بها دون سائر بلاد أوربا · وقد سجل الفن هذه المحكمة فى لوحة كبيرة بالالوان ·

والكنيسة أى المسجد سابقا الاعمدة بنيت على شكل جذع النخلة والسقف قنوات ومنحنيات بارزة على شكل سعف النخيل فكأن البهو غابة نخيل حجرية ··

وفى القاعة السفلى باب حديد ضيق لا يستطيع أن يمر منه أكثر من واحد فاذا مر وجنح الى اليسار ورفع رأسه الى أعلى رأى المئذنة ، التى هى اليوم برج الكنيسة فى استدارتها الحلزونية عبارة عن ثقب رأسى صاعد فى جوف المئذنة ·

أمام المحكمة ، السوق · وتقوم النساء بالبيع فيه حتى الجزارة ! وطبعا معظم العملاء من النساء أيضا · والى جانب السوق كنيسة يعلوها طائر · وهنا تقول الاسطورة ان هذا الطائر يراقب ، داخل السوق النساء المغرمات بالثرثرة والغيبة ··

البرلمان : وهو مبنى عربى الطراز سقوفه منقوشة ومحـــلاة بالذهب وعلى الجدران لوحات زيتية كبيرة منها واحدة تمثل طفــلا جىء به الى الحاكم فلما مثل بين يديه أطرق مرتجفا ·· وهنا لم ينس الفنان تجعيدات السجادة التى تركتها مشية الغلام المتعثر من الخوف ·· ملاحظة دقيقة فتحت عينى عليها ابنتى فينان ·· كمـا لاحظت حنان فى صورة « الراهب » للفنان جويا Goya الوجه ذى الانياب ففسرته بسرعة بأنه يمثل الشيطان يصاحب الانســـان حتى اللحظة الاخيرة وهو فى الصورة يغرى الراهب الغـــارب بعدم الاعتراف ·· قد رسم (جويا) من خلال هذا الراهب صـــورتين للفراق ·· الفـــراق الحى حين خلف هذا الرجل ملكة وزوجتـــه وأولاده ليعتزل العالم ويترهب ، والفراق الاخير وهو على فراش المـــوت ·

□

الكاتيدرائية :

الحرب والانسان : أهم ما فى الكاتيدرائية حجرة بها تمثـــال المسيح من الذهب الخالص المرصع بالماس والاحجار الكريمة داخـل محفة من الذهب والاعمدة من الذهب واطار القاعـــدة النقش به على هيئة ملائكة تبدو متشابهة وهى مختلفة الملامح والتعبير وهذا كله من حصيلة تبرعات الشعب الاسبانى شكرا لله على انتهـــاء الحرب الاهلية التى استنفدت قوى وثروة أسبانيا ··

كثيرا ما يساق الانسان الى الحرب مكرها ··

وأثناء الطواف بهذا كله نوه الدليل بفضل العرب على الرى فى أسبانيا وعلى البناء والفن ··

تلف الاسبان المحدثين نزعة انصاف اليوم وليدة وعى عـــلمى وسياحى أو لعله تكفير عن تعصب طويل فقد قوة الابصار وافتقد البصيرة فلم يميز بين النفيس الذى يستحق الحفاظ عليـــه ولو انتفاعا به لا حبا فيه ، وبين الرخيص الذى يجوز التخلص منـــه بالمحو والازالة ·

هل نزعة الانصاف هذه علامة وثوق بالنفس على أثر الاستقلال والغنى ؟ هل هى ارتفـــاع الى مســـتوى الموضوعية العلميـــة والتاريخية ؟ هل هى هذا كله ؟ ربما ·

على أى حال هذه النزعة تجسدت فى اقامتهم تمثالا للفيلسوف العربى- ابن رشد فى قرطبة على مقربة من الجامع الكبير ..

وعندما مر الدليل بسلسلة من البنوك علق عليها بالاستشـــهاد بتعريف انجليزى للبنك بانه :

Umbrella protects you when the sun is shining and disappears when it is raining.

وشروق الشمس فى العبارة يرمز الى الغنى حين يرمز المطـــر الى الاعسار والغمام المادى . فالبنك يعطى الغنى قروضا لمشروعات كسب جديد .. ولكنه لا يعطى الفقير لانه لا يضمنه ..

ومر بنا الدليل على شارع عبارة عن سلسلة من المحلات الضخمة للحلوى ووقف عند احداها لنلقى نظرة عليه على سبيل المثال فاذا بصاحب المحل يقدم لنـا كيسـين كبيرين من الحلوى قام الدليل بتقديمها الينا .. حركة مدروسة ومرتبة ومدفوعة وموضـــوعة ضمن برنامج الرحلة من قبل ولكنها مثلث كانها تلقائية ، اظهـــارا او تظاهرا بالكرم .. كرم أهل البلد! ذكاء .. كل شىء هنا مدروس .

وفى الرحلة معنا رجل ينزل فنادق الدرجة الاولى الممتازة حين ينزل باقى افراد الرحلة فنادق الدرجة الاولى فحسب وعرفت فيما بعد أنه جزار ولكن أمريكى .. وفى الرحلة رجال ونساء طاعنون فى السن من أمريكا وكوبا والبرازيل .. ودلالة هذا ايمان العـــالم المتحضر على مختلف المستويات بالرحلة والسفر والسياحة .

<><>*<>*

قصـــر الحمــراء وجنــة العــريف

٧٣/٧/٢٢

فى الطريق الى الكانتيه Alcanté

اخذنا السيارة من بلنسيه فى طريقنا الى الكانتيـــه ٠٠ وفى الطريق الجبلى كانت هناك صخرة ضخمة كأنها انتزعت نفسها من الجبل انتزاعا لتطل على البحر ٠٠ هذه صـــخرة « نيفاتش » ٠
تقول السيدة الدليل ان هذه الصخرة بيعت أول مرة ببضعة آلاف من الجتيهات ثم بيعت مرة ثانية بأضـــعاف ذلك المبلغ ثم بيعت اخيرا لاحـــد البنـــوك الموجودة فى بلنسيه بمبلغ سبعين مليون بيزتا ليتخذ منها مصيفا كمشروع استثمارى ٠٠ وهكذا تعـــلو الارض ماديا ومعنويا عندما يقبل أهلها عليها ٠

وفى الطريق الى كورنيثا-رأينا الجبل مدرجات زراعيـــة كأنه مسرح زراعى ٠ ورأينا سلسلة ايتانا وشـــاطئها الصخرى الصغير الفقير فخلقوا من هذا العيب حسنة بأن حولوه الى مصيف للكتاب والفنانين يقضون أجازاتهم فيه وكأنه قصد أو قصــــدوا أن يكون مصيفا هادئا ٠٠

وفى الطريق مررنا بقرية صغيرة هى قرية « بنى ضورم » وكان تعدادها ثلاثة آلاف نسمة ٠ تقول السيدة الدليل انها تمر عليهـــا بحكم عملها مرتين فى الاسوع وما من مرة مرت بها الا رات شيئا جديدا أضيف اليها وتقول ان تعدادها الآن اصبح تسعين الفا وأن عدد زوارها من السياح يبلغ نصف مليون ٠

ونظرت الى القرية (سابقا) فاذا بها الآن الاف من العمارات وناطحات السحاب وآلاف من السيارات وعدد كبير جدا من فنادق الدرجة الاولى بل الفاخرة بفضل الـــوعى السياحى والعمـــرانى

وتمنيت أن تاتى الى هذا المكان شركة مصر للسياحة التى لم تعرف فى العام الماضى كيف تنظم رحلة الى مرسى مطروح وجمعت اشتراكات خيالية بدعوى انزال المشتركين فى فندق ريم فاذا به دون الحضيض من حيث النظافة والمعاملة ..

وفى الطريق مـــررنا بقرية « بياخيوسا » وكانت عبـــارة عن مصانع الشيكولاتة فاذا بالقرية الصغيرة تسوى بيوتها المتواضعة لتقوم مكانها ناطحات سحاب .

ومن برشلونة الى الاندلس شرق وجنوب اسبانيا ظاهرة لفتت نظر السياح خاصة نحن أبناء النيل وهى أن أنهار أســـبانيا فى الصيف تجف تماما حتى غدا بعضها جزءا من الطريق ، والبعض الآخر جزءا من الحقول على جانبيه . ورأيت نهرا طريفا يجـرى الماء فى نصفه والنصف الآخر مزروع .. وتعليل هذه الظاهـــرة أنها تعتمد على الامطار .. وعنـــدما تسحب زراعة ما تاتى به الامطار ، تترك هذه الانهار جافة تنتظر جود السماء .

□

الكانتيه Alcante

ميناء جميل .. مدينة صناعية .. مطار مهم .. قلعة على جبل بنيكانتينا Benicantinya .. شوارع واسعة .. ميادين جميلة لا سيما ميدان النخيل .. محلات حافلة .. غابة من ناطـــحات السحاب وبيوت قديمة فلتت من الاعدام بمعجزة وان كان الزحف الحديث وراءها بالمرصاد ..

هذه هى مقاطعة Alcante التى يبلغ تعدادها ٦ ملايين نسمة .

وفى Alcante نزلنا فندق Leuka نسبة الى شاعر الاسبان العظيم ..

الفندق جديد .. وجدنا فى حجرتينا غير الحمام النظيف اللامع اضافات جديدة .. زرار تضغط عليه فتضىء لوحة على البـــاب من الخارج على يسار الداخل تقول (ممنوع الازعاج) وهنا لايطرق عليك الباب أحد لاى سبب .

وعلى المنضدة (سومان) به خطاب وظرف وبه كارت بوستال وبه خطاب آخر للشكوى من أى شىء لا يروقك ..

والدولاب اذا فتحته اضاء بالكهرباء من الداخل واذا اغلقته انطفأ ٠

والى جوار الدولاب ثلاجة رفها العلوى لحفظ السوائل الساخنة! وباقى الرفوف لحفظ المثلجات ٠٠ وفى بابهـا الوان من الشـيكولاتة والماكولات حتى لا تكلف نفسك الطلب ٠٠ ولو ان بالحجرة تليفونا يلبى فى الحال وحتى لا تنتظر بل تمد يدك فتأخذ ما تشتهيه ٠٠ فقط تتذكر الحساب متمتعا بالائتمان والثقة ٠

وفى الحمام شرائط من الورق المجهزة تجهيزا خاصا بحيث اذا مررت بها على حذائك جعلته نظيفا لامعا ٠٠

وفى اسبانيا غجر gipsis اسبانيون يعيشون فى كهوف فى جبال « مرسـيه » ٠٠ والكهف ليس دليـل فقر فبعض هـذه الكهوف يتكون من ثمانى حجرات ، ويملك صاحبه سيارة وسيارتين ويستضىء بالكهرباء ٠ وبعض هذه الكهوف تصل اليها المياه ٠

وقد زرنا فى الطريق كهفا متواضعا بعد ان مرت بنا السيارة على كهف يبدو لناظره فيللا لولا ان سقوفها اقباء وطلاؤها ابيض ٠٠ الكهف المتواضع لارملة عجوز ٠ ودخلناه فاذا بقبو السقف يجعله رطبا لطيف الحرارة ٠٠ والكهف به ثلاث حجرات نوم وحجرة بها ارائك وحجرة بها مخزون الطعام وحنفيات وقاعات مربعة صغيرة ولكن الكهف كله نظيف نظافة مذهلة ٠٠ وصاحبته على رقة حالها قد ملأته باشغال اليد وتحف الفخار والنحاس والاشغال اليدوية ٠٠

ومن الطريف ان صـورة عبد الوهاب ورجاء فى فيلم الوردة البيضاء معلقة على الجدار وحولها اطار من شـغل الابرة ٠٠٠ ولا ادرى كيف اتت السيدة بها وسألتها طامعة فى قصة طريفـة ولكن نظراتها الطيبة تاهت ولم تتذكر الا انها اشترتها ٠٠٠

ثم زادت دهشتى عندما خرجنا من الكوخ لنجد على يميننا مكانا واسعا لبيع الفخار المدهون فاذا بى اجد رمسيس وعربته الحربية ! واجده مرة اخرى مصورا على حوض زهور مستطيل ٠

والجبسس اذا سألت احدهم عن جنسيته لا يقول انه اسـبانى او ينتسب الى مدينة من اسبانيا بل يقول : جبسى اعتزازا بأصـله الذى انحدر منه وهو درس ينقص الكثيرين ٠٠ ومن الغريب أن نتهم بالاقليمية اذا انتسبنا الى مصر !

والجبسس تجار مهرة يتنقلون من بلد الى بلد ويحبون الصناعات المعدنية وهم موهوبون فى الغناء والرقص ٠٠٠

ومنهم من وصل الى الجامعــة . وفى سنة ١٩٧٢ كان الكتاب المختار لتمثيل أسبانيا من تأليف « جبسى » .

والجبسس ذوو أخلاقيــات ... قد توجد بينهم سرقات ولكن أصحابها دفعتهم اليها ، الحاجة لا الشر .

وهم يخلصون بعضهم لبعض فلا يعرف الحسد طريقه الى قلوبهم .

□

الفلمنكو

عندما سقطت غرناطة فى يد « فرناندو وايزابيلا » أراد المسلمون من عامة الناس أن يواصلوا الحياة فى الاندلس فاشترطا عليهم أن يتركوا الاسلام الى المسيحية فرفض الكثيرون وقد عز عليهم ، ولاذوا بالجبــال ...

وكان الجبسس يحبون المسلمين ويعاونونهم فخرجوا وراءهم .. حبا وفرقا .. فقد خافوا الاضطهاد بحكم هذه العلاقة .

كما رفض اليهود أيضا أن يتحولوا عن دينهم وخرجوا فارين الى الجبال ... جبال سيرا نيفادا ...

وجمع بين الأقوام الثلاثة ، الألم والقهر والشتات فعاشوا معــا وكان يطلق عليهم اســـم « فلمينكو » ... ومن هنــا كان طابع الفلمينكو ، حتى اذا غنوا ، الحزن والشجن . على أنهم يحبون الرقص والغناء والجيتار ...

ولقد جاءت كلمة فلمنكو من لفظة « فلا » الاســبانية أى فلاح و « منكوس » أى مئات .

فلمنكو مئات الفلاحين الذين هاموا فى ســيرا نيفادا هربا من بطش الغالب .

□

مرســـيه

بلد المرسى أبى العباس ومن هنا نسمى فى مصر (مرسى) وأصحاب هذا الاسم يسمون ولدهم (عباسا) . فى الغالب . وان كان اسم (مرسى) لا يعجب أستاذنا الكتور أحمد أمين فقد سمعته رحمه الله فى حديث له عن دلالة الاسماء على أصحابها يقول : عندما أسمع اسم (شوقى) أحس أن صاحبه لابد أن يكون فنانا أو شاعرا . أما (مرسى) فلا يمكن أن يكون صاحبه الا « حلاقا » .. ويضحك ..

رحم الله عالمنا (أحمد أمين) فمع ما فى الاســـماء من دلالات وايقاعات تريح أو تنفر فان المسألة حظوظ فأصحابها لم يؤخذ رأيهم فيها بل خلعت عليهم ساعة الميلاد ٠

□

٧٣/٧/٢٤

غرناطة

مدخلها القريب جبال على الجانبين تكاد تتلامس بالأيدى لو كانت تملك الأيدى ثم تنفتح على المروج الخضراء والذهبية ٠٠٠ ومع هذا

◇◇*◇*◇*◇*◇

سر غرناطة

يعتقد ساكنو غرناطة أن أى انسان لم ير غرناطة وقصر الحمراء لم ير شيئا ٠ أما ديماس فقد قال ان الله قد خلق الحمراء وغرناطة حتى يسكن اليهما اذا ما مل بيته ٠ أما الشعراء فقد اصطلحوا فيما بينهم على تسمية غرناطة ، لؤلؤة الاندلس ، والارض التى لثمتها الشمس ٠

ولا شك أن قصر الحمراء هو أشهر مثل قائم للعمارة الاسلامية فى أوربا ، كما هو رمز للمجد الضائع والازدهار الخابى ٠

الا أن القصر مر بفترات عصيبة كان فيها ملجأ للمشردين والغجر وكان لهذا أثره فى كثير من غرفه وأروقته التى حال فيها اللون وانطمست المعالم ٠ واليوم يرى الزائر حديقة القصر العـــريق الطراز ، والقلعة (الكابازا ـ Alcabaza) ثم جنة العريف وهى حدائق رائعة ، ثم هناك صحن الاسوار (باسوده) الرخاميـــة السوداء ، (وصحن ميرتل ـ Myrtle) الى جانب الحمامات الداخلية ، للرجال والنساء والاطفال وهى تركية النظام ٠

يقول كيرت هيلشر ٠ ان الموسيقى هى اللغة الوحيدة القادرة على وصف هذا الجمال ، الذى يبدو كأن قوس قزح قد سقط من السماء وانتشر فى المكان ٠

Wonders of the world
byronald goock

من كتاب « عجائب الدنيا »

◇◇*◇*◇*◇*◇

سرنا فى مرتفعات كثيرة كانت تزيد احيانا على الف متر فوق سطح البحـــــر ...

دخلنا غرناطة .. نزلنا فى فندق لوس انجلوس . كانت حجرتانا تطلان على الحديقة وحمام السباحة . الفندق انشاه امريكان فى غرناطة وحاولوا أن يكون على الطراز العربى فكان (مسخا) لا هو حديث ولا هو عربى الطراز .

وصحبنا الدليل فى أول الطواف الى الكاتدرائية .. بناء فخم شامخ مثقل بالذهب كأنه يتحدى الجمال والفن فى قصر الحمراء . بالثراء والبذخ .

وبعد هــذا ، عجز .

وخرجنا من الكاتدرائية غير مقتنعين بالشــكل نحن الذين نؤمن بعيسى ايماننا بالأنبياء وكتبهم ...

امام الكاتدرائية ميدان به تمثال كبير يمثل كولومبس يســتأذن فرناند فى الخروج لاكتشاف العالم الجديد .

ثم ذهبنا الى قصر الحمراء .

ويرجع الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق أن الاحمرار فى الاسم من لون التربة هناك بسبب كثرة أكسيد الحديد بها (ولما كان ملاط أبنيتها قد اتخذ من هذه التربة فقد غلب عليه اللون الاحمر الذى أطلقه العرب على هذه البقعة) .

غابات الاشجار السامقة والباسقة على الجانبين ... الاتوبيسات السياحية بضخامتها كانت تبدو فى مدخله كأنها لعب أطفال تتحرك فى هذا المكان الذى يقف فيه كل شىء فارها يصافح السماء ...

القصر بزخارفه ورفارفه يحتوى زائره خاصة اذا كان يشــاهده لأول مرة It is the waw كما يســمى الامريكان الشىء المذهل الروعة الذى يطلق آهة البهر اذ تقع عليه العين ...

لان الحجر وانصاع الرخام وصنع منهما الفنان دانتلا دقيقــة رقيقة وحنيات ... الخطوط تستقيم وتستدير فى لين وسهولة كلين العيش فى القصر .. والمقرنص من وراء دنتلا الحجر ، صــفوف وراء صفوف ، وطبقة تعلو طبقة ... كذخائر القصر فى الداخل ، ذخائر الفن فى خارجه .. على الجدران نمنمة وترصــيع وألوان صيغت كلها فى اناقة ولطف تعبير كأن بناءه موسيقى أو جواهرجى .

هذه النقوش الدقيقة والكثيرة والمتنوعة من عمل الفن الشاعر ، والفراغ الآمن ، والغنى الآمل والحياة المتذوقة فى استمتاع وفرحة ٠

ويلمح المستشرق غارسيا غومس ، قصر الحمراء فى الشعر العربى الأندلسى فهو يشبه (قالبيته) وعناية أصحابه الشديدة بالشكل حتى ليبدو بعد تقطير صوره ومعانيه فى أنابيق بلاغية ، مثقلا (بالزخارف الشعرية الأربسكية التى تشبه أن تكون « قصور حمراء » لفظية) ٠

سأترك تفاصيل وصف القصر بقاعاته وحجراته وساحاته للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق فى عدد (قصر الحمراء) من السلسلة الثقافية ، كما فصله وأوفى الاستاذ عبد الله عنان فى كتابه الكبير (الآثار الأندلسية الباقية) ، حتى لا تفوتنى متابعة الرحلة فنحن الآن فى طريقنا الى الجنة ٠٠٠ (جنة العريف) ٠٠٠

وكأن أصحاب قصر الحمراء لميكتفوا بحدائقه وخمائلهفاستحدثوا على مقربة منه (جنة العريف) أو جنة الانسان فى أى مكان ٠

أشجار الجازورين كأنها صفوف الجنود اصطفت على الجانبين ٠٠ الطرقات المرصوفة صاعدة فى عملية تهيئة للدخول ٠٠٠ سلالم المياه والشلالات الصغيرة المتلاحقة ٠٠٠ العبير الفاغم والهمس الناعم حتى الصمت فى هذا المكان نغم وحده ٠٠٠

اذا اشرأب الوجه ليجمع المكان كله فى نظرة ، راعه ما بين أشجار الحور والسماء ٠٠٠ انهما متداخلان فى زجزاج من الخضرة والصفاء ٠

حوار بين زهو الخضرة وصفاء الازرق على شعاع من نور ٠

كل شىء فى هذا المكان وراءه قصة ٠٠٠ وعنده قصة يرويها ٠٠٠ أحداث كبيرة وأعمار كثيرة دخلت فى نسيج هذه الجنة ٠٠٠

ودخلناها ٠٠
وكالمؤمنين سبحنا وصلينا ٠٠٠
وكالموعودين سمعنا أغنية المياه للزهر والشجر ٠

الماء عنصر زخرفى كبير فى تشكيل هذه الجنة وتنعيم الاحساس بها ٠٠ قنوات وشلالات ونافورات تتعانق خيوطها كأقواس النصر المنصوبة لزفة العرس أو موكب ملك ٠٠٠ لابد أن يكون هذا فالصفوف الخلفية من الشجر تطل برؤوسها كما يفعل الناس فى الزفة ٠٠٠



جنة العريف

كل يريد أن يجتلى وجه العروس او يظفر بلمحة ·· شجرة واحدة فى آخر الحديقة كانت تقف وحدها كأنها الديدبان الحارس ·

فن تشكيلى مادته الماء والشجر ·

بوابات من الاشجار الكاسية ·

كل شيء فى هذا المكان صفان ·· وكل الأحبة اتنين اتنين كما يقول بيرم ·· هنا (كانت) زرابى مبثوثة ونمارق مصفوفة ليكون الانسان أدنى الى الطبيعة · يكون معها فى صحبه ·· شجرتان فى وسط البركة متعانقتان فى حركة باليه ··· كل شيء فى الحديقة يرقص لا الكامستيناس وحدها ·

لو دققت فى كل شىء فى غرناطة لوجدت رسم رمانة ٠٠ الرمانة شـعار غرناطة ٠

اخرجت التفاحة آدم من الجنة ٠

واخرجت (الرمانة) العرب من غرناطة ٠٠٠ واسبانيا كلها ٠٠٠ والحقيقة انها ليست التفاحة أو الرمانة ولكن الانسان فى المرتين اتبع هواه ولم يعرف كيف يصون النعمة ويرعاها ٠٠٠

ولكننى لم أبك مع الباكين ٠٠٠
لم أبك فالذى ضاع فى الأندلس ، الملوك
ملوك العرب وملوك الاسبان على السواء
ضاع بنو الاحمر كما ضاع فرناندو وأيزابيلا ٠

وبقى قصر الحمراء على الرغم من المحو والتخريب فى بعض اجزائه ٠٠

وبقيت جنة العريف ٠

ضاع الملك وبقى الفن وهو الأغلى والأعلى والأكرم ٠

مهما بلغ الملوك حتى ولو عدلوا ٠٠٠ ولو عفوا لا يبقى منهم ، ان بقى شىء ، الا سطور فى كتب التاريخ حين يبقى علم العالم ، وفن الرسام والمثال والشاعر تراثا تعيش عليه الأمم وتستمد منـه معنى بقائهـا ٠٠٠

اذن علام يبكى الباكون ؟ على الأشخاص الذين لم يبكوا على انفسهم وعلى أمتهم ٠٠٠ على الأفراد الذين يدل وجودهم لو بقوا على معنى نحاربه هو الاستعمار ؟

ان العرب موجودون فنيا فى الأندلس حيث كانوا ولهذا لم أبك على الخروج المادى وانما بكيت على توقيت هذا الخروج ٠٠ فلو تاخر سقوط غرناطة كما يقول الدكتور حسين مؤنس سنة واحـدة لانتشر الاسلام فى العالم الجديد بالاكتشاف والتعمير وحق الاستيطان الأول فى أرض فراغ ليست ملكا لاحد ٠٠ لو حدث هذا لما استطاع أن يخرجهم أحد حتى ولو عاودهم داؤهم القديم : الاختلاف والشقاق والتناحر ٠٠٠ كان الاسلام سيكسب وطنا جديدا ٠٠٠ وطنا دائمـا ليس له صاحب قديم يطالب به مهما طال الأمد ٠٠٠

هنا علامة تاريخ ونقطة تحول كان يمكن أن تضيف الى حياتنا : دينا وأمة ٠

لو حدث هذا لتغير موقف أمريكا اليوم .. موقفها الذى يقف وراءه ويصنعه يهود أمريكا لا يهود اسرائيل .

□

اشبيليه او لؤلؤة الاندلس

المدينة الرابعة فى أسـبانيا ، وهى الوسـط الفنى والتعليمى والأدبى والعلمى والاسم الاسبانى لها هو (سفيلا ـ Sevilla) . وتقع اشبيليه على نهر (Guadal quivir) أى الوادى الكبير) وهى على بعد حوالى ٥٥ ميلا الى الداخل من مصب النهر على خليج (قادس ـ Cadiz) وهى مشهورة باسم لؤلؤة الأندلس .

وتشتهر اشبيليه بطابعها العربى ، فالشوارع ضيقة وغير ممهدة تمهيدا كاملا . ففى الأعياد تمتلىء الشوارع براقصات اسبانيات فى الزى المشهور . وهناك أربع أوبرات عالمية مأخوذة عن موسيقى اشبيليه وهى : « حلاق اشبيليه » ، « وكارمن » لبيزت ، و « زواج فيجارو » لموتزارت و « دون جوفيانى » .

واشبيليه تفخر بقصرها (Alcazar) الـذى بناه العرب فى عهد الملك أبو يعقوب عام ١١٨١ ، وأضيفت اضـافات فى عهد Charles I, sabella Henry II Pedro Cruel وآخرين . وكاتدرائية اشبليه من أكبر الكاتدرائيات فى العالم . بدأ بناؤها عام ١٩٠٤ على الطراز القوطى وأكملت بعد ٢٠٠ عام .. والجيرالدا Giralda كانت مئذنة لجامع اسلامى قبل أن تتحول الى برج الجرس الذهبى .

استولى المسلمون عليها فى عام ٧١٢ م وظلت عربية حتى أخذها Fernandi III of castile فى ١٢٤٨ وانتعشت بعد رسو كولومبس فيها بعد رحلته الاولى للعالم الجديد .

وتصدر : النبيذ ، البرتقال ، الزيتون ، الزيت ، الطباق ، الاوانى ، الفلين ، الزئبق ، الشيكولاتة ، الحرير ، الصوف .

عن دائرة المعارف الامريكية

قصة شارل الخامس المدجنين

٧٣/٧/٢٤

فى الطريق الى اشبيليه

الدليل فى حاجة الى من يدله ··· دليلنا احتار ··· نام فى السيارة ونام عن واجبه ··· ايقظه احمد فضحك الركاب ··· سرعان ما قارن المسافرون بين ضعفه الضعيف وقوة سلفه السيدة الين ··· كانت معلوماتها غزيرة يرفدها اطلاع واسع ونفس حساسة اعطت الشرح لمسات انسانية وتعبيرات أدبية ···

فى الطريق مررنا بمدن أندلسية تقليدية ··· البيوت البيضاء المتشابهة ·· الشوارع الضيقة المبلطة ···

الطريق الى اشبيليه واد خصب ··· الجبال ترى من بعيد وحين تقترب وتسير سيارتنا منها بين صفين فانها خصبة هى الأخرى خضراء السفوح ···

ودخلنا اشبيليه مساء فى الثامنة وعشر دقائق ··· المدخل جديد أى عمارات حديثة رأيت ثلاث نافورات فى ميدان واحد ··· وتذكرت نافورة ميدان التحرير بالقاهرة التى اخذت أجازة طويلة ··

الشوارع واسعة كأنها بحر تسير فيه بواخر لا سيارات ·

فى اشبيليه ثالث كاتدرائية فى العالم (الاولى فى الفاتيكان والثانية « سان بول » فى انجلترا) هذا معقول ولكن أن يوضع صليب فى كل ركن من الجامعة فشىء غير عادى ·· انه لون من رد الفعل القوى الذى يؤكد به صاحبه نفسه لنفسه بمناسبة وبغير مناسبة · ان المسيحية عمار فى القلب وقرار اكبر كثيرا من الطقوس ·

وزرنا فى اشبيليه كنيسة (ماكرينا) انها ثانى كنيسة فيها Caravan وهو مربع كبير عليه تماثيل : قيصر الرومان الذى سمع وشاية يهوذا وحكم على المسيح ، وتمثال زوجته تشفق عليه من هذا الذنب الكبير وما يشبه «طشتا» وابريقا يمسك بهما خادم

ليغسل لقيصر يديه من الاثم ·· وكهنة فى أوضاع شتى · ويرفع الناس هذا على رؤوسهم تبركا ويذهبون به فى أسبوع الآلام الى الكاتدرائية · وفى هذا الاسبوع يعذب الناس أنفسهم تكفيرا عما لاقاه المسيح من محن ··· تماما كما يفعل الشيعة خاصة فى العراق اذا حلت عاشوراء تكفيرا عما لاقاه الحسين فى كربلاء ·· الانسان هو الانسان ···

وفى ٧٣/٧/٢٥ كان عيد قديس اشبيليه أى أجازة فى المدينة ·· جميع المحال التجارية مغلقة · زرنا مبنى البلدية وكان فى الاصل قصرا من قصور الملكية الاسبانية ··· الحقيقة أنه قصر على شكل نصف دائرة فى ميدان عبارة عن أكبر دائرة رأيتها ·· القصر فى الحقيقة يشغل ثلثى الدائرة والباقى حدائق وفى الوسط الميدان ··· منظر غريب حقيقة ···

وفى اشبيليه زرنا الكاتدرائية ·· كانت كالعادة ، مسجدا لم يبق منه الا المئذنة ·

□

وفى الكاتدرائية وجدنا تابوتا من الرخام تحمله تماثيل أربعة يمثل الرجال يحملون كرستوف كولمبوس اشارة الى دفنه فى هذا المكان ولكن الدليل نفسه يعتقد أن هـذا اشارة تخليد أكثر منها حقيقة ·· فى جنوة أيضا بايطاليا تمثال كبير لكرستوف كولمبوس فى ميدان المحطة ·

وروى لنا الدليل الاسبانى أن التليفزيون عندهم طرح مسابقة ·· موضوع من الموضوعات يتقدم كل من آنس فى نفسه كفاءة فيه ليرد على أسئلة المشاهدين مقابل مكافأة كبيرة ·· وعندما طرح موضوع كرستوف كولمبوس بناء على رغبة الجمهور تقدم أستاذ جامعى متخصص وأجاب باستفاضة وعلم عن جميع الاسئلة ··· ثم سأله سائل عن جثمان كرستوف كولمبوس فقال الاستاذ : قد يكون فى أمريكا ··· قد يكون فى الهند ··· قد يكون فى ايطاليا ··· قد يكون فى فرنسا أو أسبانيا اشارة الى أنه غير معروف على وجه التحقيق ·

والكاتدرائية فى اشبيليه كسائر الكاتدرائيات الاسبانية فى الزخارف الذهبية والفخامة المقصودة ولكن المساجد أكثر بساطة

وسماحة لانها موصلة بالسماء ، مفتوحة على النور ٠٠ ان المسلم صلته مباشرة بالله ٠٠ لهذا لا يلجأ المسجد الى الذهب الكثير والتهاويل لانه لا يريد أن يضع رجل الدين فى مقام السدانة والكهانة والوساطة بين الله والناس ٠٠٠ رجل الدين فى الاسلام ورجل الشارع أكرمهما عند الله أتقاهما فلا يملك أحدهما دون الآخر أن يبارك التيجان أو يوزع صكوك الغفران ٠

ان ايمان الشرق العميق بالدين كما يقول توفيق الحكيم يمثله شهداء المسيحية وأصحاب بدر ٠٠٠ وحين تسلم الغرب من الشرق الاديان ، (ألبسها أردية موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ، وأقبضها صولجانات الجاه والسلطان والجبروت الارضى ! ان الكنيسة فى أوربا كانت – فى يوم ما – أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها الرأسمالى لأدق نظام ٠ وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت العالمية، وتقوضها اذا شاءت فى طرفة عين ، فأين ذهبت كلمة المسيح ؟) ٠
وتساءل كاتبنا مرة أخرى :

(كلما همت روح الانسان بالتحليق نحو الأعالى كبلتها أكاذيب الانسان وأنزلتها الى التراب ٠٠٠ كل شقاء الانسانية أنها لا تستطيع أن تترك شيئا عظيما ذا قداسة ، بغير أن تلبسه ثيابا مبتذلة مضحكة ، من حمقها وزيفها وغرورها ! لماذا أراد الناس أن يجعلوا (الله) فى حاجة الى السجاجيد الفارسية تفرش بها بيوته ؟ والسيدة فى حاجة الى (النذور) والنجف والشمع ، كأنها لا تستطيع النوم فى الظلام ؟ ثم ذلك (القمقم) الفضى فى الكنيسة وتلك الاشارات والعلامات ؟ لماذا كل هذا ؟) ٠

وفى اشبيليه زرنا قصر شارل الخامس : لقد طلب من رجاله قصرا صورة من قصر الحمراء فى غرناطة ليكون قصرا لحكمه فلم يجدوا أمامهم الا بقايا المسلمين فى أسبانيا « المدجنين (١) » أو أولئك الذين رحلوا الى المغرب ٠٠٠ ان اليد العربية مدربة على هذا الطراز من البناء ٠٠٠

ومن الطريف أن البنائين زينوا الجدران بالآيات القرآنية وبالرموز الاسلامية ٠٠٠ ماذا ٠٠٠ هذا هو أسلوبهم فى البناء ٠٠٠

---

(١) ٧٠٪ من العرب رحلوا الى المغرب والباقون اعتنقوا المسيحية ذريعة للبقاء وخوفا من الضياع فى أوطانهم الاصلية ، اذ بعد عهدهم بها وانقطع جذرهم فيها ٠

وأعجب شارل الخامس بالقصر وطلب أن يبنوا له فوقه طابقا يكون له دارا ٠٠ ووعده رجاله أن يبنوا له خيرا من القصر العربى ٠٠

وبنى الاسبان هذه المرة ٠٠٠ بنوا طابقا فوق القصر فكان الطابق رقعة فى الثوب الفاخر الجميل ٠٠٠ لا أقول هـــذا بعصبية دين أو جنس ولكن الدليل الاسبانى نفسه قال بالنص (خير للمرء أن يضع راحة كفه فوق مستوى عينيه حتى لا يرى الدور الأعلى اى القبح المجسم) ٠٠٠

وقصر شارل الخامس باق بألوانه كمـا هى لم يتغير لون كما حدث فى قصر الحمراء والمسألة لا تحتاج الى تعليل فهو لم يتعرض مثله للمحو والاثبات وان كان الدليل يعلل هذا بأن الغجر مروا بغرناطة وأتى عليهم الليل وهم أمام قصر الحمراء ذلك البناء الكبير المهجور فى تقديرهم فدخلوا ليبيتوا فيـــه ليلتهم واذا به يعجبهم فقرروا الاقامة فيه وظلوا أعواما حتى انتبهت السلطات وأخرجتهم ولكن بعد أن عاثوا فيه فسادا ٠٠٠ ويبدو أن قصة الغجر هذه نكتة ساذجة يتوارى وراءها خجل الاسبان المحدثين ممـا فعله تعصب أسلافهم ٠٠٠ فلو أن هناك تقديرا للقيم لاحيط القصر بحراس حتى لا يقتحمه أحد ٠٠٠ وهل مثل هذا تظل السـلطة أعواما لا تحس شيئا مما يدور فيه ؟ اذا صدق قول الدليل فهو ادانة مرتين ٠

ومن الطريف أن شارل الخامس بعد أن سـكن الطابق العلوى أو الطابق الاسبانى أمر أن تفتح له أربع شرفات تطل على القـاعة العربية البناء والطراز والنقوش ، وتحيط بها حتى لا تغيب عنه فى مكان من الطابق الأعلى ، وكانت عينه لا تمل النظر اليها ٠٠٠

وقد سكن هذا القصر ملوك أسبانيا على التعاقب بل سـكنه الجنرال فرانكو فى الاربعينات ٠

وفى اشبيليه « المدينة القديمة » نهر الوادى الكبير ٠٠٠ زفاره لا تطاق ٠٠٠ ركود ٠٠٠ كوبرى هزيل متواضع يفصل بين المدينة الجديدة والمدينة القديمة ذات الشوارع الضيقة والحارات والبيوت المتواضعة والزحام وعربات اليد تبيع السلع كالمأكولات ، والأصوات العالية ، وحلوى المولد تباع فى كل مكان اذا استثنينا (العروسة) ٠٠ ومع هذا فالمقاهى والكازينوهات منثورة على طول الشـــاطىء والانوار والموسيقى وجموع الناس تشارك فى هذا كله ٠٠ وبالقرب من اشبيليه Sevill تربى ثيران المصارعة فى أراضى نهر الوادى الكبير المنخفضـة ٠

هذه اشبيليه بلدة المعتضد بن عباد وابنه المعتمد حين كانت مركز الشعر والشعراء الذين كانوا يلوذون باشبيليه بعد أن استولى النورمان على صقلية ، وجال التخريب فى القيروان ، لاذ بمدينة ابن عباد ، ابن حمديس والصقلى والحصرى فنهض الشعر بها نهضة أجرته على كل لسان حتى لنرى (غسالة) تجيز شطرا من الشعر للمعتمد ، وكان قد سأل وزيره ابن عمار أن يجيز الشطر فارتج عليه ... وبادرت الغسالة لتنقذه فأعجب بها المعتمد وتزوجها وهى اعتماد الرميكية المشهورة التى تمنت فى قصره لو عجنت الطين برجليها كما كانت تصنع قديما ! فنثر لها كافورا وعنبرا كثيرا ، وصنع لها منهما ما صبت نفسها اليه !

يا لسخرية القدر .. فالمدينة التى شهدت قصة الحب الشاعرة بين المعتمد واعتماد ، هى نفسها المدينة التى شهت بعد زوال ملك العرب محاكم التفتيش الدامية ورأت أول رئيس لها « توماس دى توركيمادا Tomas de Torquemada يتسبب فى احراق ستة آلاف كتاب فى يوم واحد لانه فى نظره مريب أو مؤيد للالحاد . وخلال الثمانية عشر عاما التى كان فيها رئيسا للقضاة حوكم امامه أكثر من مائة ألف . كما تقول دوروثى لودر مؤلفة كتاب « أسبانيا شعبها وأرضها » .

بقدر ما أساء هذا المتعصب الى المسيحية بما فيها من سلامية ووداعة ، بقدر ما أضاف (باخ) بانغامه ثراء الى المسيحية بما ترجم عنها .

وهذا هو الفرق بين احتراف الدين وتقى الفن ..

□

٧٣/٧/٢٦

قرطبة

الطريق اليها الوادى الكبير .. افسحت الجبال المكان للحقول فلم نعد نراها .. ولكنها استقبلتنا فى قرطبة .. كانت واقفة وراء المدينة .. طالما وقفت وراءها .. لم تتخل عنها الا عام ١٢٣٦ م .. ولم تكن الجبال وحدها التى تخلت عن قرطبة بل تخلى عنها قبل هذا حكامها المفروض انهم حماتها ، بقرنين من الزمان .. صرعوها يوم تصارعوا .. ضاعت وضاعوا .. وكم يروى كتاب

(عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس) من ماس ولو انهم كانوا يعرفون الاسلام حقيقة لكان لهم شأن اخر ٠

القلب المسلم يحس بحنان نحو قرطبة فهى المدينة الوحيدة فى الاندلس وفى أسبانيا التى بقى فيها جامع لا يزال يقاوم المحو والابادة وعوامل الفناء ٠٠ بنوا فيه عدة كنائس بل بنوا فيه كاتدرائية ثم ظل بعد هذا كله مسجدا ٠٠

لم ابك فى قرطبة على المسجد فالاعتداء عليه بهذه الصورة ، بلا شك شوه جماله وحجب الكثير من أنواره فقد حالوا بينه وبين السماء بالاحجار الصماء ، ولكنه بعد هذا كله اثبت قوته وأظهر شخصيته حتى ليترك المشاهد على اختلاف عقيدته ، ما عداه ويتجه اليه هو ٠٠ وهذا ضمان ببقائه ولو بدافع السياحة لا الفن ٠

فى قرطبة يحس المسلم ان له قرابة فى المدينة القديمة سيلتقى بها عندما يزور جامع قرطبة ولعل الجامع أيضا يحس هذا الاحساس ٠

حديقة المسجد الحالية كانت (ميضة) وبرج الكاتدرائية كان مئذنة ٠٠

فى الجامع ١٠٨٣ عمود مختلفة الاشكال ولكن البناء العربى استطاع أن يوحد بينها فى الطول ٠ مزايكو المحراب لألاء يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار ٠

قبة المحراب فيها ارتفاع ووقار العالى ٠ « ان المحراب انبل مكان فى المسجد كما يقول صاحب كتاب (تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس) » ٠ لقد حافظ الخلفاء جميعا على صيانته او زيادته او عمارته كما يحافظون على الصلاة فلم يختص به واحد دون الآخر وكأنه الخيط الجامع الذى يربط بينهم او بين عهودهم وكأن احساسا دفينا كان يحدثهم انه حياتهم بعد الحياة وتاريخهم بعد التاريخ ٠٠

بناه عبد الرحمن الداخل ولم يتمه فأتمه ابنه هشام وتعاقب عليه بالاضافة والتجميل عبد الرحمن الاوسط وبنوه ثم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الذى انفق عليه ١٦١٠٠٠ الف دينار ٠٠

وحين كتب سريو (تاريخ العرب) ذكر ان اعمدة مسجد قرطبة كانت من الرخام مكسوة بالذهب واللازورد وان ابوابه الواحد

والعشرين كسيت بالنحاس الاصفر البراق أما الباب الاوسط منها فكان مرصعا بصفائح من الذهب تعلوه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب ·

يقول كتاب (قرطبة فى التاريخ الاسلامى) ان ممرا به كسيت حوائطه بالفسيفساء كما كانت تجرى فيه الفضة ، وأن منبره كان مصنوعا من العاج ونفيس الاخشاب · وكان يتألف من ست وثلاثين ألف حشوة سمرت بمسامير من الذهب والفضة كمـــا كانت بعض هذه الحشوات محلاة بالاحجار النفيسة ·

يقول كتاب قرطبة أن مسجدها العظيم (كان ينـــار فى الليل بسبعمائة وأربعة آلاف من المصابيح ، ويستنفد فى كل سنة أربعة وعشرين ألف رطل من الزيت ، وعشرين ومائة رطل من العنبر والند (العود) ·

أما مصباح المحراب فكان مصنوعا من الذهب الخالص ، ويقال انه كان بالمسجد تنور من نحاس أصفر يتسع لألف مصباح ··

فاذا غربت الشمس بدأت فى المسجد حركة المســـاء ·· موكب الرجال الثلثمائة القائمين على خدمة المسجد يوقدون البخور من العنبر والعود ، ويعدون الزيت والعطر لاضاءة عشرة آلاف فتيـل للقناديل ويسرى فى المسجد وما حوله نفح البخور · ويتلألأ فيـه النور ·· ويستريح فى مثواه مروان بن محمد ، ويغفر للزمان هزيمته فى موقعة الزاب ما دام الامويون عادوا فصارت لهم فى الغرب خلافة زاهية تضاهى خلافة غرمائه العباسيين فى الشرق ·· والاسلام بين الخلافتين ممعن فى التحليق بجناحين من سلطان ·

حتى كانت سنة ٦٣٤ هـ ـ ١٢٢٦ م

سقطت قرطبة ·

لان الخلافة قبلها كانت دالت ·· وزالت أيامها ·

وتحول المسجد دون أن يحول ·

تغير الزمان وأغار ·· تبدل الملوك والعهود ·

شىء واحد لم يتغير وظل وجودا فى الوجود ·

انه اسم الجامع العظيم ·· « مسجد قرطبة » ·

حتى حين بنى عبد الرحمن الناصر (الثالث مســـجد الزهراء كان يسمى فى الجمع والاعياد الى : « مسجد قرطبة » ·

وتنفتح أسبانيا الحديثة على السياحة وتنتشر فيها العمارات الشاهقة المزودة بكل الوسائل الحديثة فى البناء ولكن السياح يسعون كعبد الرحمن الناصر ، الى : « مسجد قرطبة » .

يذهب المال وتذهب الدول والعروش .. ويموت الملوك ويظل الفن .. فى دنيانا ..

هو وحده الباقى كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منماة ..

مسجد قرطبة تحس أن بانيه توضأ قبل أن ينظم الاحجار فى جدار .

انه مترع بالقيمة روى من السكينة حتى ليشيع السلام فى القلب وهو الذى يحمل آثار الاعتداءات عليه كما كان المصريون القدماء يسمون أوزوريس امير السلام ، وهو الذى قطعه سيت أربا ، واكثر من مرة .

مسجد قرطبة له فى كل زاوية وكل ساعة رؤية جديدة . ان الفن المعمارى فن تشكيل الفراغ .. فن تنظيم الفراغ وهو فن يبدو للعين العادية ثابتا جامدا ولكنه فن متحرك يتحرك بحركة المشاهد فهو يتقابل ويتقاطع وتتداخل فيه القبوات والبواكى وتشكل الاعمدة من زوايا الرؤية المختلفة غابة معمارية ..

وغير المسجد ما زالت أسبانيا اليوم تحتفظ بتحف فنية نادرة من تراث ذلك العصر مما أورده الاستاذ عبد الله عنان فى كتابيه : «نهاية الاندلس» و «الآثار الاندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال»

بل ان أسبانيا تحتفظ اليوم ببقية من براعة تلك العصور فى صناعاتها المختلفة خاصة اليدوية ، التى تقع فى أسر الزخرف الاسلامى مما يبهر جيرانها من الشعوب الاوربية ..

ما زلنا فى المسجد وعند موضع الكاتدرائية من الجامع يقول الدليل : هذا المكان كان قبلا المعبد الرومانى .. أتى المسلمون فأقاموا عليه مسجدا .. ثم أتى المسيحيون فبنوا فوقه كنيسة ومن يدرى متى وكيف يكون التغيير القادم بعد مباراة البنج بنج يشير الى مباراة البنج بنج بين أمريكا والصين التى كانت فاتحة تلاق بينهما . .

سكان قرطبة ثلث ما كانوا عليه .

فى العهد الاسلامى كان المسيحيون والمسلمون يعيشون مع اليهود فى سلام .. فعلى مقربة من جامع قرطبة يقوم حى اليهود وفيه الآن تمثال ابن ميمون .. ويسكنه اليوم ، الاسبان بالطبع .

وبعد حى اليهود ، شاهدنا « دوارا » اندلسيا ·· حجرات كثيرة تسكن كلا منها ، أسرة ولكن المدخل جميل فقد كسيت جدرانه من الارض الى السقف بأصص الزهور ·

فى عودتنا من زيارة الجامع ، رأينا تمثال ابن رشد ··· لقد افاقوا ···

الحرارة فى قرطبة خانقة فقد بلغت ٤٨ درجة · كان الاجانب من رفقاء الرحلة يسمون الشارع « فرنا » ولكنها على كل حال حرارة بلا ذباب وقد نسيت أن أسأل الاسبان عن سر اختفاء الذباب عندهم مع حرارة جوهم ·

ولكن لم أنس الصورة الاولى لقرطبة ·· ان قرطبة اليوم تعلو وجهها مسحة من حزن نبيل فلا هى تزهو بأثوابها الزاهية أقصد متنزهاتها ولا هى تبعث الأنغام ولا هى تدل بالابهة ··

وتذكرت لجوء اردنيو الرابع الى الخليفة الحكم حين وفد عليه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه عام ٩٦٢ وراعهم ما فى قصر قرطبة حين دخلوه ثم راعهم بعده قصر الزهراء الذى استدعاهم اليه الحكم بعد يومين · تذكرت الحكم وهو جالس فوق سرير الملك ··· واردونيو يسعى اليه ··· للمثول بين يديه مما يصفه بتفصيل الاستاذ عبد الله عنان فى كتابه (دولة الاسلام فى الأندلس) (فلما وصل الى المجلس الخلافى كشف رأسه وخلع برنسه ·· ولما دنا من سرير الحكم سجد أمامه ثم قبل يده · ثم ارتد راجعا الى كرسى من الديباج المثقل بالذهب) ·

وتذكرت ضاحيتها الجميلة « الزهراء » ولیالی شاعرتها « ولادة » وفارسها وشاعرها « ابن زیدون » وتلمیذتها مهجة القرطبية ، وحفصة بنت الحاج الركونية ، وعائشة بنت أحمد القرطبية · وكن جميعا كما جاء فى نفح الطيب (موصوفات بالجمال والظرف ، الا عائشة فقد استغنت بالفهم والأدب والفصاحة) ·

وتذكرت (مكتبة قرطبة) أو مكتبة الحكم المستنصر ذات المائتى الف مجلد جمعها صاحبها من افريقية وفارس وسائر البلدان ·· لان الحكم كان حاكا وعالما حتى قالوا أنه قلما يوجد كتاب فى مكتبته الا كان له نظر فيه وتعليق عليه ·· يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بغرائب لا توجد الا عنده · وكان يجمع فى داره المهرة فى صناعة النسخ والضبط والاجادة فى التجليد ويغمرهم بالمال فكانت داره اشبه بمجمع علمى ·

كان ياما كان ..

ومكتبة قرطبة ذكرتنى بمكتبة أخرى مكتبة طليطلة التى قال عنها « فياردو » فى الجزء الثانى من كتابه أن بها آثارا عظيمة تدل على ما كان للعرب من التقدم فى فن الموسيقى .. وأن (هناك جزءا من المخطوطات فى الموسيقى عليه بعض ملاحظات بخط الفونس العاشر ، الذى كانت كل معلوماته وتربيته العقلية مكتسبة من قراءة الكتب العربية) .

نعم فقد أقبل الاسبانيون عندما كانت قرطبة عاصمة الملك العربى ، على تعلم اللغة العربية حتى هال أسقفها ألفارو Alvaro الامر فكتب يشكو أنه لا يجد بين الالوف من أبناء طائفته من يستطيع أن يكتب رسالة باللاتينية المقبولة بينما يتقن الكثيرون العربية وينظمون فيها الاشعار بمهارة لا تقاربها مهارة العرب أنفسهم !! . وياقوت فى (معجم البلدان) يروى أنه سمع من كثيرين (أن أهل شلب يقل بينهم من لا يقول شعرا حتى الفلاح منهم اذا مر به أحد وسأله عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحه عليه) . ويقول د. أحمد ضيف أنهم كانوا ينقشون الشعر على جدران المساكن وأبنية الحكومة واتصل الشعر بالحوادث العامة والاجتماعية ، وكان من وسائل الرقى، وكان من دواعى السلم والحرب ، وفك أسر المسجونين ، والعفو عن المجرمين) .

كل شىء وصفوه شعرا : القصور والحدائق ومجالس الغناء ومناعم الزينة وصفوا النفوس واختلاجاتها وصفوا الكنائس والاديرة .. لم يدعوا شيئا لم يصفوه حتى كادوا أن يتكلموا شعرا .

كان ياما كان ..

ولعل طريقة تعليم العربية فى الأندلس سبب من أسباب ازدهارها . فقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الثلاثين عن (تعليم الولدان واختلاف أنصار المذاهب الاسلامية فى طرقه) مشيرا الى طرق التعليم فى بلاد المغرب وفى بلاد الاندلس . وقارن بين مختلف هذه الطرق ومن هذا الفصل تتبين أنهم كانوا يعلمون العربية وأدبها من شعر وترسل مع القرآن الكريم جنبا الى جنب على خلاف أهل المغرب والمشارقة الذين كانوا يبدأون بتعليم القرآن الكريم دون سائر العلوم .

وقد دخلت الالفاظ العربية فى اللغة الاسبانية وتداخلت وكيفتها تكييفا كبيرا فى زمن شارل الأصلع ٠٠٠ حتى ترجم قسيس من أهل اشبيليه فى القرن التاسع ، التوراة لتلاميذه ، الى اللغة العربية ٠

وقد دامت هذه الحال زمنا طويلا فى قرطبة وطليطلة حتى أن القسس ، لضيعة اللاتينية ، اضطروا الى ترجمة كتب الكنيسة الى اللغة العربية ٠ وبقى ذلك الى أواخر القرن الحادى عشر ٠٠ أى بعد أن استولى الفونس السادس على طليطلة عام ١٠٨٥ م ٠

والاسبان اليوم يقولون عن القنطرة Alcantarrilla وعن القناة Cantilla بل أن عاصمتهم مدريد تتألف كما يقول الدكتور مكى فى كتابه (مدريد العربية) من (لفظ عربى خالص « مجرى » أضيفت اليه مقطع نهائى من اللاتينية الدارجة (ـ يط) الذى يدل على التكثير) فمعنى الكلمة اذن « المدينة التى تكثر فيها المجارى أى القنوات الجوفية التى كانت تحمل الماء الى سكان المدينة وبيوتها وحدائقها ٠

كان الفنـــان فى « جــويا »
اكبر من الملك « فردناند » الســابع

٧٣/٧/٢٧

مدريد

فى التاسعة صباحا تحركت السيارة من قرطبة فى طريقهـا الى مدريد · فى مدريد حديقة جميلة عليها تمثال للاديب الاســبانى « سرفانتس » بل تمثال « لدون كيشوت » بطل قصته المشهورة ··· بل ان صحراء المانشا الجرداء خلقت منها أسبانيا معلما سـياحيا باعتبارها طريق دون كيشوت لما بها من طواحين الهواء ·

هذا هو مكان الأدب فى أسبانيا ···

وفى مدريد زرنا القصر الملكى ويطلقون عليه لفظ Alcazar وهو كما يقول الدكتور مكى ، (تحريف لكلمة « القصر » العربية) · وهو يطل من الناحية الغربية على سهل منبسط فسيح يمتد بين القصر ونهر المانثاثارس ، ويعتبر اليوم من منازة مدريد ، ويطلق عليه الآن اسم « مرج العربى »قصر به ٢١٠٠ حجرة أعلن الدليل فى بداية المطاف أنه سيقودنا الى ٤٢ حجرة فقط فيها الكفاية لنا ، وله ·

هذا القصر بناه البوليتكان ولم يشأ فرانكو أن ينزل فيــه ··· مصلحة أسبانيا أن يصير متحفا ···وباسم أسبانيا تستعمل منــه ثلاث حجرات فقط فى المناسبات الكبرى : حجرة العرش ، حجرة السفراء لاستقبالهم حاليا ، حجرة الطعام فى الولائم الرسمية لرؤساء الدول ·

ماعدا هذا مضروب حوله كوردون حتى لا تمسه يد ··· العين وحدها كانت تلمس وتنفذ الى بعيد ·

سجاد القصر فى مواضع سـير المشاهدين غطى بسجاد حديث حتى لا تطأه قدم · الستائر مغلفة بالنايلون حتى لا تتأثر باللمس ·

على الاقمشة أو التلوين المعرض منها للمس فى مداخل الحجرات .
زجاج حفظا لها . مصلى القصر لم تمس منذ سنة ١٩٣١ .

فى القصر حجرة للساعات وفى القصر ساعة تقيد النظر يدعوها الدليل Wow وهى الكلمة التى يطلقها الامريكيون عند البهر الشديد .

وفى القصر أثاث ورياش ونجف « ملوكى » ...

لقد قامت فى أسبانيا ثورة أهلية دامت أربع سنوات بين فرانكو والشيوعيين ولم يمس أحد الجانبين القصر وذخائره ونفائسه ... الكل احترم ملكية البلد له ـ اذا استثنينا حجرة البيانو فقد استطاع شقى أن يتسلق النافذة ويحدث خدوشا فى السقف .

لم أبك فى غرناطة حين رأيت قصر الحمراء ..

ولم أبك فى قرطبة حين رأيت الجامع وما آل اليه ..
ولكنى بكيت فى مدريد حين رأيت القصر الملكى الذى صار متحفا
كأنه صيغ من أحداق .. متحفا يدر الملايين على أسبانيا ..
هنا فقط بكيت على قصر عابدين ورأس التين ..

□

متحف الفن فى مدريد :

وهو متحف جامع فهو يضم مع الفن الاسبانى قسما للفن الايطالى وقسما للفن الفرنسى وهكذا ... طبعا الدليل دخل بنا القسم الاسبانى واستهله بأعمال الفنان الاسبانى « بلاثكا » .

(بلاثكا) كان « انسانا » .. يتجلى هذا فى لوحته (النصر) فقد صور بريشته نصر أسبانيا وكيف سلم العدو ، المفتاح ، فاذا بالمنتصر يأخذه فى رحمة لا شماتة ...

فى المتحف الاسبانى رأيت قاعة كبيرة ليس فيها الا لوحة واحدة ... هى لوحة La Meninas أى البنت ... وأمام اللوحة مرآة بزاوية معينة لتجسيد اللوحة .. وعندما تشاهد اللوحة من خلال المرآة يخيل اليك أنها تتحرك ... تنهض .

ان اللوحة من خلال المرآة خير منها على الطبيعة ...

على أن لوحة (الغزل) بدون مرآة تكاد العين ترى دوران العجلة .

وبلاثكا كان يحب مدرجات اللون الواحد . فلوحته (الاميرة)

تستطيع أن تسميها Red in different tones على أنى أريد هنا خاصة أن أقف عند لوحته التى تصور كيف وقف الله وراء المسيح فى محنته ··· : لا أريد أن تتخيل صورة (الله) بل رسمه ولكنى أريد أن أشير الى حرية الفنان فى التعبير رساما أو كاتبا حتى مع الله فى قدس جلاله فما بالك بما هم دون الاله بل دون الناس ·

وبعد (بلاثكا) انتقلنا الى قسم الفنان جويا من المعرض ·

الجدران مبطنة بالقطيفة الحمراء كخلفية للصورة ···

صور (جويا) بشاعة الحرب فى لوحة تمثل رجلا يأكل ابنه والدم يقطر من فمه رمزا لقسوة الانسان على أخيه الانسان بل قسوته على نفسه وهل الولد الا النفس النفيسة ؟

صورة مرعبة أبلغ من ألف موعظة فى اجتناب الحروب ·

أما لوحة (الدين) فقد رسم فيها موكبا دينيا وفيه انسان يعزف وآخر يلهو ، ولاهون كثيرون مشغولون بتوافه الاشياء ···

كان (جويا) يعيش فى عهد ملك أسبانيا شارل الرابع ··· ولما جاء فرناند السابع وكان جويا يكرهه ··· وأراد الملك أن يعلن سطوته ويعرف جويا أنه الآمر الناهى فطلب اليه أن يرسمه فوافق جويا وهو يخفى ابتسامة ساخرة ·· نعم كان الفنان فى (جويا) أكبر من الملك فى (فردناند) السابع فقد رسمه حقا كما أراد ولكنه جعل امضاءه بالمقلوب بحيث يعطى قارىء الامضاء ظهره للملك المرسوم ··· والى الأبد !! · وفى بروتوكول الملوك تقضى (الجلالة) أن يترك المرء (حضرة) الملك وهو يسير الى الوراء ··· وجهه كولائه للملك الذى لا يرى – أو المفروض – ظهرا أبدا ···

وهكذا سخر (جويا) من الملك ومن احترامه المرسوم وبروتوكوله الموضوع والمصنوع ·

□

٧٣/٧/٢٨

مدريد ·

نصب الشهداء :

قبل زيارتنا للاسكوريال زرنا (نصب الشهداء) فهو فى الطريق اليه بينهما خمسة عشر كيلومترا ··

ونصب الشهداء بناء ضخم نحت فى الجبل عمقه ثلاثمائة متر وارتفاعه ٤٥ مترا · أما الصليب فقد أقيم فوق قمة الجبل نفســه وارتفاعها ١٥٠ مترا فاذا عرفنــا أن الصليب ارتفاعه أو طوله ١٥٠ مترا فوق القمة ، تبين لنا أن ارتفاعه عن ســطح الارض ٣٠٠ متر ·

كل هذا منحوت فى الجبل ومازال الجبل يطل على المبنى ويكتنفه من الخارج ···

أما الداخل فكالعادة كاتدرائية يفضى اليها باب ضخم والممر طويل على جانبيه التماثيل الضخمة البرونزية منها تمثال المسيح يضـاء بالكهرباء ·

□

الاسكوريال

قصر الاسكوريال بينه وبين مدريد ٥٢ كيلومترا ··· الدعاية عنه طنانة اكبر منه بكثير ··· لا شىء فيه يشبه أبهة القصور ··· انه أشبه بثكنات الجنود ··· شكله تماما كقشلاق عابدين ·

احجاره صماء عيية لا تقول شيئا ··· أقباؤه غبية مظلمة ···

◇◇*◇*◇*◇*◇

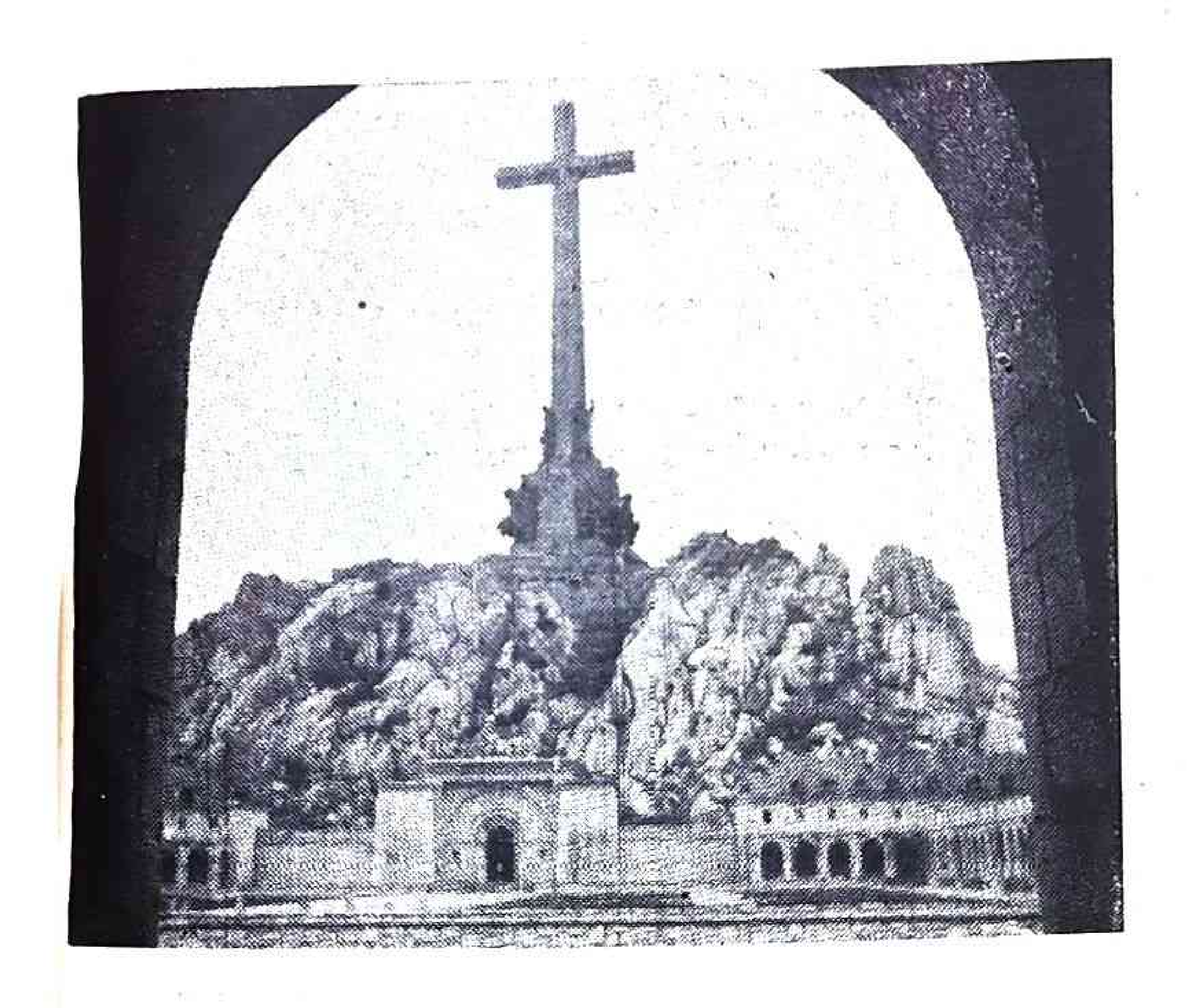
الاسكوريال

هذا البناء الضخم فى حرمة الجبـــال الجرانيتية « سيارا دى جودا راما » Sierra de Guadarrama وبنى فى حكم فيليب الثانى · وقد أخذ هذاالبناء ٣٠ عاما لانشائه بتكاليف ٥٧٠ر٢٦٠ر٥ دوكاتس (العملة فى هذا العصر) ·

بهذا القصر : ١٦ فناء و٦٧٣ر٢ نافذةو٢٠٠ر١ باب و٨٦ مجموعة من السلالم و ٨٨ نافورة وممرات مجموع طولها ١٠٠ ميل وهو قصر من طراز معروف باسم « Estilo Herreresca » طراز هيريرا · وجوان دى هيريرا (حوالى ١٥٣٠ ـ ١٥٩٧) كان مهندس فيليب الثانى الذى أكمل عمل استاذه « Juan Bautista de Toledo » الذى بدأه فى ١٥٦٣ ·

عن كتاب Wonders of the Ronald Goock

◇◇*◇*◇*◇*◇



النصب التذكاري فى مدريد

وكم تبلغ ثمن تذكرة الشركة السياحية التى أخذتنا اليه أو زرطته فى رحلته ؟ ٣٥٠ Pizetta أى ما يعادل أربعة جنيهات مصرية للفرد الواحد !! وعرفت على الطبيعة معنى عبـــارة (التميز من الغيظ) حتى الاولاد كانوا يبرطمون متأففين ... وتساءلنا أكثر من مرة كيف يتكلف السائح هذا المبلغ لمشاهدة هذه الكآبة ثم تجعل مصر رسم المتحف ٢٥ قرشا !! أهو الجهل بما يجرى فى الخارج ؟ أم الجهل بقيمة ما فى الداخل ؟ بقيمة المتحف .

وسألت أكثر من مرة عن (المكتبة) مكتبة الاسكوريال هدفى من الرحلة فاذا بالدليل مرة يقول ليس هناك وقت للمكتبة !! كأن الشركة أو المشتركين فى الرحلة لهم عمل آخر ... ومرة يقول أن تذكرة الرحلة تتضمن المكتبة وباقى القصر ولكن للمشتركين عن يوم كامل

ويدفعون ٥٥٠ بزتا أى ما يعادل سبعة جنيهات مصرية ·· ومرة يقول أنها مغلقة !!

ودخلنا قصر الاسكوريال حيث لم يبق غيره ·· حتى الأثاث كرسى هنا وكرسى هناك ··· ليس به شيء يمت الى القصر بصلة الا اللوحات المعلقة على الجدران والتى استغرقت احداها ستة عشر عاما من عمر الفنان ليرسمها · لقد كتب القوم تاريخهم بالريشة والألوان ···

كتب تاريخ اليونان ، الشاعر ···

وكتب تاريخ أوربا ، الرسام ···

وكتب تاريخ مصر ، الفن التشكيلى ···

واستوقفتنى طويلا لوحة المعركة التى دارت بين العرب والاسبان ··· هذه اللوحة وحدها تشغل جدارا كاملا طوله نحو مائة متر !!
وعلى الجدار الصغير لوحة المعركة التى دارت فى البحر ···

اذن لم يسلم العرب الاندلس تسليما بل خاضوا دونها المعارك فى البر والبحر ··

وفى الاسكوريال نزلنا سلالم وراء سلالم ·· سلالم ضيقة مظلمة حتى تخيلت أننا غصنا فى باطن الارض وأخيرا انتهينا الى قاعة مستديرة كسيت جدرانها بالرفوف ··· رفوف مرصوص فوقها توابيت الملوك والملكات ·· فقط اللائى أنجبن ملوكا ·· ومع هذا وضعن فى رفوف متتالية وحدهن ··· أى أن قاعة التوابيت الاسبانية فيها (حريم) ·· واحدة فقط شذت عن القاعدة وأصرت ، فى حياتها بالطبع ، أن يكون تابوتها بين توابيت الرجال ··· هى الملكة اليزابيث الاسبانية ·

ومن الطريف أن بعض التوابيت ليس عليها أسماء ·· انها محجوزة للأحياء من الأسرة المالكة ·

التوابيت قوائمها القصيرة على شكل قدم الأسد بأظافره ·· وعلى القاعة قبة لونها أسود محلى بزخارف من الذهب ··· والشموع مضاءة ··· أى أن المقبرة فيها من معانى القوة : المال ومخالب الأسد ولكن هذا كله لم يغير من الأمر شيئا ··· مازالوا أمواتا تحجب عنهم التوابيت كل شيء ··· ذكرنى هذا بالـ Cemetairo فى جنوة وهى مدينة الاموات ·· زرناها يوم اثنين أى عقب زيارة الاحد فالزهور مازالت رفافة لم يلحقها الذبول والشموع على القبور ما زالت مضيئة لم تنطفىء كشموع تحتها ·· فى مقابر جنوة الرخام يتضوأ فى الشمس والفوانيس الجميلة على القبور ، والأزهار لها

تجويف محسوب فهى على قبر الوانها مبتهجة كأنها لا تعلم شيئا عن طبيعة المكان الذى تمرح فيه على خيوط الشعاع ولكن الـCemetairo برخامه وفوانيسه وشموعه وزهوره لا يرد الروح ٠

مهما جمل الانسـان الموت وفخم القبر فالموت كريه بغيض ٠٠ والانسان يكره الموت ويفزع منه ولكنه يتفنن فى بناء القبر ٠٠٠ هل هو آخر تكريم للأحياء ؟

وفى نهاية الطواف أو المطاف رأينا حجرة الملك فيليب الثانى ٠٠ على البلاط ! سرير يقف هزيلا مفردا وسط حجرة صغيرة بلاط ، لملك أراد أن يكون فيها متواضعا بلا جلالة أو بلاط ٠٠٠

بقى أن أقول انى مع الرؤى اكتسبت عدة كلمات أسبانية حرصت على حفظها كبصيص لحياة كل يوم أثناء الرحلة :

صباح الخير Buenos dias سلاما Adios

ماء Agua fria السوق Mercado

ميدان Plaza بكم Cuanto

طريق Via أقل Menos

شكرا جزيلا Muchas gracias وحدة العملة الاسبانية Pezeta

من فضلك Por favor رجل Hombre

وحرف (ل) ينطق فى الاسبانية خاء امرأة Mujer

□

وقفنا أمامها لحظات ٠٠ عيوننا لمستها ٠٠ طفنا بها ٠٠ سلمنا ٠٠ هلل الشوق وتكلمنا ٠

٧٣/٧/٢٩

من مدريد الى باريس

أخذنا قطار الـ Talgo (مع تفخيم التاء قليلا) فى الثامنة صباحا ٠٠ ركبناه قبل الموعد بنصف ساعة ٠٠ وقبل أن يلحقنا ملل الانتظار انبعثت من القطار موسيقى جميـلة هادئة ٠٠ ثم رحبت أصوات نسائية مختارة ، بالاسبانية والانجليزية والفرنسية والالمانية بالمسافرين وتمنت لهم رحلة سعيدة وطمأنتهم بأنهـا ستعلن عن المحطات التى يقف فيها القطار ، فى حينها ٠٠

الموسيقى تعزف بين الحين والحين فتزيد جمال المناظر الطبيعية جمالا وعمقا ٠٠

قبيل San sebastian وهو مصيف كبراء اسبانيا يصل رجل الحدود الاسبانى وعلم على جوازات السفر بالخروج ..

فى تمام الساعة الثانية والربع بعد الظهر وصلنا محطة (اندايا) Indaya مع تفخم الدال نوعا .. وهى آخر بلدة على الحدود بين اسبانيا وفرنسا وتنطق بالفرنسية Hendaya

مررنا أمام رجال الجمارك ورجال الجوازات فى دقائق .. لم يحاول أحد أن يستوقفنا أو يلتفت مجرد التفاته الى الحقائب .. واتجهنا الى القطار الواقف على الرصيف المقابل .. وهو القطار الفرنسى الذاهب الى باريس ..

بدأ القطار يتحرك فى تمام الساعة الثانية والنصف . لاحظنا فى المحطة العمال يغسلون القطارات الواقفة فى الخارج .. أحدهم يغمس فرشاة ذات يد طويلة فى اناء واسع به ذوب الصابون والآخر فى أعقابه معه أداة رش يغسل الصابون بالماء .. هذا من الخارج ومعناه أنهم بالداخل أشد عناية .

سار القطار بطيئا أول الامر حتى شككنا فى أننا أخذنا القطار الصحيح أى السريع .. وظل الحال على هذا البطء ساعة تقريبا بعدها أخذ القطار يمرق كلمح البرق .. اثبت لنا أنه السريع ..

رأينا السين أول مرة فى ثلث المسافة تقريبا . سارت معنا شمس الغروب مسافة ربع ساعة قبل محطة تورز التى وقف بها القطار فى الثامنة والنصف مساء ..

وصلنا باريس فى تمام العاشرة والنصف .. لم يتأخر القطار دقيقة عن موعده لفت انظارنا أننا ركبنا ونزلنا لم نر عامل التذاكر أو الحقيقة أننا رأيناه ولكنه لم يدخل ديواننا (الباب مفتوح) ولم يطلب الينا شيئا .. ربما لانهم يعرفون أن هذه المسألة تمت فى قطار اسبانيا ، بالشكل الوظيفى التقليدى لقد وقف عامل التذاكر الاسبانى طويلا أمام نصف تذكرة أحمد وطلب جواز السفر ليطابق السن وهو ما لم يحدث فى سائر البلاد الاوربية التى زرناها والتى مررنا بها وخاصة انجلترا فان عامل التذاكر الانجليزى فى قطار لندن لم يلتفت مجرد التفاتة الى تذكرة أحمد بل علم تذاكرنا الخمس . ومع كل تذكرة يقول شكرا Thank you باللكنة الانجليزية وفى أدب جم حتى ابتسم الاولاد وقالوا أما كان يكفى أن يقول (شكرا) مرة واحدة حين يرد التذاكر ؟ ثم علام يشكرنا بكل هذا

الادب المفرط ؟ اننا لم نسد اليه معروفا ٠٠ واجبنا أن نبرز تذاكرنا عند رؤيته ٠٠ وواجبه أن يطلبها ولكنه الخـــلق الانجليزى وفن كسب قلوب الناس ٠

نعود الى باريس ٠٠ فى المحطة عربات صغيرة ذات عجلات يسحب المسافر عربة ويحمل عليها أمتعته ويجرها بمنتهى السـهولة ٠٠ عربتنا وفوقها حمل بعير كما يقولون أو فى الحقيقة حمـل قافلة بأسرها ، جرها أحمد الصغير ٠٠ الحياة هنا سهلة ٠٠ لقد رأيت فى ايطاليا التصوير الفوتوغرافى فى أماكن كثيرة يدخل الانسـان ويصور نفسه بالضغط ، فى دقيقة ويأخذ صوره ويخـرج ! انه الحرص على الوقت والحرص على راحة الانسان وتيسير الحيـاة على من يعيشها ٠٠

****

مدينة النور

على جانبى نهر السين ، فى الجزء الشمالى الاوسط من فرنسا ، تقع باريس وهى تعتبر المركز التجارى والمالى والسياسى فى فرنسا ٠ على أن معظم المنتجات الثقيلة والرئيسية للبلاد تصنع فى مصـانع تقوم فى أطراف المدينة وخارجها ٠ وتحتل المدينة واحدا وأربعين ميلا مربعا ٠٠٠ وتعتبر من اكثر المدن ازدحاما بالسكان فى العالم ٠

ويقع قصر اللوفر على الضفة اليمنى من النهر ، وتقع الاكاديمية الاهلية للموسيقى شمالا ، وهى الاوبرا ٠ وقريبا منها تقع كنيسة المدلين ٠ وهناك ايضا فى ميدان الكونكورد ، وكانت توجد المقصلة التى أعدم بها ملك وملكة فرنسا أثناء الثورة ٠

أما الآن فان الميدان يزدان بالمسلة المصرية ٠ ويواجه قوس النصر ، الكونكورد على امتداد شارع الشانزيليزيه الشهير ٠

ومن أشهر أحياء الضفة اليمنى حى مونمارتر حيث الطرق الملتوية والبيوت ذات الطابع المعين ، ويمكن رؤيته من كنيسة القلب المقدس (ساكركير) التى تقع على ربوة خضراء جميلة ٠

أما أقدم أجزاء الضـفة اليسرى للنهر فهو الحى اللاتينى حيث تقع السوربون وهى جزء من جامعة باريس ٠٠٠ على هذه الضفة أيضا يقع واحد من أشهر معالم باريس ، برج ايفل بل هو رمزها الشـهير ٠

انها باريس عاصمة الثقافة والجاذبية والجمال ٠٠ مدينة النور ٠

« دائرة المعارف الامريكية »

****

٧٣/٧/٣٠
باريس

اليوم رأيت مصر بعد شوق ٢٢ يوما ·· فى ميدان الاوبرا سألنا شرطى الميدان عن ميدان الكونكورد حيث تقف المسلة المصرية شامخة ··ذهبنا اليها أول شيء كمن يسعى الى قريب له فى بلد غريب ·· وقفنا أمامها لحظات ·· نعم هى ·· المسلة المصرية ·· عيوننا لمستها ·· درنا حولها ·· طفنا بها ·· سلمنا وحيينا ·· فى هذه اللحظة كنا نتمنى أن يرانا الناس كل الناس ويعرفوا أننا مصريون ·· أننا أصحابها ·· ليت الفرنسيين كلهم يروننا فى هذه اللحظة ليعاملونا معاملة الضيف العظيم ·· أقصد ضيف ابن ناس ·

ميدان الكونكورد فسيح فسيح ·· ليت العمر فى مثل فسحته · وسطه المسلة المصرية رفعوها على قاعدة عالية فكانت بطولها الصاعد صلة بين السماء والارض ، كما هى صلة بين مصر والعالم المتمدين ··

اذا وقفت عندها ترى على دوران الميدان متحف اللوفر وعلى بعد قليل قوس النصر ·· وعلى مد البصر برج ايفل ونهر السين ·· ان ميدان الكونكورد أو ميدان المسلة هو كل شيء بالنسبة الى السائح وخاصة اذا كان مصريا ··

سرنا على وعد صامت معها بالعودة ليلا ونهارا ما امتدت اقامتنا فى باريس ·· من أجلها حجزنا فندقا آخر قريبا منها فى نصف المسافة بينها وبين ميدان الاوبرا ·· الفندق أغلى من الفندق الاول وأقل جمالا ومظهرا ولكن يكفينا أنه يدنينا منها ثم هو يمكننا من مشاهدة أهم المعالم السياحية لباريس ومتاجرها واضوائها ·· ان الشركات السياحية الداخلية تجعل رسم زيارة كل معلم من هذه ثلاثين فرنكا للشخص !! وقد تورطنا مافيه الكفاية فى مدريد ·· فلنستفد من هذه التجربة فى باريس ·

رأينا اليوم فيما رأينا محل (لافاييت) ·· انه مدينة داخل المدينة ·· سنعود اليه باذن الله غدا ولكن ما رأيناه منه اليوم يذهل الزائر الغريب ·

المترو فى فرنسا يسير فى أنفاق تحت الارض ويعبر نهر السين !! أحلم بأنفاق تحت الارض فى القاهرة تستوعب خطوط مواصلاتها كلها ليعود الى العاصمة الجميلة والجليلة هدوؤها ورقتها ودماثتها

الاولى .. عندما تسير المواصلات فى الانفاق ويسير النــاس على كبارى المشاة تصفو القاهرة وتهدأ بالامن من الزحام الذى يثقل عليها .. يعود الينا وجهها الجميل غير مكدود .. الوجه الرائق المعبر القسمات لان عالمه مملوء بالاسرار والرؤى .

٧٣/٧/٣١

وذهبنا الى الشانزليزيه وقوس النصر .. دخلت مبكـرة فى الشارع الايمن .. خدعتنى خضرته ومجموعة الاشجار الكبيرة فى مدخله ثم دخلت بعد دقائق على اليسار الذى أفضى بى الى شارع الشانزليزيه ولكن فى نهاية حدائقه تقريبا .. الجديد فى الشانزليزيه فساتين السهرة المزركشة والمرصعة .. سأنتظر حتى أرى بداية الشارع لانه الى الآن فى نظرى مكرر مع جماله واتساعه .. ليس فى حجم شهرته العريضة ..

أما قوس النصر فعادى جدا اذا قيس بما عنـــدنا من بوابات وأقواس وروائع .

□

على مسار العصور

٧٣/٨/١

متحف اللوفر

على يسار الداخل قاعة للآثار الرومانية وقاعة للاثار اليونانية ولكنك بعد أن تصعد السلم تجد القسم المصرى به عدة قاعات للفن الفرعونى وكذلك الفن القبطى .. أما الاسلامى فقد كان مغلقا ..

لوحات من عهد الاسرات القديمة ..

قاعة كاملة لتمثال أبى الهول ..

معبد صغير مغلف بالزجاج يضاء بالكهرباء ..

نسيت أن أقول أن فى مدخل القسم المصرى منضدة عليهـا كتب عن الفن المصرى منها كتاب عن (مصر فى الانجيل) ..

فى القسم المصرى فاترينة زجاجية ضخمة فيها كسر احجار من مصطبة من عهد الملك أوناس .

فى الحائط بيوت زجاجية مبطنة ومضاءة .. وبعد هـــذا كله قطعة .. نثارة من تمثال صغير للنيل فى التحاريق ..

جدار كامل عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه عشرة أمتار لاجل جزء من باب طوله ٧٥ × ٥٠ سم .

ركن بارز لاسرة مصرية قديمة غير معروفة على التحديد ، مكونة من زوجين وطفل .. التمثال نفسه اصله غير معروف ..

الاعمدة على قواعد واسعة .. وعلى مسافات بعيـــدة تسمح بتركيز الرؤية .. كل تمثال صغير له تجويف بعيد فى الحائط مبنى على الطريقة الفرعونية .

الكاتب المصرى وضع فى فترينة من الزجاج على قاعدة عاليـة وسط قاعة كبيرة على مسافات مقدرة .. وأمامه أريكة من القطيفة الحمراء .. دعوة للناس الى تأمله مسافة طويلة وفى راحة ، تسمح بتذوقه .. وأسرع الناس استجابة لهذه الدعوة ، المصورون الذين وقفوا أمامه يصورونه من زواياه كلها ..

فى متحف اللوفر من مصر لوحة قاع الماء وما فيه من ضفادع وتماسيح .

وقطع الفخار فى فاترينات كبيرة ذات رفوف .. كل رف كبير لا يزيد ما يعرض عليه من ثلاث قطع .. أسفل الرف الاعلى به تجويف فلورسنت يسقط الضوء على الرف الاسفل ..

تمثال من خشب Hapy D. Jefai افردت له قاعة كاملة ..

وهناك تماثيل جنائزية من الخشب .

وسلاسل وأطباق من المعدن .

وصندوق له غطاء بمجرى الذى يظن الكثيرون ان غطاء المجرى من فنون الاثاث الحديث .

أما ايزيس فقد وقفت فى كل جلال مصر فى قاعة عالية ارتفاعها ٢٥ مترا .. متفردة وحدها .. الجرانيت فى التمثال العظيم شف وتثنى ..

فى متحف اللوفر تمثال يجلس فى هيئة من يقرأ التشـــهد .. الحركة نفسها لليدين على الفخذين ! ..

أوان زجاجية من العصر القديم ومكحلات زجاجيـة .. بورتريه قماش .. مقص .. حمالة حرارة .. مبخرة .. ملعقة .. الكاويلا

.. الهارب .. زهر الطاولة .. شفشق الزجاج .. الرسم على الزجاج ..

كل هذا عرض فى أجمل صورة وراء خلفية من القطيفة الداكنة ومرايا لعكس النقوش الداخلية وأنوار ..

فن العرض والايحاء وابراز الاهمية والتجميل بالنور والتعميق بالظل ..

فى متحف اللوفر من مصر نماذج من الحفر على الخشب فى وحدات .. بروشات لها محابس على درجتين للاحكام .. أدوات الزينة من ملاقط ومراود .. مجوهرات من الذهب المضفور وعقود من الاحجار الكريمة ..

فى متحف اللوفر قاعة لاخناتون ..

تمثال الرأس على قاعدة وتحتها ارضية الفراشات .. وحول الكل سور زجاج ..

هل نفـــرح ؟

هل نحـــزن ؟

ومشيت فى الزحام .. مرهقة من الزحام وسعيدة بالزحام .. وحاولت الاقتراب من الناس اكثر لاقرأ الوجوه .. اليس هـــذا كله ملكى أنا ؟

حين يتعانق الادب مع الرسم
حين يستكن التعبير فى العيون
حين يسوى الخوف والرجاء بين البشر

لوحات اللوفر

قاعات فى اللوفر للوحات كبار الرسامين ·· لوحة تصور هياج البحر الموت فى الاعماق يجمع ، بعد تفرق ، الزنجى على الابيض، وعند تحطيم المركب ، وفى الفزع الاسود تبدو من بعيد ، فى اللوحة، طرف المنارة ·· أمل ·

وفى اللوفر لوحة تصور دخول نابليون روسيا ·· كان منتصب القامة على ظهر حصان فى عجرفة لا تخفى وتحت سنابكه ، سنابك الحصان ، الجثث المدفونة فى الثلج ماتت معها آمالها واحـــلام الشباب ، بعد أن دفعت ثمن المجد الزائف أو الغرور الاحمق ··

يتمتع المنتصر بمجد الحروب ويتجرع المغلوب علقمهــا ·· وفى الحالين تدفع الشعوب وحدها الثمن ··

اجمل من لوحة القائد ، لوحة الامل ·· الخوف والرجاء الــذى يسوى بين البشر ··

وفى قاعة فيكتور هوجــو تحـــولت لوحات القلم الى لوحات للريشة ·· عناق الادب والرسم ··

الموناليزا أو الوجه الودود الذى تتجه نظرته اليك فى أى زاوية تقف فيها قريبا منها ·· تنظر اليك وحدك ·· لا تفتر فهى تعطى هذا المعنى لكل من رآها ·· لكل الواقفين معك بلا تفــرقة ·· هذا سرها ·

لوحة الموت للفنان Girodet Irioson

وفيها يتشبث الرجل بالحياة ·· أقدامه تغرس فى حجر الارض ويده تتعلق بيد زوجته ·· والزوجة والهة والاولاد فزعون والرضيع يبكى بالدموع ··

القسم الايطالى Anne Louis 1967 - 1824 le deluge

وفى القسم الايطالى من متحف اللوفر لوحات الفنان Van Dyck صوره تعبيرها كله مكنون فى العين · انه فنان العيون ·· يتجلى هذا فى صور (شارل الاول) ملك انجلترا وصـــورة (الرجل والطفل) ·

والفنان جورج 1593 - 1652 Georges de la Tour فى لوحته Saint Joset charpentier اجمل ما فيها انعكاس حتى الشمعة على الوجه والكفين والرداء ··

وفى متحف اللوفر ، الجزء الخاص بقصر اللوفر ·· استوقفتنا

القاعة الطويلة المبطنة بالقطيفة الزرقاء والتى خفتت فيها الانوار خفوتا تاما لتضىء فى الفاترينات الزجاجية على الجـــانبين مبرزة نفائس القصر من حلى وساعات وأدوات .

وفى متحف اللوفر تليفونات فى جميع القاعات تصل فى أى وقت بين أطرافه البعيدة تأمينا للزوار ..

وفى متحف اللوفر مما يلى السلم مطعم Self service حتى يستطيع الزائر أن يقضى يوما كاملا ..

لقد ذهبنا اليه فى الصباح والمطر يهطل بلا انقطاع وحســبنا انفسنا وحدنا لقصر اقامتنا فى باريس مما يجعل لكل دقيقـــة من الوقت قيمة مهما كانت أحوال الطبيعة .. ولكننا عند باب المتحف انتظرنا طويلا فى طابور طويل ودخلنا والطابور لا ينفض .. هنا الفن للناس خبزهم والمتحف قبلتهم .. لا مخزن آثار .

المتحف المصرى فى باريس :

على طريق الشانزليزيه يقف المتحف المصرى المخصص لحقبـة واحدة ، معادلا فى الاهمية لمتحف اللوفر ويزيد .. ان رسم الدخول لمتحف اللوفر ٣فرنكات ورسم دخول متحف مصر قبل الاهرام ٤فرنكات!

خصصنا له يوما .. على يسار الداخل ركن للمعاطف تقف فيه سيدة فرنسية نظرت الى نظرة خاصة فقلت لها فى زهو نشوان : انا مصرية .. وعلى الفور قالت : Quelle Formidable

تطرب النساء لمدحهن بالجمال أو يفرهن الثناء كما يقول شوقى ولكنى لا يسعدنى شىء كنسبتى الى اللون المصرى والشكل المصرى وأهم من هذا الجوهر المصرى .. أى القلب المصرى بمطائه وذخره.

دخلنا المتحف .. السقف زجاج مغلف من أعلى بالشـــاش فتحات رفيعة بين الزجاج تكييف هواء .. ســـقف تحت السقف للاضاءة .. الجدران مبطنة بالاصفر فى لون الرمال لتكون خلفية للاوانى البنية اللون .. عمود ضخم فوق بيت زجاج مربع الشكل من أجل قدر صغير ..

اننا فى المتحف فى الفترة بين ٤٠٠٠ و ٣١٠٠ قبل بناء الاهرام . ماذا نرى ؟

اسورة من الديوريت مستديرة فى اتقان عجيب .

عقد من اللؤلؤ Perlen en cornaline فى لون العقيق برتقالى وياقوتى وازرق وابيض ..

الرسم على حجر السيشت (لوحة الكلاب ولوحة الثور) .

فازات فخار محلاة بالنحاس الاصفر ..

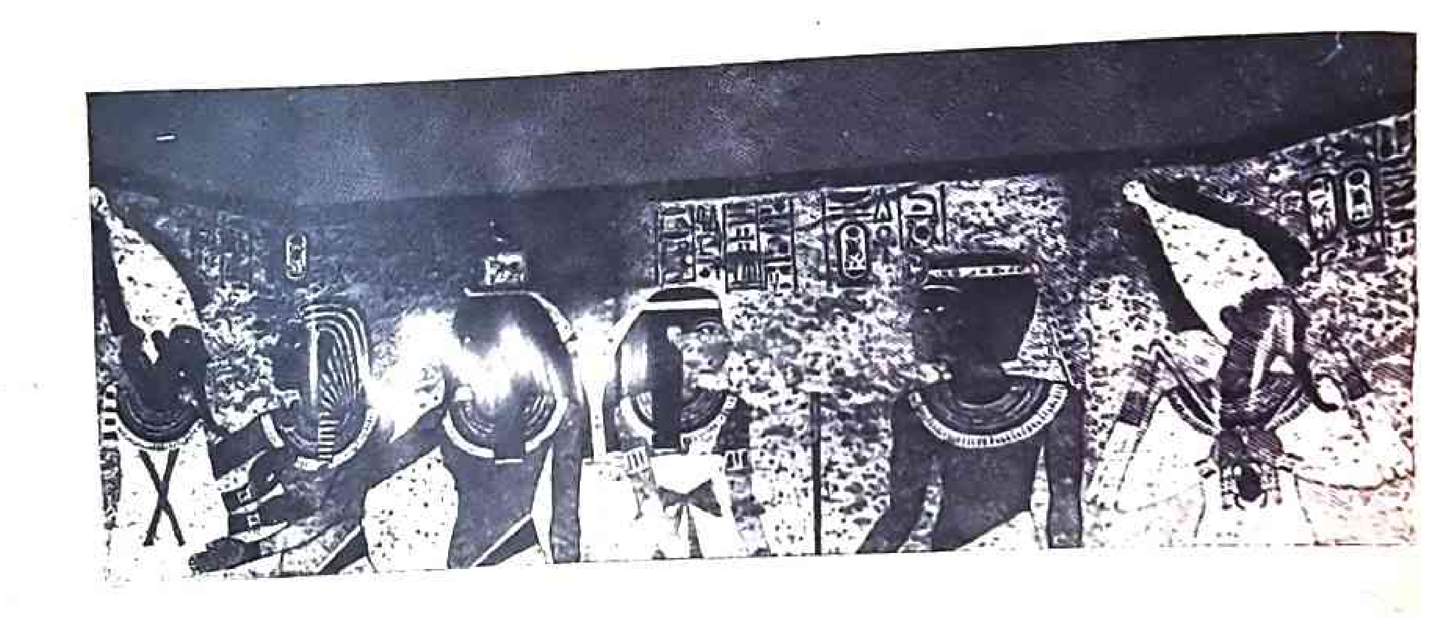
صقل ورسم ..

عقود من الودع وعقود من الاحجار الكريمة ·· خيط انتظمت فيه الحبات ··
تشكيل العاج ونقشه وتشكيل العقيق ··
أمشاط ·· أطباق مرسومة من الداخل ·· لا تنسوا التاريخ اننا قبل بناء الاهرام بين ٤٠٠٠ و ٣١٠٠ سنة ·
مراكب من الخشب ·· خطاف من المعدن لتعليق الطعم عند الصيد ·
قارورة العطر الدقيقة الرقيقة ··
تشكيل أسنان التمساح ·· الاناء وغطاؤه مخرم كما نصنع بالقلل ··
زخرفة الاوانى بتنويع التشكيل فى الجسم نفسه أو باضافات أو بالرسم ·
الاناء المزدوج أو اناءان ملتصقان ··
الاناء فى هذه الفترة بيضاوى ومستدير ·· طويل وانسيابى ان كثرة التنويع فى الشكل بله الموضوع تعنى كما يقول الصغير احمد أن هناك لغة للتخاطب والاتقان والتنفيذ ·· ان هناك الاصطلاحات الفنية والتصميم والتخطيط ·
مسمار الكوارتز (الكاويلا) ·
فازة للورد ··
قدور لها شبابيك مخرمة كالقلة للحماية والنظافة ··
السكاكين والمقصات والملاقط ·
أدوات مصنوعة من النحاس والعظم ··
ابر خياطة ·
نسيج Aiguilles قماش التيل ـ أدوات القش ، منجل الحصاد من الصوان Elements de faucile en silex
مشط محلى بغزالة متقنة ـ دبوس شعر محلى بعصفورة صغيرة (رفه حضارى) ·

ثلاثة رؤوس وعصفوران على قاعدة واحدة ·· صغيرى أحمد يقول فى نفاذ أن هذا رمز الى وحدة الوجود فى رأيهم ·· فالعصفور كالانسان منبثق عن القوة الاعظم ··

لوحة أوزوريس وعهدها ٢٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ قبل الاهرام بنقوشها وكتاباتها وتلوينها ·· فى هذا العهد السحيق عرفت مصر الكتابة والتاوين والنقش ··

هذا المتحف وفى فرنسا يقول ان حضارة مصر اقدم من الهرم بأربعة آلاف سنة ! ولكن المتحف يعنى أن حضارة مصر أبعد من



الآثار المصرية في باريس ٠٠ تمثل حضارة ٥٠٠٠ سنة

هذا بكثير ٠ فمقتنيات هذا المتحف تعنى كما يقول ولدى أحمد انه سبقتها عملية تحضير طويلة ٠٠

وعندما يريد الطيبون أن يفتخروا بمصر يقولون ان عمر حضارتها خمسة آلاف سنة ! وآخرون يقولون ربما على استحياء سبعة الاف سنة وهم لا يكادون يصدقون أنفسهم ويحسبون ، وسامعوهم لا يقلون عنهم ، حساب المبالغة فى هذا الرقم من باب الوطنية ولو عرفوا وعرف الناس لقفز الرقم الى أربعة أضعافه فان العمر الحضارى لمصر لا يقل عن ثلاثين ألف سنة ٠

□

قوس النصر

أراد نابليون الاول بعد أن أحرز انتصاراته الباهرة أن يبنى رمزا لها فكلف المثال الفرنسى شالجران أن يصمم بناء هائلا يستوحى رسمه من الآثار الرومانية القديمة ٠ ولكن نابليون لم يقدر له أن يرى حلمه « حقيقة » فتداعت امبراطوريته بعد هزائمه المتوالية ٠

وقد بدأ العمل فى القوس سنة ١٨١١ ٠ واستكمل بناءه الملك لويس فيليب ٠

ويقع القوس فى وسط باريس فى ميدان « ليتوال » L'Etoile ويبلغ ارتفاعه ١٦٠ قدما ، وعرضه ١٤٧ قدما وعمقه ٧٢ قدما ٠ وتلتقى عنده اهم ثمانية شوارع على شكل نجمة ٠ ويؤدى اليه شارع الشانزليزيه ٠

وقد حفرت عليه أسماء ٧٢ معركة و ٣٨٦ قائدا من قواد الجيش العظـام .

وفى ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ دفن تحته رفات جندى فرنسى مجهول فاصبح (مقر الجندى المجهول) . ومن أجل هذا ، وليس لتخليد امبراطور سابق ، غدا قوس النصر أثرا من آثار فرنسا القومية .

☐

برج ايفل

برج ايفل أو (سيدة باريس) كما اعتاد الفرنسيون أن يطلقوا على البرج الذى صممه المهندس ايفل وافتتح فى المعرض العالمى فى باريس سنة ١٨٩٩ .

وقد بنى البرج ليكون رمزا لهــذا المعرض وان كان الزمن لم يفقده ، على الرغم من مرور المناسبة ـ جاذبيته الفريدة ودلالتــه الصــناعية .

أما المهندس المصمم الكسندر جوستاف ايفل فقد عرف عنه ، تفوقه فى التصميمات الحديدية .. وان كانت شــهرته لم تذع الا بعد تصميمه البرج .

بدأ بناؤه سنة ١٨٨٦ . واســاسه من الحجر يبلغ ٢٨٠ قدما مربعا . وبرج ايفل أقدامه الاربعة مغروسة فى الارض حتى عمق ٤٥ قدما و ٣٠ قدما .

☐

برج ايفل Tourefele

أمامه حديقــة جميلة وتصعد فيه مركبة كهربائية حتى منتصفه أى الدور الاول ثم مصعد حتى الدور الثانى والثــالث حيث يرى الصاعد باريس من نقطة عالية أو على أعلى نقطة فى المدينة ..

البرج عمل هندسى باق .. ويقال ان مهندسه صمم كوبرى (أبو العلا) فى مصر . وبعد أن أتمه اكتشف خطاه الفــادح فالكوبرى ثابت لا يفتح للمراكب .. وعند هذا هم المهندس الشاب بالانتحار لفشله ولكن رئيسه هدأ من روعه وشجعه .. ودرس اكثر وتعلم اكثر وعمل اكثر حتى اقترن اسمه ببرج فرنسا .

ان صحت هذه القصة فهى أحسن ما فى البرج ، فى نظـــرى، على الاقل · ان البرج نفسه تركيبات متشابكة من الحديد يرى المرء صورا منها فى المحطات الكبرى كمحطة فيكتوريا مثـــلا بانجلترا هذه هى النظرة الظاهرة ولكن البرج قطعا فيه فن هندسى يعرفه أهل الهندسة والا لما استحق البقاء بله الخلود ··



برج ايفل

وقد تضاربت الأقوال والآراء حول برج ايفل فهناك من يرى أنه رمز للصحوة الفرنسية بعد هزيمة فرنسا فى الحرب ، ودليل على التقدم الصناعى ·· بينما يرى فيه الأدباء والفنانون الفرنســيون حينذاك « الهرم الضعيف المخيف » أو « مدخنة باريس القبيحة » ·

على أية حال ، أصبح برج ايفــل جزءا حيويا من باريس حتى لتقول القصة المشهورة أن رجلا لا يطيق برج ايفل كان يصــعد اليه كل يوم مضطرا لأنه المكان الوحيــد فى باريس الذى يستطيع أن يتفادى رؤية البرج منه ·

حى مونمارتر
٧٣/٨/٣

طريق صاعد ·· جبل عال من السلالم ·· صعدنا عشرات الدرجات ثم توقفنا ·· قابلت سيدة فى خريف العمر تلهث من النزول ! سألتها ألا يوجد هنا طريق آخر الى مونمارتر ؟ وكأنها كانت تنتظر السؤال فتدافعت الكلمات اللاهثة تدلنى على انعطافة فى الطريق استدير معها اينما استدارت حتى أصل الى هذا المونمارتر متفادية سلالم · Everest

وصلنا وتشهدنا ·· تقف على قمة الجبل كنيسة Sacre Coeur بأبراجها جبلا آخر أو قمة أخرى ·· أمامنا حديقـة مدرجة يبدو أنها كانت سفح الجبل ثم لمسته يد الانسان ·· الحديقة خضراء زاهية مسورة من أعلى ·· وفى كل دور منها كراسى منثورة يجلس عليها الناس وما أكثرهم ·· وجلسنا معهم ·· الهواء ينعش النفس ·· باريس تبدو من هذا المكان مدينة قديمة ·· هذا المنظر هوى الرسامين يرسمونه كما يراه كل منهم من زاويته الخاصة ويلونه من داخل نفسه ثم ينزل أدراجه أو أدراج الحديقة يبيعه فى شوارع الحى التى تبدو على البعد أشرطة رفيعة ثم لا يزيدها القرب اتساعا يذكر

نزلنا الحى ·· الزحام يفرض على السائر أو الزائر الجـديد أن يشق طريقه بصعوبة ·· الناس والبضائع والمقاهى والمطاعم ·· الجميع على الارصفة ·· الحى متواضع فى كل شىء كأن لم تبلغه أخبار المدنية الحديثة وهو جزء من بلد الموضة لعل سره فى القدم والغرابة والطرافة وكلها رأس مال ·· انه على كل حال راض عن نفسه فيما يبدو ·· بل لعله مزهو يسعى اليه الناس ولا يسعى هو اليهم ·· وبلدية باريس تسلم له بهذا فهى لا تهدمه لتقيم عمارات حديثة أو علب كبريت حجرية ·· انه حى الفنانين والفن من طبعه الشمم والكبرياء ·· قد لا يكون الاكثر ثراء ولكنه الاغنى ··

كان حى مونمارتر آخر سياحتنا فى فرنسا فقد سافرنا فى صبيحة اليوم التالى الى لندن ··

أشياء نحلم بها ..
يعرضها التليفزيون الانجليزى

٧٣/٨/٤

وقف القطار الفرنسى فى محطة Boulonge أخذنا الـ Ferry Boat بعد أن مررنا بالطبع مع المسافرين بمكتب جوازات الحدود .. والتى يسمونها Boat كانت فى نظرنا باخرة جميلة مريحة .. بها صالون : صالون كبير لغير المدخنين وصالون للمدخنين .. مطعم كبير وبوفيه أنيق Freeshop

حملتنا الباخرة أو الـ Ferry Boat واسمها Sea Link الى انجلترا .. نزلنا انجلترا .. لم نحس بالجمرك .. أستطيع أن أقول انه غير موجود .. لعلهم اكتفوا بالاجراءات المهذبة التى تمت على الباخرة .

أخذنا القطار الانجليزى الى محطة فيكتوريا .. جاء عامل التذاكر .. قال لنا شكرا بعدد التذاكر أى خمس مرات ! أسلوب مهذب ترك فى نفوسنا أطيب الانطباعات منذ البداية ..

القطار يخترق الريف الانجليزى الجميل الهادىء .. البيوت ذات الطراز الواحد كأنها فيلم كرتون .. السقف التقليدى والمدخنة .. اجمل ما فى البيت الانجليزى حديقته .. صغيرة ولكنها جميلة .. انها قطعة منه لا غنى عنها .. فى بعض البيوت لا تزيد الحديقة عن حجم حجرة من الحجرات ولكن هذا الصغر نفسه يؤكد عقيدة الجمال فى نفوس الانجليز .. لا بد من حديقة مهما كانت المساحة صغيرة والبيت متواضعا ! .. انهـا أدل على الشعب الانجليزى وعلى أصحابها من حديقة غناء تحيط بقصر كبير لان هذه صنعها المكان والمال واستكمال المظهر والترف ولكن تلك صنعتها نفس تؤمن بالارض والزهرة واللون الاخضر وروح النبات ..

وصلنا الى محطة فيكتوريا .. عربات صغيرة لحمل امتعة المسافرين .. بلا مقابل طبعا .. مكتب فى المحطة يرشد الى الفنادق .. طابور خارج المحطة لركوب التاكسيات ولكنه طابور لا يثقل على احد لان افواج التاكسيات تتلاحق سراعا فى طابور هى

الاخرى ·· والتاكسى الانجليزى كبير به كرسيان فى مواجهة الاريكة الكبيرة ·· حملنا السائق الى حيث نريد ولم يعترض على العدد كما فعل السائق الفرنسى فى الصـــباح حيث رفض أن نركب نحن الخمسة مما اضطرنا أن نستدعى تاكسيا آخر ·· وذهبنـــا الى المحطة فى سيارتين ··

الفندق الذى دلنا عليه اصدقاؤنا فنـــدق Astour court الفنـــدق فى شارع Hallam street افخر ما نزلنـــاه من فنادق ·· طلبنا حجرتين فاذا بهما شقتان مفروشتان كل منها تضم صالونا وحماما ·· وتليفزيونا (عند الاولاد) ومطبخا وتليفونا ·

كسيت الارض ببساط فيروزى جميل وصفه أحمد بأنه جزء من البحر ·· لعله يقصد بحر مطروح فهو وحده الحافل بكنوز الفيروز·

كل شىء جميل أنيق ·· أحسستا احساس البيت بعد غيبة طويلة عن بيتنا فى القاهرة ·· صنعنا الشاى بأيدينا لاول مـــرة فى الرحله شربناه حول التليفزيون أسرة ··

فى التليفزيون الانجليزى برامج يفوق بعضها بعضا ·· برنامج (هذه هى الحياة) يتقصى متاعب الناس ويحققها ويشهر بالمخطىء من المرافق العامة والخاصة ·· انه عين ساهـــرة على مصالح المواطنين ··

برنامج دينى بلا خطابيات ·· هادىء متفتح مقنـــع ·· كان الموضوع هو المسيح حقيقة أم خيال ؟ وهل الكنيسة بداية مملكته ؟ وهل الكنيسة لها دور فى المجتمع ؟ ·· طرح البرنامج هذه الاسئلة بلا عقد ولا خوف ·

برنامج فكاهى نابض سريع بلا ترخص أو اسفاف ··

برنامج يسخر من فهم بعض النساء قضية تحرير المرأة ··

شدنا التليفزيون اليه ونحن الغرباء خمس ساعات لم تتخللهـا رقصة واحدة ·

والحرية التى يتمتع بها الانجليز ، يتمتع بهـــا الاجانب ، فى بلادهم ، بلاد الانجليز لا بلاد الاجانب · رأيت فى Hyde park اثنين ملونين يخطبان ·· وقفنا طويلا نستمع اليهما ·· كلاهمـــا كان يتدفق كأنه يغترف من بحر العذاب الذى عاشته افريقيا وآسيا من استعمار الاوربيين ·· كلاهما كان يذكر اوربا بأن كل ما تنعم به معصور من دم الافريقيين والاسيويين ·· ودمـوعهم وبترولهم وخيراتهم وانهارهم وقنواتهم وكل ما عندهم ·· اختطفته اوربا نهبا ·· وسلبته تجبرا ·· سرقته فى غفلتهم (*)

الحقيقة كان الانجليز يسمعون هذا فى رحابة صدر ٠٠ وحدث أن احتد احد الواقفين ولكنه ما لبث أن اقتنع بل اعلن تاييـــده للخطيب ! ٠٠

اننى لم أنس استعمار انجلترا لمصر ولكنى رأيت اليوم ما كنت أسمع به وهو ان الانجليز فى بلادهم عنوان الديمقراطية وحرية الرأى ٠٠

وحين عدت الى الفندق كان التليفزيـــون الانجليزى يعلن عن برنامج يدعو الشباب الى نقد الحكومة وابداء رأيهم فيها !! ٠٠

ان انجلترا تسمع رأى أبنائها ورأى الغرباء ٠٠ وأحسست بطول الطريق الذى علينا أن نقطعه ٠

□

٥/٨/٧٣

متحف الشمع Madame Taussaud

فى ميدان بيكاديللى بلندن ، المصريون كثيرون ٠٠ أينما سرت تسمع صوتا يقول لك « حمد الله على السلامة » أى عرفتك ٠٠ انا مصرى مثلك ويضحك وتضحك أنت ٠٠ انه لقاء الغريب للغريب أو القريب للقريب ٠ لا يسعد الانسان فى الغربة مثل أن يصافح وجه وطنه فى أبنائه أو لغته أو أثر منه ٠٠

فى متحف الشمع الذى تسبقه شـــهرته بدقة التجسيم لا يزال المشاهدون يخطئون فى التماثيل فيحسبونها بشرا ثم يضحكون من أنفسهم مع الناس ٠٠ ومن الطريف أن أحمد كما يقـول وقف أمام أحد الناس يتفرج عليه باعتباره تمثالا من شدة التشابه بين الناس وتماثيل متحف الشمع ٠٠ ولا أدرى ان كان هذا تخابثا منـــه أو ظرفا أو خيالا ٠٠

الحقيقة ان متحف الشمع لم يخطىء الفنان فى تشكيله ، التجاعيد الدقيقة وألوان بياض العين وبقع الجلد وثنياته وعقـــل الاصابع والنظرة والحركة ولازمة الشخصية ٠٠

وفى متحف الشمع قاعة المشهورين من مغنين ورياضيين وممثلين من أصحاب الشهرة العالمية الواسعة ويخفت الضوء حولهم ليسطع دفعة واحدة فى فنون من العرض مع الاستعانة بخلفية من الصوت اذا كان مغنيا أو من أصحاب الاصوات كالمذيعين ٠٠

ومن الغريب أن قاعة المشهورين ليس بين أصحابهـــا المختلفى الجنسيات مصرى واحد !!

يبدو ان متحف الشمع كجائزة نوبل ، يقاطع مصر !

وفى متحف الشمع قاعة الملوك والرؤساء ‥ وفى هذه القاعة أيضا ليس لمصر فيها الا تمثال جمال عبد الناصر ‥ لعله التمثال الوحيد فى المتحف الذى لا يلتبس فيـــه على المشاهد الحقيقـــة بالتمثيل فليس فيه من النبض ودقة التشابه ما فى التماثيل الاخرى ‥ ليس فيه الوسامة وفراهة الطول وعرض الكتفين وبريق العينين ونفاذهما ‥ كل هذه الصفات افتقدها التمثال أو حجبها الفنان كأنه شكله من خلال الرؤية السياسية له ‥

لكأن التمثال لرجل مريض تخفى ملابسه هـــزالا لا يخفى ‥ ليس هذا جمال عبد الناصر حتى فى أيامه الاخيرة ‥ وأقرأ التاريخ تحت التمثال فاذا به سنة ١٩٦٥ أى قبل النكسة وعذابها وجروحها .

فهل يعرف الفن ، أيضا ، التعصب ؟

وفى متحف الشمع قاعة يسمونها قاعة الفـــزع ‥ وفى السلم الموصل اليها ، سلم جانبى من الطريف أن ورقة معلقة عليـــه تقول (اذا كنت تريد أن تهرب من الرعب فاخرج سريعا من هذا الباب) . ومن الطريف أيضا أو من الغريب أنه لم يخرج أحد ‥ هل غدا الانسان ساديا ؟ أم هو فضوله الغريزى ؟ حتى فى مقام الفزع !!

قاعة الفزع صورة حية لباستيل انجلترا أو باســـتيل البشرية عامة فهناك تماثيل للمجرمين وزنزاناتهم ‥ المجرمين والسفاحين والقتلة ‥ مشاهد كاملة تقول ان الجناة عتاة ، والقضاة قســـاة أيضا ‥ كلاهما وسيلته أو هوايته المفضلة ، الشنق والسحق والقتل والمقصلة والمطحنة ‥ حقا المطحنة وقد رأيناها بتروسها فى قاعة الفزع فحين أقول المقصلة والمطحنة ليس هذا من أسلوب (الاتباع) المعروف عند اللغويين ‥

ان قاعة الفزع أو السجن بظلامه وقتامه فيه تماثيـــل هؤلاء السادة : ملك يقتل طفلين بريئين بالمخـــدات خنقا ليحـــول دون ورائتهما العرش ! وملكة تقتل بنت عمها وتقف على رأسها المتدلى تنتظر سيف الجلاد لتتأكد من نفاذ حكمها الكريم ! ‥

وامرأة تجد أعصابا تشهر السكين تذبح زوجها ‥

بقدر سمو الانسان وفنه ‥ بقدر قسوته وفظاظته ‥ كل هـــذه الاحداث جرت فى انجلترا التى ترفع تمثالا للانسانية Humanity ومثل هذه الاحداث جرت فى باستيل فرنسا وفى كل دولة أخرى ‥ انها طبيعة الانسان الذى يكشف عن غرائزه عند الاختبار ، بعد كل الاف السنين التى قطعها فى محاولة التهذيب لكى يبدو مترفقا متأنقا Gentleman

وفى قاعة الفزع شاهدنا نابليون فى حجرة حقيرة على فراش الموت وأمامه ولنجتون قاهره فى واترلو يزوره أو يتأكد من موته لا أدرى فالقائد عادة يموت عقب هزيمته حتى وان تأخر اعلان الوفاة أعواما !!.

وخرجنا من قاعة الفزع فى متحف الشمع لنشهد تمثيلا بالشمع أيضا لمعركة الطرف الاغر خدم مع الشمع الصوت والاضواء بالوانها ودرجاتها فكنا نسمع طلقات المدافع وأصوات ضحايا يسقطون ثم تسلط الاضواء على أرض المعركة فنشاهد الجرحى تشخب دماؤهم .. تماثيلهم طبعا .. لقد كانت معركة الطرف الاغر ككل معركة فى تاريخ الحروب (قاعة فزع) .

ومن الغريب أن متحف الشمع الانجليزى يسلسل قاعاته بالمداخل والستائر بحيث يرى الانسان الطرائف فى أول الزيارة ثم ينتهى بقاعة الفزع ومعركة الطرف الاغر .. ولكى يمسح أثرهما أعد فى آخر الجولة عرضا كبيرا للعب مختلفة لاجتذاب الاطفال والكبار فى الحديقة .

لعب تذكرنا بالسفيرة عزيزة فهى تعتمد على الصندوق السحرى غير أنه فى متحف الشمع يدار بالازرار والكهرباء ووسائل العلم الاخرى .. فلعبة سباق السيارات يجلس أمامها اللاعب ويحرك السيارات بديرنكسيون فى يقظة شديدة لانه اذا تصادمت سيارتان تقف ، وتخرج لوحة مضيئة مكتوبا عليها «قف» ويضطر لاستئناف اللعب أن يدفع مرة أخرى .. وهذه اللعبة تعلم الحساسية المرهفةفى القيادة ..

ولعبة كرة القدم .

ولعب الحظ ومنها لعبة عبارة عن أقراص فيها فجوات .. الاقراص تتحرك ببطء .. يسقط اللاعب عملة النقود المعدنية على القرص فاذا أزاحت جزءا من نقود تحتها فان هذا الجزء يسقط بدوره من فتحة فيلتقطه اللاعب ولكن الذى يحدث أنه لا يحدث الا نادرا أن تسقط للاعب عملة أو اكثر .. ان الذى يشده فقط هو الامل أو الطمع فى الكسب لان الاقراص محملة بنقود اللاعبين ويخيل للاعب الطارىء أن عملته هو ستسقط ما قبلها لتملأ جيبه هو !! ان اللعبة مصممة بحيث يكسب أصحابها فى النهاية .. ولكنى أرى أن اللاعبين يكسبون اكثر لو استفادوا المعنى الخبىء .. ان القمار محصلته فى النهاية ضياع ما فى اليد على التأكيد لا أخذ ما فى أيدى الآخرين بالوهم الكاذب .

مدينة الظـلال .. والخضـــرة .. والزاى

٨/٨/٧٣
لنـــدن

أول ما يلفت النظر فى لندن ، وفى الحقيقة قبل لندن منذ بدأ القطار رحلته من مدينة الحـــدود أو مينـــاء Folkstone

❋❋❋

لنـــدن

مركز عالمى للمال ، وقلعة للصناعة ، وعاصمة لبريطانيا ، كما تعتبر من أكبر الموانى البحرية .

ولندن ثلاثة أجزاء :

مدينة لندن – مقاطعة لندن – لندن الكبرى . والاخيرة تعتبر أكبر مدينة فى العالم . ومركز لندن هو شيرنج كروس ينتهى فى الشمال بميدان الطرف الاغر وحيث يوجد التمثال الشامخ لنيلسون بطل المعارك البحرية .

ولا شك أن وجود لندن على نهـــر التيمس له الاثر الاكبر فى ازدهارها . وأبلغ دليل على هذا الازدهار هو وجود واحد من اكبر وأعظم بنوك العالم وهو بنك انجلترا . وبجانبه توجد البورصة الى جانب (لويدز) أكبر وأشهر شركة تامين عالمية .

وشرق المدينة على نهر التيمس ، يرتفـــع برج لندن حيث كان قديما سجنا مركزيا وأصبح الآن متحفا .

وعلى النهر أيضا يقوم البرلمان وكنيسة حى وستمنستر .

أما طريق المول Mall فيؤدى الى قصر بكنجهام الملكى ، ويحيط به من ناحية هايدبارك ، حيث يتجمع الناس عند القوس الرخامى (ماربل آرش) ويستمعون الى الخطبـــاء من كل لون وفى أى موضـــوع .

ومن أشهر معالم لندن أيضا كاتدرائية سانت بول ، وحى (سوهو) فى الطرف الغربى ، والمتحف البريطانى .

(دائرة المعارف الامريكية)

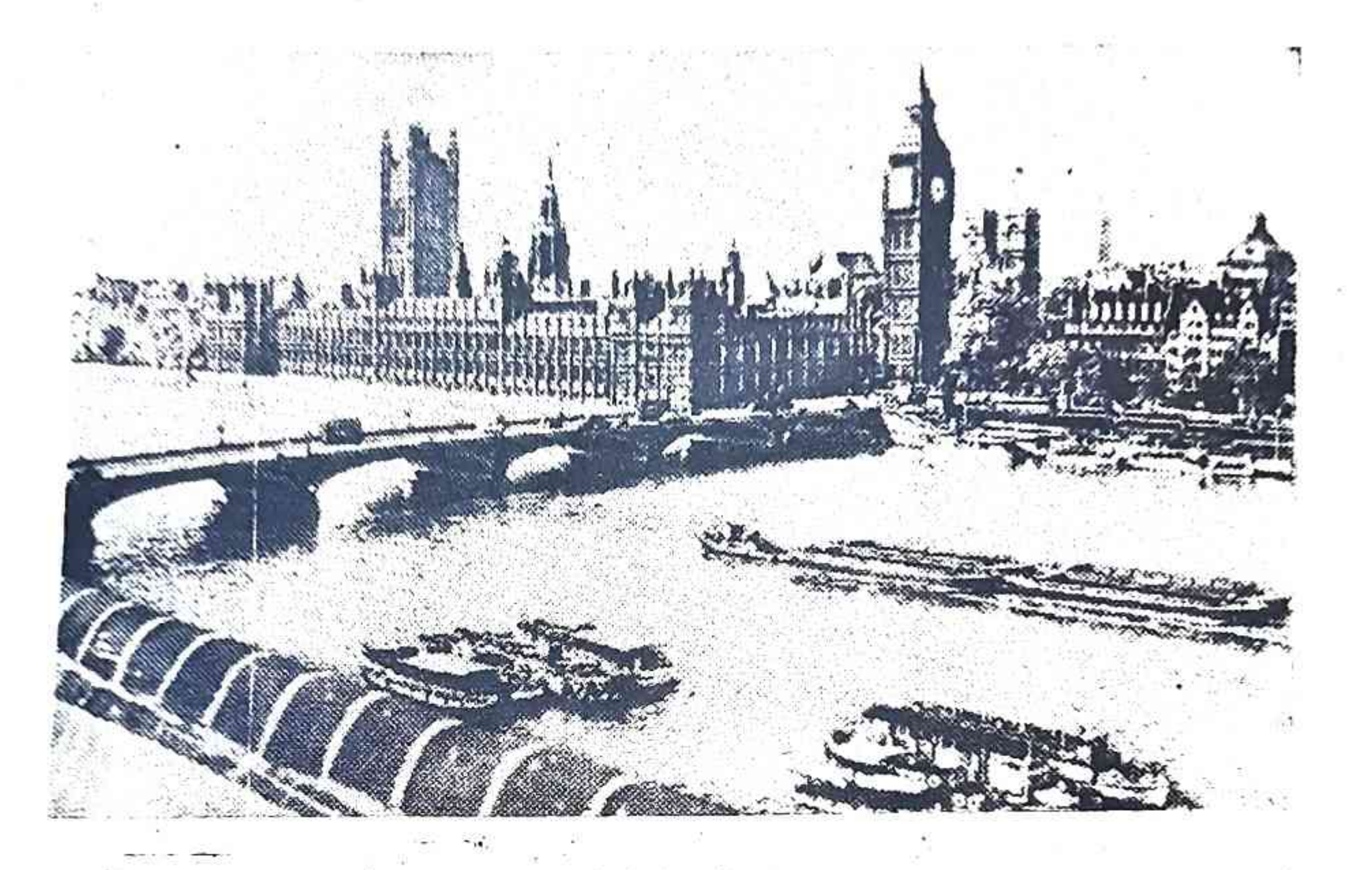
❋❋❋

·· البيت الانجليزى وأنا مضطرة هنا أن أصفه من الخارج فأنا لم أعاشر أسرة انجليزية بعد ·· البيت الانجليزى يمتـــاز بسطحه التقليدى المثلث الشكل الذى ينشق عن مدخنة أو مدخنتين ·· وليس للبيت الانجليزى شرفات ويبدو أنه يتعمد هذا حتى لا تمتلىء بماء المطر الذى يبدو انه انجليزى الجنسية فقلما يمر يوم على لنـــدن بدون مطر ·· وقد ألفوه كأنه أحد أفراد الاسرة فهم يذهبون الى أعمالهم بل الى نزهاتهم فى صحبته ·· معاطف المطر يلبسونها فى الصيف ·· واذا أخلف المطر موعده وطلعت الشمس أو طالعتهم الشمس ابتهجوا ·· حقيقة نستطيع أن نقرأ البشر فى الوجوه ، وتزدحم الشوارع فحرام أن يضيعوا الجو المشمس ليقبعوا فى الحجرات والا فما الفرق بين الصحو والغيم ، والهـــواء المنعش الذى يكاد يطفر هو الآخر من الفرحة ، وبين البرد ؟ أنا هنا أتكلم عن الصيف فى لندن وعن أغسطس بالتحديد ··

ومن لازمات البيت الانجليزى دواسة ثابتة فى عتبة الباب تتلقى عن البيت النظيف دائما ، الهادىء دائما ، ما علق بالاحذية من ماء الشارع (هذه الدواسة الثابتة فى مدخل الاتوبيس وسائر المحلات والمبانى) ·

والحديقة التى قلت أنها من لازمات البيت الانجليزى فى الريف قد لا تتوافر فى زحمة المدينة ولكن يقوم بدلا منها أحواض الزهور فى النوافذ والتى يسمونها Window Box

على كل حال الحدائق العامة فى لندن من ضخامة المساحة كأن كلا منها مدينة الظلال والخضرة ·· يخيل الى أن حدائق لندن لو وزعت على سكانها الملايين الثمانية لظفر كل منهم بحديقة جميلة تكفى للاحاطة ببيتـــه ·· لقد مشـــينا فى Hyde park حتى كلت أقدامنا دون أن نبلغ نهايتها بل دون أن نقطع منهـــا شيئا يذكر ·· ان خريطة لندن كخريطة باريس وسائر العـــواصم الكبرى اذا استثنينا القاهرة ، تتناثر فيها المربعـــات والدوائر الخضراء بحيث لو جمعت معا لشغلت ربع الخريطة على الاقل ·· أما القاهرة فقد تم وأد جزيرتى الروضة والزمالك وذبحت حديقة الازبكية ويفكر أعداء الخضرة فى التهام أراضى الهـــرم الخضراء وتحويلها الى مساكن ·· بل لقد عز عليهم يوما ، ولم يستحوا ، أن تبقى فى القاهرة حديقة واحدة فوجدوا فى أنفسهم ، ولا أدرى كيف الجرأة أن ينادوا بتحويل حديقة الاسماك الى مينة للملاهى !! علاجا للجبلاية فجاء الرد صفعة من خارج مصر اذ تبرع انســـان ليبى بثلاثين ألفا من الجنيهات لتقوية الجبلاية وحمايتها من التهدم ·



مبنى البرلمان الانجليزى

وفى لندن رأيت نهر الـ Thames ولا أدرى لماذا يحلو لنا أن نكتبه التايمز ٠٠ اهتمامى الاول فى كل بلد أن أرى الانهار ٠٠ من اجل النيل بلا شك ٠٠ انى أراه فى البعد فى أنهار النـــاس ٠٠ بالشكل أو المقارنة ٠

التيمز أكبر من النيل الصغير ولكنه ليس كالنيل الكبير ٠ قلت للسيدة (الدليل) انى كتبت كتابا عن النيل فقالت لا بد أن يكون كتابا كبيرا جدا بل كتبا ٠٠ وكانت تحية للنيل اسعدتنى لولا أن السيدة الانجليزية أردفت هذا بقولها : النيل الآن فى مشكلة ٠٠ لقد حجب السد غناه وغزارته وجماله أليس كذلك ؟

تماثيل الاسود على التيمز ، السين ٠٠ كالنيل ٠٠ هل هناك علاقة؟

فى لندن تمثال عال لامير البحر نلسن طوله ١٦٢ قـــدما على قاعدة ارتفاعها ١٧ قدما ٠٠ انه تكريم الابطال الـــذين كتب على أيديهم النصر لامتهم ٠٠

بل فى لندن تمثال لابراهام لنكولن ٠٠ انه تقدير البطـولة أيا كانت وكانت جنسيتها ٠٠

وعلى نهر التيمز يطل البرلمان الانجليزى ٠٠ بنـــاء كبير باذخ ولكن عظمته الحقيقية فى القيم التى يضمها هذا البنـــاء ٠٠ قيم

الديمقراطية الحقة وحرية الرأى والمعارضة الرشيدة ومعانى الامن والسلامة ٠

ومن تقاليد البرلمان الانجليزى انه يضع خطا امام مكان الخطابة لا يتجاوزه الخطيب والا تعرض للاحراج حين ينبهه رئيس المجلس ان يلزم مكانه ٠٠ وهكذا يقوم الامر على ضبط النفس والحـــركة لا الانفعال والصياح ٠٠ قيمة ٠!

السيدة الدليل كانت دمثة رقيقة اللفتة والاشارة تعطى الركاب وتصطنع الاخذ منهم وتشكر بالطبع ٠٠ كم مرة شكرت الركاب على ٠٠ على الرجوع الى السيارة !

وعنما وصلت السيارة السياحية Westmenster Abby قالت السيدة

You are all welcomed in the house of God

انها الكنيسة الانجيلية وعمرها ٦٠٠ سنة وهى فى الوقت نفسه مقبرة العظماء ٠٠ ففيها الراحلون من اعضاء الاسرة المالكة وفيها العظماء من نوابغ الشعب كتابا وشعراء وموسيقيين ومغنين ٠٠

وقفنا أمام قبر كيتس وشلى كما وقفنا امام قبر وتمثـال جورج فردريك صاندل وهو موسيقى ألمانى عاش طويلا فى انجلترا ! ان الفن عز الانسان فى كل مكان ٠٠ قد يختلف من الامم الساسـة والقادة ثم يظل الفن بعيدا عن الحرب ٠٠ رفيعا على العداوة ٠٠ يعظمه الكل بلا خلاف بينهم ٠٠ ومع هذا فان اعزاز انجلترا لجورج فردريك رفعها فى عينى أكثر ٠٠ انه عرفان بالجميل لفنان اختارها وطنا ثانيا ٠

فى وستمنستر توابيت الاسرة المالكة تستند الى تماثيل للاسد وعلى غطاء كثير من التوابيت سيوف ٠٠ ولكن هذا كله لم ينازل الموت ولم يبطل عمله ٠٠ حتى أسد خمارويه وهو حى لم يرد عنه الموت ولو ان المؤرخين يعتذرون عنه بأنه كان غير موجود فى تلك اللحظة وأن أعداء خمارويه الذين ناشوه بسيوفهم ما كانوا يجرؤون لو كان أسده فى رفقته كعادته ٠٠

توابيت الاسرة المالكة تزحم وستمنستر ان لم تحدد الاسرة المالكة النسل فلن يجد مسيحى مكانا للصـــلاة عندما تتحول الكنيسة الى قرافة ٠٠ لقد بنى خوفو الهرم حقيقـة وهو وحده أكبر من مقبرة العظماء مجتمعين ٠٠ وتبعه خفرع ومنقرع ولكن المصريين بعد هذا كفوا عن بناء الاهرامات بل تعمدوا فى عهد الاسرة الخامسة أن تكون مقابرهم متواضعة رافعين شـعار أفضلية العمل الطيب ٠٠ ويؤكد هذا الفرق الهائل بين أهرام « خوفو » و « أوناس » ٠

وهناك قبر شارل الاول ملك انجلترا وفى قبالته فى الشارع نفسه قبر كرومول الذى أعدمه ·· الموت وحده هو الذى يجمع الاعداء ·
·· ويدور هذا الخاطر فيما يبدو فى رأس السيدة الدليل فتقول :
Perhaps at midnight they have a word with each other
سخرية من الخصومات والصراعات الطاحنة ··
وبرج لندن لا يحمل اسم مدينته وكفى كسائر ابراج المدن ولكنه يحفظ ثروتها أيضا ففى برج لندن جواهر التاج البريطانى ·· هذه الجواهر ليست ملك فرد ولو كان صاحب الجلالة ولكنها ملك لندن أى ملك انجلترا ··
لقد تخطوا مرحلة عبادة الافراد ·
والانجليز أصحاب تقاليد فتغيير الحرس الذى يجعلونه معلما سياحيا حتى لتسعى اليه كل صباح تسعون سيارة سياحية غير الافراد ، الطريق اليه شارع يسمونه Mall فى لون الطوب الاحمر على جانبيه فوانيس أرضية تضاء بالغاز الى يومنا هذا عمدا وممنوع على السيارات خاصة وعامة أن تقف به ·· فقط سيارات أعضاء الاسرة المالكة أو زائريها ·· وجنود الحرس على رؤوسهم خوذات طويلة عالية من الفرو الاسود تكبس على جباههم تخفى حواجبهم تماما وتكاد تنزل على عيونهم ·· تقاليد ··
وتغيير الحرس معناه فرقة تحل محل فرقة ويتكرر هذا من العاشرة الى الثانية عشرة كل يوم ·· وأثناء الساعتين يسير جنديان متجاورين من منتصف القصر الى السور جيئة وذهابا ·· ومهما أوتيت من ذكاء لا يمكن أن تفهم معنى لدوخة هذين المسكينين بالذات ·· ولكنها ·· تقاليد ··
والحرس هنا حرس قصر Buckingham امام القصر تمثال للملكة فيكتوريا · تمثال بدين تواجه الملكة المشهورة من خلاله ، الشارع الذى يقود الى القصر والذى يسمى Mall
تقول السيدة الدليل ان التمثال فى أول الامر كان يواجه القصر فلما جاء ادوارد السابع ابن الملكة فيكتوريا ، وقد تملص من قبضة امه الحديدية ، ادار التمثال ليكون فى وضعه الحالى حتى لا تنفذ امه من خلال النوافذ أو تدس انفها من ثقب الباب ·
قد تكون نكتة بل هى كذلك ولكنها روح الفكاهة عند الانجليز الذين نتهمهم دائما بالبرود ·· والانجليز الذين خالطناهم على الباخرة أو فى دعوات عندهم روح الدعابة فهل ظلمناهم ؟ أم لعلها رد فعل هذا (البرود) الذى يتندر منه الناس عليهم ·
والعسكرى الانجليزى يمشى كأنه ملك يتفقد رعاياه ·· والانجليز

عموما ممتد بنفسه حتى خادم الفندق الذى نزلنـــا به حين سبق رزقه وطلب البقشيش سماه (خـدمة) وقال وهو يضع أمامنـــا مائدة الافطار : Leave the service for me in the try
وكأنه صاحب حق لا رجاء ٠٠ قالها وخرج وأغلق خلفه الباب ٠
ماذا أقول عن لندن ٠٠ لم يبق الا أتوبيسها ٠٠ أتوبيس لنـــدن احمر من دورين أما خارج لندن فلها أتوبيس اخضر ٠٠ ويبدو أن حكاية الدورين تعجب أوربا هذه الايام فقطار ايطاليا من دورين ايضـــا ٠٠

وفى لندن فندق هيلتون أمامه حديقة وسط الشارع وحديقة واسعة على اليسار وميدان حديقة وحمام يلقط الحب ولكن هيلتون القاهرة يطل على رب الحدائق والخصب كله ٠٠ يطل على النيل ٠

□

٧٣/٨/٨

من لندن الى فرنسا

اقتلعنا أنفسنا من لندن اقتلاعا فقد احببناها جميعا ٠٠ انهـــا اكثر برودة من باريس وأقل اشراقا ومع هـذا احسسنا فيهـــا بدفء البيت وأنس المكان والهدوء والـدعة والرغد والسـهولة ٠٠ فيها وجدنا طرف الخيط منذ اللحظة الاولى ٠٠ وفيها حققنا رغبات كثيرة قد تبدو ترفا ولكن الكثير منها تدعو اليه ضرورات الحيـاة الحاضرة توفيرا للوقت والجهد ٠

مر الوقت من محطة فكتوريا الى الحدود عند Folkstone (ساعة ونصف ساعة) كأنه ثوان ٠٠ كان القطار والمناظـر على جانبيه والبيوت التقليدية تصلنا بانجلترا فلما وقف القطار ثم تحرك متجها الى الباخرة خلفنا انجلترا غير زاهدين ٠٠

هرولنا الى الباخرة ٠٠ كانت اجراءات الخـروج من انجلترا والدخول الى فرنسا للمرة الثالثـة غاية فى السـهولة على غير ما قدرنا ٠

فى الباخرة تناولنا غداءنا متأخرا بالطبع ولكن الرحلة فيهـــا رخية حتى اننا لم نشعر بالوقت مرة أخرى ٠

نزلنا من الباخرة وكان علينا أن نستقل القطار الفرنسى الذاهب الى باريس ٠٠ ولم تكن الاماكن محجوزة برغم أن التذاكـــر فى انجلترا مفتوحة الى لوجانو بسويسرا ولكن حجز الاماكن بالارقام مقصور بالطبع على انجلترا باعتبارها بدء الحجز ٠٠ وعنـــدما

لا تكون الاماكن محجوزة فان الركاب يمارسون لعبة الكراسي الموسيقية وتغدو المسألة سباقا ..

☐

جنيف

دخلنا فندق امبسادور . فى كل حجرة انجيل واعلان شركة Omega للساعات : صابونة صغيرة فى علبة مكتوب عليها « اومجا » وفى حجرة الاولاد ثلاث قطع من الشيكولاتة مكتوب عليها « اومجا » !!

فى صالون الفندق ساعة تشير الى الوقت فى جميع بلاد العالم فى وقت واحد ألسنا فى بلد الساعات ؟

حضر صديقنا للسلام علينا فى الفندق .. سلم علينا سلاما غاليا يليق بصديق حميم بعد غيبة طويلة ..

الفندق يطل على البحيرة .. وقد نزلنا فى الغروب نسير على الشاطىء وكالعادة الاشجار والازهار والبواخر المضاءة بالكهرباء لرحلات البحيرة والمحلات الكبيرة والمطاعم والفنادق والنافورات ..

عدنا من نزهتنا السريعة من أجل برنامج التليفزيون السويسرى عن مصر .. كان المندوب السويسرى يجرى الحديث مع المهندس الفنان حسن فتحى لهذا كانت تتخلل البرنامج الذى دار بالفرنسية ، كلمات عربية . كما تخلله موسيقى وأغان مصرية .. البرنامج كان يشدنا اليه الغربة والشوق ولكننا كنا نتمنى أن نرى عن مصر أفضل من هذا وأكثر تركيزا وأبعد رؤية طبعا ليس ذنب الفنان المصرى حسن فتحى ولكن أصحاب البرنامج كان فى تخطيطهم نقط بعينها .

على الشاطىء الآخر من البحيرة (رأينا) جراج السيارات تحت الماء أى تحت سطح البحيرة وفوق قاعها أى أن الجراج بين طبقتين من الماء أو هو نفسه طبقتان من الارض !! كيف ؟ « شفطوا » ماء البحيرة فى هذا الموضع ثم بنوا .. طبعا هذه الجملة معناها فن هندسى كبير لا أعرف بالطبع تفاصيله ولكنى أعرف وأرى أنهم يطوعون كل شىء لارادتهم ، بالعمل لا بالاناشيد الحماسية أو الاشعار .

ركبنا مع صديقنا قاربا فى البحيرة الى الشاطىء الآخر ثم قطعنا على الاقدام مساحات كبيرة متصلة من الخضرة حدائق وراء حدائق وزهور وألوان حتى وصلنا المطعم وقد علق على واجهته لافتة كبيرة تقول (سعيد الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية بفن .

اقتربت الساعة من الواحدة بعد الظهر وقطارنا موعده الثانية الا ربعا فاستأذنا فى لهفة لا تخفى ولكنه ضحك ضحكة معناها لا تخافوا كل شيء هنا يتم فى سرعة وسهولة .. بالتليفون طلب تاكسيين .. بعد دقائق حضر أحدهما . ركبنا وقبل أن نتحرك حضر الثانى .. ركبه هو . هبنا الى الفندق . ثم ذهبنا الى المحطة . وجدنا القطار فيها .. ركبنا .. وأخذنا أماكننا فى ديوان مستقل وأخذنا نتبادل مع مضيفنا كلمات الشعر والوداع . ونظرنا الى ساعة المحطة .. كانت الثانية الا ربعا وبضعة ثوان . فنظرنا نظرة استغراب كيف لم يقم القطار ولكنه ضحك مرة ثانية وقال أمامه لا يزال بضع ثوان لن يتحرك قبلها .. وفى تمام الساعة الثانية الا ربعا تحرك القطار ! لم يتعلق بأذياله أحد يجرجر نفسه على الرصيف .. لم يمرق من الابواب أحد فى آخر لحظة .. كل شيء هنا محسوب حتى تصرفات الناس وسلوكهم اليومى .

وتمنينا .. يا طول ما تمنينا فى هذه الرحلة .

***

عندما تخسر مصـــر الانســـان

قابلت صديقا مصريا فى جنيف ·· الحقيقة أنه عثمانى الاصـل مصرى المربى والنشأة والجنسية · بعد هذا ·· ترك مصر أو تركته مصر منذ اثنى عشر عاما ·· الحقيقة أنها ضيعته لتكسبه سويسرا فقد كان شعلة تتقد بالنشاط والعمل وبالطبع بالنجاح ·· أعطى مصر أحلى سنى عمره وكافح ونجح ·· كسب المال ولكنه انفق الكثير مما كسبه فى وجوه الخير وفى اسعاد الناس ، ثم جرفه التأميم فرحل وبدأ من جديد فى سويسرا ومن جديد نجح وأثرى·

لا ألومه فرأس المال لا يطيق الخوف أو المباغتة ··

حين سلم علينا كانت كل خالجة فيه تهتز ·· كل جارحة فيـــه تشد على أيدينا وأحسست أنه لا يسلم علينا وحدنا ·· اننا فقط نبعة منها ·· لمحة واحدة ·· وتبقى هى الكل ·· وهذا السلام لها من خلالنا ·· لقد شاقته مصر وكان الشوق أقوى من السنين ·· كل ما ينتمى اليها يبعث الحنين ··

ورأيت الثمرة ناضجة فدنوت منها اقطفها ··

– مصر بتسلم عليك ··

قلتها له وانتظرت ··

– ان ما فقدته هناك عوضته هنا ·· ولكنها هى لا تعرض ابدا مهما شرق الانسان أو غرب ·· مهما طـــوى الارض وطوف فى الآفاق ·· ان الانسان يغسل نفسه بالصابون من كل ذكرياته عن مصر حتى يستطيع أن يعيش فى غيرها والا أشقته المقارنة خاصة فى أوربا حيث يتحكم العقل وحده ولا مكان للغة القلب ·· ويستمر :

حين أتنقل فى البلاد وراء أعمالى ويحل موعد العودة الى جنيف اجد نفسى أقول أرجع لمصر حين أقصد جنيف مقر اقامتى الحالية ·· الرجوع مقترن فى وجدانى وعلى لسانى بمصر حين اتحدث عن غيرها · انى الى الآن أحسب مالى بالجنيه المصرى ·· اتعامل مع الناس هنا بالفرنك والدولار والاسترلينى ·· ثم اخـــلو الى نفسى وأعيد الحساب بالجنيه المصرى ·· هواية أرتاح اليها ··

مصر بنت الشمس وامها ·· ان المصرى حين يصيف يبحث عن ظل وهواء ولكننا فى أوربا وفى الصيف نبحث عن شعاع شمس وهذا عامل كبير من عوامل الرحلة الى اسبانيا ·· فى شتاء أوربا قد يقابل الانسان صديقا فى الطريق ويريد أن يكلمه فلا يستطيع ·· جمد البرد الكلام على الشفاه لانه ، قبلا ، جمد الافواه ·· أما فى مصر فى ليالى الشـــتاء بله الصيف كنت أذهب من مصر الجديدة الى الهرم للعشاء والسهر ·

قلت له بعد حديثه الحميم عن مصر ·· مصر تنتظرك ومصر تعرف أن جهودك اضافة اليها ·· وهنا ابتسم فى أدب جم استطاع أن يحجب ثورته وان لم يستطع أن يخفى مرارته وقال :

ـ لن أنسى مصر أبدا ·

وأيقنت أنه لن يعود على الرغم من اقتران لفظ العـــودة فى أعماقه بمصر ـ وسكت أنا ولكنه هو استمر فى الفضفضة ·· قال : هنا يعمل كل انسان ولا يثقل على غيره حتى ولو بلغ أرذل العمر ولكن مصر بالـ ٣٧ مليونا تسبقها سويسرا بالخمسة ملايين نسمة لان الذين يعملون جادين فى مصر ، مليون وهذا المليون اليتيم يحمل الـ ٣٦ مليونا على كتفه ·· فهم عبء عليه ·· ان الكثرة العددية تمثل قوة حين تنتج أما حين تتفرج فانها تشكل معضلة يصعب حلها ·· يصعب فى كل شىء فى المسكن والمأكل والتعليم والانتقـــال والعلاج ·· يصعب فى كل شىء ··

هنا يعمل الانسان ويحيا لانه يكسب ولانه متحرر من الخوف ·· الحرية فى الداخل والخارج مفتاح غنى الشـــعوب ·· حتى دول الاستعمار شرعت تعتنق هذه النظرية فمنذ سنة ١٩٤٥ أخذت تفكر بأسلوب جديد فبدلا من البحث عن بلاد الغير لاســـتعمارها وفتح أسواق لمنتجاتها ·· فكرت فى زيادة الاستهلاك المحلى برفع مستوى المعيشة وزيادة دخل الافراد ·

والســـلام ؟

ان السلام رقيا ساحر لمن يريد التقدم والازدهار ·· المثال من المانيا وفرنسا بعد حروب ١٨٧٠ ، ١٩١٤ ، ١٩٣٩ · كان الفرنسى يقول عن الالمانى Sale Bauche وكان الالمانى يقــول عن الفرنسى Femme وسقطت فى الحروب الطاحنة بين الدولتين والامتين ملايين القتلى ثم تصافيا وكونا شركة الالزاس واللورين تصافيا حتى غدا الفرنسيون ينسبون أخطاء الالمان الى النازى فى

عملية تنقية ومصالحه مع النفس ومع الغير ٠٠ ان القديسين ليسوا رجال الدين ولكن دعاة السلام من رجال السياسة الذين يحقنون دماء شعوبهم ويردون أموالها عليها فيعم الرخاء ٠

ولم تخب حماسته بل استمر فى تدفقه يقول : ما أحرى الاوطان أن تسمى أحياء ليكون العالم بلد الجميع ٠٠ يقول الانسان أنا عايش فى حى سويسرا أو فى حى فرنسا ٠٠ ممكن ٠٠ ان حى شبرا اكبر من الاردن ٠٠ هناك شارع فى « بازل » أحد جانبيه ألمانى أى يدخل فى حدود ألمانيا والآخر فرنسى ووسطه سويسرى !

ان سكان جنيف ٣٠٠ ألف لا يزيد السويسريون منهم على ١٢٠ ألفا ٠٠ اذن رخاء سويسرا وراءه الجهود الأجنبية والعقول الاجنبية ٠ وكذلك اسرائيل صنعتها الخبرات الكثيرة التى عاشت فى جميع أنحاء العالم وعرفت أسرار النجاح والتقدم فطبقتها فى دولتها الجديدة ٠٠ هذا العامل بالطبع بعد العامل الاول وهو غفلتنا وجهلنا وخطابيتنا ٠٠ ليست ثلاثة ألفاظ ولكنها رؤوس موضوعات تدخل تحت كل منها تفاصيل كثيرة ٠٠ ومريرة ٠٠

□

لوجانو

غادرنا جنيف الى لوجانو ٠٠ أهم ما فيها القطار المدرج الذى صعدنا به الجبل فى لوجانو ٠٠ قطار يقف على سلالم ٠ يخيل اليك قبل الركوب أن الجالس فيه سيكون فى وضع مائل الى الوراء ٠٠ وأنه عندما يبدأ فى الصعود سيزداد هذا الميل حتى يستلقى الراكب على ظهره ولكننا ركبنا وصعدنا الجبل به وكأننا فى خط مستقيم ٠٠ لا ميل ولا استلقاء بل أمن وراحة ونعيم ومباهج ٠٠ شىء رائع حقا أن ترى القطار يصعد بك ويمعن فى الصعود وكأنك فى طائرة بلا خوف ٠٠ طائرة تسير على الارض ٠٠ تسير فى البداية بمحاذاة البيوت ثم تعلو عليها وترى سقوفها ٠٠ والبيوت هذه صفوف فوق صفوف ٠٠ وبعد أقل من ثلث ساعة عندما تكون فى طريقك الى القمة ، تبدو لعينك بيوت الصف الاول كأنها لعب أطفال وتنظر من نافذة القطار الى أسفل فاذا الكبارى تحتك كوبرى فوق كوبرى والسيارات تمرح فوقها فى حجم سيارات الاطفال دليل البعد ٠

القطار يصعد والعين تكتشف سر الجبل وتتوغل فيه ٠٠ مداخل ومخارج وأنفاق تدخل وتخرج منها القطارات ٠٠ غابات من الاشجار أنبتها فى الصخر الصلد المطر ٠٠ الماء سر هذه الحياة

الخضراء التى ترف فى السفوح أوراقا وأغصانا ·· وتتدخل يد الانسان فى بقعة أو أخرى ولكن شخصية الطبيعة هى الغالبة فى الجبال ·· ثلوج على القمم ، ونهيرات من فضة سائلة على السفوح ، وبحيرات فى الوديان ، وقنوات فلم يبق على الانسان فى هذه البقعة من الارض الا أن يبنى ويعمـــر فبنى وجمل ما بنـــاه فالشرفات زهور ، والميادين حدائق ، والنافورات شلالات من النور ··

وقطار الجبل أو القطار المدرج يقطع الطريق الى القمة على مرحلتين فالخط ينتهى فى نصف المسافة ويبدأ خط جديد من النصف الى القمة يلحق به الراكب عند نقطة المنتصف · ومن العجيب أن القطارين : الصاعد من أسفل والهابط من أعلى يصـلان الى نقطة المنتصف فى وقت واحد ·· فى ثانية واحدة !!

ومن أعلى القمة بدت مدينة لوجانو الجميلة أشد روعة ·· عالما آخر فى عين أبناء الوادى ·· عالم الجبل ·· هذه مدينة جبلية ، ومدن سويسرا كلها مدن جبلية كما رأيت بعد ·· ولكن فتنتهـــا أعطت (للجبلية) معنى آخر فكل شىء فى هذه المدينة ناعم مصقول مغسول ، أنيق ، رفاف مدينة جميلة كأنها انبثقت من بين الشجر والمياه والجبال فالكل يحوطها فى حنان وروعة ·· وفى المســاء يتلألأ الجبـــل بأنواره كأنه جبل الاولمب يقيم الزينات للشــعراء والخالدين الصاعدين فيه ··

كل شىء فى مدينة ·· « لوجانو » صاعد نازل مع الســـفوح والقمم ·· حتى الشمس التى تؤثر الشرق حيث تطلع كانت معنا فى لوجانو فترة وجودنا فيها كأنها قادمة من مصر هى الاخرى ·

وبمناسبة الشمس تعتبر لوجانو أشد بلاد سويسرا بل بلاد أوربا تمتعا بها ·· واعلانات سويسرا السياحية تذكر فيما تعـــدد من محاسن ان الشمس تطلع فى «لوجانو» ٥٤٩ ساعة فى السنة على حين تطلع فى باريس ٣٢٩ ساعة ، وفى برلين ٢٤٦ ساعة ، وفى لندن ٢٣٣ ساعة !! وساعات الشمس فى السنة كما يقولون ٢٢٤٨ ساعة ·

كل هذا الزهو بخمسمائة ساعة أى اقل من ٢٥٪ من ســاعات الشمس · والذين تغدق عليهم الشمس بلا حساب لا يستغلون طاقتها فى العالم ، ولا يستفيدون منها فى سياحة ولا يشيرون اليهـا فى اعــلان ·

لقد قضينا فى لوجانو ثلاثة ايام سافرنا بعدها الى زيوريخ ونحن نحمل أنفسنا حملا على مغادرتها ··· كل شىء فيها يستبقيك مدة

اكثر ··· معاملة أصحاب الفنادق المهذبة (والسويسريون مشهورون « بالفندقة ») بكل أبعاد هذه الكلمة ··· والنظافة المطلقة حتى لم يقع نظرنا مرة واحدة على ورقة ملقاة فى شارع ·· صناديق النظافة المعدنية ـ لا الزبالة ـ منتشرة فى كل مكان وعلى مسافات قريبة تخجل أى انسان أن يلقى شيئا على الارض وينال من نظافة المدينة وهى احدى قيمها الكبرى ·· حتى قمة الجبل الذى صعدناه بها صندوقان للنظافة ··· القمة البعيدة عن الاعين والنقد حرصوا على شفافيتها ··· ان خير النظافة ما كان طبعا لا تطبعا ···

تناولنا الغداء مرة فى مطعم وهو محل تجارى كبير من خمسة طوابق خصص الدور الرابع منه ليكون مطعما ومقصفا على طريقة (اخدم نفسك) ·

المطعم يحيط به مجرى كهربائى توضع به أولا بأول الاطباق والاكواب الفارغة ويدار الشريط فتتحرك الادوات وتذهب الى مكان الغسيل ، وتتخلص الموائد على الفور من كل مستعمل لتستقبل جديدا ··· حياة ميسرة هادئة ·

وقد لاحظت هذا الهدوء فى المواصلات العامة ··· الاتوبيس محطاته ظليلة بها كنب للجلوس والشارع أمامها مخطط بعلامة واضحة ومكتوب على أرضه أمام المحطة· والصعود من باب والنزول من آخر · والكمسارى جالس فى مكان خاص به عند باب الصعود · يتقدم اليه الراكب ويشترى تذكرته قبل أن يدخل فلا صياح من الكمسارى ولا تزويغ من الركاب · كل انسان يعرف واجبه ·

وفى محطات السكة الحديد خزائن للامتعة بأرقام يحفظ المسافر فيها أمتعته مقابل مبلغ زهيد من المال ·· يفتح الخزنة رقم كذا ويضع حقائبه ثم يقفل بابها ويضع الفرنك المطلوب فى مكانه من الباب ويدير المفتاح فتقفل الخزانة ويأخذ المسافر المفتاح الذى يحمل رقم الخزانة والذى لا يخرج من الخزانة الا بعد الدفع ·· وبهذا يستطيع الانسان أن يقضى مصالحه فى المدينة متخففا من أحماله حتى يحل موعد القطار فيفتح الخزانة ويأخذ متاعه ويترك فيها المفتاح كما كان ·· وبالطبع لا خوف من نسيان المفتاح مع مسافر لانه مادامت مفتوحة فلا يمكن اخراج المفتاح الا بالنقود كما أشرت ··

وفى المحطة أقراص دائرية أتوماتيكية تضغط على زرار النور، وتضغط على زرار آخر فيدور القرص (يمكن ادارته بالتحريك)

فيلف من الداخل شريط به موعد القطار الذى ستركبه فأمام رقمه موعد تحركه وموعد وصوله وهكذا ·

محطات الترام نفسها معلق بها قائمة بمواعيد وصـــول الترام الواحد بعد الآخر ، الهدوء هناك شىء غال يحرص القوم عليـــه · فالكراسى بعجلات حتى لا تحدث صوتا فى تحريكها ·· الســلالم مكسوة والا ثبتوا فى الوسط كاوتشوك حتى لا يسمع للصعود أو النزول صوت · النوافذ المطلة على الشوارع التى بها حركة مرور يصنع لها أربع ضلفات من الزجاج لتحجب الصوت حجبا يكاد يكون تاما ·· المصاعد فى المحلات التجارية، كل دور تسمع فى ميكروفون المصعد صوتا هادئا مريحا يعلن رقم الدور ومحتوياته ··

والامانة فى هذه البلاد قيمة كبرى فقد رأيت فى جنيف أتوبيسا وضع فى المحطات التى يمر بها صناديق لقطع التذاكر · يتقـــدم الراكب الواقف على المحطة ويضغط على زر بعد أن يضع قيمـة التذكرة فى الثقب الخاص بها ـ فى الصندوق ثلاثة ثقوب تقـابل الفئات الثلاث للتذاكر حسب طول المسافات ـ فتطلع التذكـــرة · وعندما يحضر الاتوبيس يضغط الراكب على زرار فى الباب فيفتح ويركب ومثل هذا فى النزول ··

والاتوبيس ليس به كمسرى يلهث وراء الركاب ويحاصرهم وليس به مفتش · ضمير الراكب هو الذى يحكم المسألة كلها ·· وهكذا تربى الشعوب بلا مخابرات أو قتل الثقة أو اشاعة الخـــوف فى النفوس ·

المبانى القائمة تنصب فى الطريق الذى تقوم فيه سقفا عـلى أعمدة بشكل مهذب لا يشوه الطريق ولا يعوق حركة المـرور ·· أى تقيم ممرا للمارة تضـيئه بالكهرباء ليلا وهذا الممر المسقف أو السقف الحافظ لحماية المارة من مواد البناء ·

الفنادق كل فندق يعطيك بطاقة (كارتا) عليها اسمه وعليـــه خريطة المدينة وشوارعها موضحا عليها بالاسهم موقع الفندق من المدينة والشوارع التى تؤدى اليه ·

محلات الجزارة تعد اللحوم اعدادا كاملا حتى البفتيك تحفظـه قطعا متبلة جاهزة وست البيت تختار العـدد المطلوب لاسرتهـــا وما عليها الا أن تضعها على النار بضع دقائق ·

ان معدل السن عندهم أعلى منا بكثير ·· لنوعية الغذاء ونوعية الحياة أيضا ··

كيف غاب عن الكبار ..
ما لمحه الطفل فى لحظة

زيوريخ

توجهنا الى محطة (لوجانو) لنأخذ القطار الى زيوريخ · وحدث أن تأخر القطار عن موعده · ولكن المحطـــة لم تترك المسافرين يتخبطون فكانت تعلن فى الميكروفون كل دقائق أن القطار تأخر مدة كذا وسيتأخر كذا دقيقة أخرى ···

وصل القطار ، بدأ يتحرك ثم انطلق مسرعا كأنه يعوض التأخير وعلى كل حال وصل زيوريخ فى الموعد بالضبط ·

أحسسنا فى اتجاه القطار الى الشمال أننا نرتفع فقد بدأنا نطل على أسطح العمارات العاليـــة ونشرف على المدينة تحتنا مربعات ودوائر خضراء زاهية · والبيوت صاعدة ونازلة ولكنها كلها ذات طابع واحد فى البناء ·· السقوف المنحدرة حتى العمارات العاليـة قليل منها مسطح السقف ·

أن تكون مدينة ذات طابع واحد ، شىء له معناه الكبير · فالطابع المميز وراءه شخصية واضحة وجدت طريقها ··· اننا حين نتأمل بيوتنا حتى الجديد ·· بيوت القادرين الذين يتعمدون طرازا معينا ، نجدها أنماطا متعددة فبيت على الطراز الفرعونى ، وبيت على الطراز العربى ، وبيت على الطراز الاوربى ···

وبالطبع أزياؤنا كذلك وأساليب عيشنا أيضـــا ! بل أن البيت الواحد يجمع أكثر من أسلوب ، وأكثر من زى ، وأكثر من عقليـة ، وفقا لنوعية التعليم !

أمامنا شوط طويل لنقطعه ·

القطار فى طريقه الى زيوريخ يشق الجبال يدخل نفقا ويخرج من آخر ·· هذه الانفـاق كالعـذول تحجب وجه الجميـل · ان طريق القطار خارج الأنفاق رائع حقا ··· أينمـا ارسلت بصرك مسرح

جميل للرؤية والخيال معا ... حواليك ومن فوقك ومن تحتك ... على الجانبين الجبال بغاباتها والقمم الثلجية التى تلمع فى ضوء الشمس وبعضها بدأ يسلسل الماء خيوطا براقة من الفضة تنحدر فى قنوات رفيعة على السفوح ، وبعضها يجود به دفقا يهدر مع شدة المنحدر شلالات متدافعة لا تهدأ الا عند القاع حيث تتجمع نهيرات أو بحيرات من الماء العذب تكثف عليها الزراعة وتخضر الحياة وسط الصخور .

ومن فوق ، السحاب يتوج القمم كعروس ، أو يبدو للعين على شكل جبال أخرى بيضاء لتنسجم مع المنظر العام .. يبدو أن كل شىء فى سويسرا يأخذ شكلا مخروطيا ...

والكبارى اياها ... فى بعض المناطق كان قطارنا يسير فى الدور الخامس أو السادس من الكبارى !! قطار معلق تبدو معه المدينة كما تبدو من الطائرة فى أول صعودها ...

وصلنا فى المساء ... لم يكن أمامنا الا أن ننزل فندقا قريبا من المحطة ... وقد وجدناه أمامنا ... وكنا من الارهاق بالدرجة التى لم نر منه الا وظيفته أى مجرد فندق .. ولكن أحمد ولدى الصغير رفض أن يدخله وكاد أن يبكى فسألناه السبب فأشار الى مكان فى بهو الاستقبال واذا بنا نرى نجمة اسرائيل ...

كيف غاب عنا جميعا ، نحن الكبار ، ما لمحه الطفل فى لحظة ؟ ربى يحميه لمصر ولى .

ومن جديد حملنا أمتعتنا وخرجنا منه لنبحث عن فندق آخر ...

فى زيوريخ اتصلنا تليفونيا بالصديق الدكتور المهندس محمد عبده ابراهيم وهو يسكن فى ضاحية من ضواحى زيوريخ .. فى التاسعة مساء جاءنا فى الفندق ولحقت به سيدة سويسرية كريمة صديقة أسرة بالنسبة له وصديقة لمصر وهى تلميذته بمعهده الذى فتحه لتعليم اللغة العربية . جاءت السيدة أو جاء بها الدكتور الصديق لتسمع مزيدا منى عن شخصية مصر وكانت قرأت كتابى (شخصية مصر) مع الدكتور عبده الذى كان يترجم لها مضمونه ، وركزت على نقط معينة استوقفتها فى الكتاب منها :

- عطاء مصر لليهودية التى أخذت عن مصر كثيرا مما جاء فى العهد القديم .
- جهود مصر فى نشر المسيحية فى أوربا .

ان الدكتور عبده ابراهيم بعيد عن مصر حتى الآن خمسة عشر عاما . وبكل الحنين فى غربته الطويلة وغربتنا القصيرة كان حديثنا عنها تلك الليلة .

·رأيت فى ســـويسرا المـرأة « كمسارية » و « عسكرى مـرور » و « سائقة تاكسى » دون أن تثير فضول أحد غيرنا · ولكن المرأة الاوربية ليست جميـلة كما كنا نتصور قبل أن نراها · انها عادية جدا وأحيانا أقل من عادية ··· لانى بنت مصر أخجل أن أقول أن المصرية أجمل وأعذب وأكثر أنوثة ···آه لو اسـتطاعت المصرية أن تتخلص من البدانة ··· حتى الذوق لاحظت أن الاوربية كثيرا ما يكون الحذاء لونا ، والحقيبـــة لونا آخر ، وهو ما لا تفعله الأنيقات ·· وشىء آخر تفتقده الاوربية : الملاسة التى تحرص عليها المصريات ان الغابات فى أوربا أنواع كثيرة ·

□

ميلانو

من زيوريخ سافرنا الى ميلانو · قطـارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل ولكنه يمرق فى سهل لمبارديا · بيوت الفلاحين عندنا تتجمع وتتضام كأنها خائفة ضعيفة تستمد القوة من التجمع ، والقدرة من التكاتف ·

◇◇*◇*◇*◇*

كاتدرائية ميلانو

تعتبر كاتدرائية ميلانو مثالا للعمـارة القوطية وهى الثانيـة فى الضخامة بعد كاتدرائية القديس بيتر فى روما · وتعطى كاتدرائية ميلانو انطباعا بتداخل أنماط العمارة والتشكيل فيها · ولعل ذلك يرجع الى تاريخ انشائها حيث اكتمل بناؤها عبر ستة قرون منذ أن أمر بانشـائها دوق ميلانو « جيوفانى جاليازو فيسكونتى » · فقد اختار عدة مهندسين معمـاريين ايطاليين ·· ولكنـــه ضم اليهم مستشارين من الفرنسيين والألمان ··· ونتيجة لهذا كثر الخلاف حول الاسلوب والطريقة · ولم يكتمل بناء القبة الا بعد ١٥٠ سنة · وبعد ستين عاما كانت الارضية الرخامية ومكان التعميد قد اكتملتا ·

وفى أعلى الأبراج يوجد ٢٣٠٠ تمثال للقديسين · وللكاتدرائية أعلى برج فى العالم يليها برج كنيسة (أولم) ·

ولقد انتهى البناء فى كاتدرائية ميلانو بعد ٥٧٩ سنة من العمل · وهنا ظهر ، كما يقول أرنست « فون هيسيو اريج » بيت الله الذى يفوق جماله ماعداه من أشياء فى ميلانو ·

عن كتاب (عجائب العالم) Wonders of the world

لمؤلفه : رولاند جوك Roland Goock

◇◇*◇*◇*◇*

ولكن بيوت الفلاحين فى سهل لمبارديا متناثرة على مسافات بعيدة ... وهى بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وبها ألوان زاهية ... ليست بائسة كبيوت قريتنا ترابية اللون ...

ولم أر على طول مسيرة القطار فى سهل لمبارديا الا فلاحا واحدا يحادث صبيا فلم يكن يمسك فأسا أو يعزق أرضا فالزراعة هناك آلية تقوم على (الميكنة) .

وصلنا « ميلانو » ونزلنا بفندق فلوريدا ... ليس فندقا فخما بل متوسطا ولكنه آية فى النظافة والشفافية .. كل شىء مرسوم رسما فيه ذوق فنان .

بعد الظهر زرنا كنيسة الـ « دومو » الشهيرة التى استغرق بناؤها ٤٠٠ سنة أربعمائة سنة من عمر الانسان بعد أن عرف أشكالا وألوانا من الآلة ... وهنا نلمح عظمة الحضارة المصرية القديمة التى بلغت ما بلغته بأبسط الوسائل ...

منذ أعوام زار زوجى وحده ميلانو .. وحين حدثنى فى احدى رسائله عن هذه الكنيسة ظننت أنه يقصد أنها بنيت منذ ٤٠٠ سنة فلما رأيتها تأكد لى ما يعنيه تماما ... الابواب تماثيل صفوفا صفوفا .. كل مربع من الباب فيه مجموعة من التماثيل البارزة تروى قصة معينة من قصص التاريخ المسيحى .. الابواب تماثيل ، والجدران تماثيل من الارض الى آخر ارتفاعها الشاهق وفى أعلى البناء تمثال كبير للعذراء من الذهب الخالص اذا رأيته من بعيد والشمس طالعة ، راعك التمثال وانكسارات الضوء الصادرة منه ومن الشمس معا ..

والكنيسة تشغل مربعا كبيرا فى ميدان كبير واسع يملؤه الحمام الذى يتخطر فى اطمئنان وفى أمان .. ان الدين فى كل مكان حرم وسلام ..

وفى ميلانو زرنا قصر الحاكم القديم Castelo Ceforsa كاستلو سفورصا وهو مفتوح للزيارة بالمجان ... وهو قصر جدرانه صماء ... وعلى جانبيه بناءان ضخمان اسطوانيان يشيعان الرهبة . ولم نتمكن من زيارته بالداخل لاننا وصلنا بعد الميعاد المحدد للزيارة خطأ .

بعد هذا ذهبنا خطأ لزيارة الجالرى وهو سوق المدينة وأحد معالمها . والجالرى أى السوق المسقوف . والايطاليون يقيسون عظمة مدينة

من المدن بالجالرى فيها . وقد حرص أهل ميلانو تمشيا مع هذا المقياس أن يكون جالرى ميلانو أعظم جالرى فى ايطاليا كلها ... وسقف جالرى ميلانو من البللور وهو فى الوسط فوق الفسقية الموزايكو الجميلة على شكل قبة باذخة .. وفى الممرات على شكل نصف اسطوانة .

وفى جالرى ميلانو مكتبة من خمسة طوابق .. وأحد ممرات الجالرى يفضى الى ميدان واسع به دار أوبرا ميلانو ... والاوبرا فن الايطاليين ولعبتهم ...

□

فينسيا

الساعة التاسعة صباحا ... بعد ربع ساعة سيتحرك قطارنا الى فينسيا التى يتغنى كل من رآها بجمالها ...

نحن الآن فى بادوفا Badova المحطة السابقة لفينسيا ... اننا الآن على بعد ثلث ساعة من المدينة العائمة ... مدينة الجندول ...

فينسيا

كتب عن فينسيا أكثر من أى مدينة أخرى فى العالم . وهى مدينة انشئت على ١١٧ جزيرة . وكانت فى القرن الخامس عشر ، قلب العالم التجارى وأكبر الموانى البحرية ، وان كانت أهميتها بدأت تتناقص بعد اكتشاف البرتغال ، طريق رأس الرجاء الصالح .

وتضم مدينة فينيسيا ١٥٠ قنالا و ٤٠٠ جسر ، وقصورا زينت بالذهب النفيس والاحجار الكريمة ... قصورا بنيت بيد أعظم المهندسين فى ذلك العصر فيرنويس وتينتوريتو ، وتييتان ، وجيورجيون .

وتستمد المدينة جاذبيتها من الجندول الشهير وكنيسة وميدان سان ماركو . ولكن على الرغم من جمالها فلا التاريخ ولا الطبيعة ينكران حقيقة مؤلمة وهى أن مدينة فينسيا تموت على الرغم من الجهود التى يبذلها العالم للحيلولة دون ذلك فان البحر يبتلع منها ملليمترات كل سنة .

التفاهم حتى الآن صعب علينا فى ايطاليا . فالايطاليون الا ما ندر لا يعرفون الفرنسية أو الانجليزية .. وهما اللغتان اللتان يمكننا التوسل بهما فى الخطاب فى أوربا ... ولهذا تسود الاشارة لغة بيننا وبين القوم فى الفنادق أو المطاعم . وقد بدأنا نلتقط كلمات قليلة مثـــل « جراتسيا » أى شـــكرا ، « بريه جو » أى العفو ، « أكوافرسكو » أى كوب ماء ، « أكوا كلودو » أى كوب ماء بارد ، « أكوامنرال » أى كوب ماء معدنى ، وطبعا « مكرونى » أى مكرونة .

نحن الآن فى محطـــة فينيســـيا مســـتر Venezia Mestre وهى كمحطة سيدى جابر بالنسبة للاسكندرية .

وصلنا الآن فينسيا أو مدينة البندقية ... قصور منظومة على بحـــر الادرياتيك .. وقصـــور أخرى تفصـــل بينها شـــوارع مائية أو برمائية . و « البر » هنا معناه كوبرى نصف دائرى أو نصف اسطوانى يصل شارعين . وهذه الشوارع المائية تسير فيها وتقل الناس ، تاكسيات مائية واتوبيسات مائية أى الفابوراطا Vabouratta بلغة الايطاليين .

ركبنا الفابوراطا فى القنال .. وبعد قليل خرج بنا فى عرض بحر الادرياتيك الى الليدو . وهو شاطىء سمعنا به كثيرا وقيل لنا أنه شاطىء عالمى . ووصلنا شاطىء الليدو فاذا به ساحله حصى صغيرة ومياهه عادية وان امتاز بالهدوء وصف القصور المبنيـة عليه . ولكنه بعد هذا لا يقاس بشاطىء مرسى مطروح فى جمـــال الالوان وصفائها فى بحره وسمائه .. ولا يقاس به فى نعومة رمله وبياضه ... من لنا بخبير فى الدعاية يعرف الدنيا بمواهب الطبيعة المصرية فى مصايفها ومشاتيها .

فى اليوم التالى خرجنا وفى نيتنا أن نذهب الى سان ماركو وهو معلم من معالم المدينة فقابلنا على بعد أمتار من الفندق الدكتور القط وأولاده على مقهى . ما أجمل أن يلتقى مصرى بمصرى فى الغربة .. تهللنا جميعا للقاء نحن وهم . وجلسنا قليلا ثم قمنا على أن نلتقى فى سان ماركو .

سان ماركو شىء رائع حقا بكنيسته الباذخة ... بميدانه الفسيح ... بمحلاته التجارية التى تخلب الباب النساء بمجوهراتها وأزيائها ومناعمها هناك حيث يعمل الهواة حسابهم أن يكون الراغب Good loser

دخلنا الكنيسة وعلى بابها يقف رجلان يمنعان أى سيدة عارية الذراعين من الدخول . وهو تقليد يلتقى فيه الغرب بالشرق . انها حرمة الكنيسة أما ما عدا هذا فكل شىء عار حتى العواطف عارية

مكشوفة فى الطرقات العامة فقد تعودنا أن نرى الاحضان والقبلات فى زحام المركبات والسيارات العامة والشوارع والمطاعم وكل مكان ... وكم تأذينا بهذه المناظر فى البداية ثم ألفناها ...

نعود الى الكنيسة من الداخل ... قباب عالية كالمساجد الكبيرة

غير أن قباب الكنيسة تغطيها الرسوم الملونة للقديسين وتكاد تغطيها أيضا تماثيلهم .. لم يعرف المسجد التمثال أو الصورة فقد تحرج المسلمون منهما . ولهذا تختلف قباب المساجد عن قباب الكنائس . فالمساجد يقوم فنها على الحفر والنقش والتطعيم بينما يقوم الفن المسيحى على الرسم والنحت .

واجهة الكنيسة من الخارج وسورها وجدرانها مغطاة بالتماثيل ، فوق بابها أربعة خيول بالحجم الطبيعى ... وقصر الحاكم الذى يطل كالكنيسة على الميدان تماثيل فى تماثيل . والمبانى التى تحيط بالميدان بواك فوقها بواك فوقها تماثيل .. كل شىء فى فينيسيا تماثيل ورسوم حتى ليخيل للرائى أن القوم يأكلون ويشربون وينامون وهم يرسمون وينحتون ..

الايطاليون ينادون على بضائعهم وهم جشعون محتالون . وفى الشوارع كثير من الافاقين .. ومن العجيب أن المحلات الكبيرة التى لها فى كل بلد تقاليد تجارية وسمعة تحرص عليها من حيث الامانة والمعاملة وجودة الصنف .. كل هذا لا تعرفه محلات ايطاليا الكبيرة أو الصغيرة على السواء .

رأيت مصنعا للمورانو يتبعه محل فخم للعرض يتكون من طابقين كبيرين ... والمصنع بمعرضه الزاخر جبار ضخم ... وقفنا أمام فازة من الاوبال الاخضر وبالطبع لم نفكر لحظة فى شرائها .. فما كادوا يلتقطون اعجابنا بها حتى التفوا حولنا يزينونها لنا فى حركات بهلوانية وكلهم يتكلمون فى نفس واحد . ويلحون فى بيعها لنا . وعبثا نؤكد لهم عدم استعدادنا للشراء وأخيرا لجأنا الى اختراع أسباب ، على فرض أننا مشترون ، كالخوف عليها من الكسر أو الجمرك مثلا . فاذا بهم وبسرعة يحلون المشكلة فالكسر يمكن تفاديه بلفها بطريقة معينة فى صندوق كبير ثم التأمين عليها .. ومن الطريف أننا رأينا الفازة فى آخر ابهاء الطابق العلوى وتركناها وانصرفنا عن الموضوع ثم تهيأنا للنزول والخروج فاذا بنا فى الطابق السفلى وتقريبا عند الباب ، نجد الفازة !! ونجدهم يعاودون من جديد عملية عرضها علينا واغرائنا بها ... واذا بهم

يخفضون سعرها الى النصف تماما ٠٠ وعندما استنفدوا وسائلهم لجأوا الى ابنتنا التى لمحوا اعجابها بالفازة ، أن تتوسل الينا أن نشتريها !! وكانت النتيجة الطبيعية أن نفرنا منهم ومن الفازة معا وخرجنا مهرولين نلتمس النجاة من هذا الاخطبوط ٠٠٠

وفى اليوم التالى عندما طفنا بمحلات المدينة وجدنا كثيرا من معروضات هذا المصنع بثلث الثمن المعروضة به فى مصنع المورانو وفهمنا السر فى تخفيض الفازة الى النصف ٠

ولكن قد يسهل اللعب بالسعر فى فازة مثلا يعتمد المصنع على قلة المعروض منها فى المحلات الخارجية بأوصافها نفسها ولكن ما تفسير لعب مصنع كبير بأسعار العقود والطقاطيق التى تباع فى كل مكان حتى على الرصيف ، وفى الاكشاك ويسهل على الانسان من أول نظرة اكتشاف أمره ٠

اننا نتهم أنفسنا كثيرا وننعى عيوب بلادنا ٠٠ هذه فينيسيا المعدودة من أحلى مدن أوربا ٠٠٠ فيها الحوارى الضيقة التى لا تتسع لاكثر من اثنين يسيران جنبا الى جنب حتى كنا نسير مع أولادنا ، فيها ، طابورا !! وبعض الشوارع ملقى فيها الورق بل البصق والمخاط ! وهنا وهناك يتجول الشحاذون ٠

وفى فينسيا عندما يقدمون كشف حساب فى المطاعم تجد فى صدر القائمة مبلغا كبيرا مقابل المكان أى مقابل تشرفك بالجلوس فى المطعم ٠ وهذا طبعا غير مبلغ آخر مقابل الخدمة ومبلغ ثالث للبلدية ثم الطعام ٠٠٠ قطعة اللحم ثمن ، وقطعة بطاطس بجانبها ثمن آخر ، ونصف ورقة خس ثمن ٠٠٠ ولست أدرى لماذا تركوا كوب الماء بلا ثمن ٠٠٠

ان قضاء الحاجة فى ايطاليا بثمن ٠ فمن يدخل دورة المياه عليه أن يدفع ما يعادل ثلاثة قروش !

اتفق معى ابنى على أن نخصص له فى فينسيا ، جنيها ليشترى ما يروقه بنفسه ٠ واشترى فى اليوم الاول لعبة (سيارة) بـ ٨٠٠ ليرة ٠٠٠ وفى اليوم الثانى أراد شراء سيارة أخرى فعمد الى التلميح سائلا :

– فاضل من الجنيه بتاعى كام ؟

قلنا له : ٢٠٠ ليرة ٠٠

فقال فى خفة دم مصرية :

ـ لا ·· يبقى الباقى أدخل به التواليت ··

وظاهرة أخرى يراها ويحسها الغريب أكثر ··· أعنى (الاضراب) وبشكل واسع · لنا صديق من أصل عثمانى عاش طويلا فى مصر · ويقيم الآن فى ايطاليا · يقول صديقنـــا معللا : السبب الرئيسى للاضرابات هو (منع الطلاق) · طغت المرأة الايطالية الآمنة فلم يجد الرجل الايطالى متنفسا الا فى الاضراب يثبت فيــه ، وبه ، شـــخصيته ·

ان صديقنا فى تعليله فيه (حتة) من مصر الضاحكة والا لماذا لا توجد هذه الظاهرة بصورتها الحاضرة ، فى غير ايطاليا من بلاد أوربا ؟

□

جنـــوه :

من الغريب أن أهم معالم جنوه السياحية ، الموت لا الحياة ··

أهم معالم جنوه الـ Cemertairo أى مدينة الموتى بها ·· المقابر ·· قرافة جنوه ·· لكأن موتاهم كلهم أبرار فهذه القرافة جنة بما فيها من زهور وشموع وهدوء ونظافة ·· كان اليــوم « الاثنين » أى عقب الاحد وزيارته فالزهور ما زالت رفافة لم تذبل والشموع مضيئة ·· الشواهد متجاورة فى رقة وجمال ليس بينها مكان يسمح بالجلوس والنوم والطبخ والتخمة ثم التبول ··
وعلى كل شاهد تاريخ الميلاد والوفاة وقلما نكتب نحن تاريخ الميلاد على الشواهد مع أن اخفاء العمر بعد الموت لا قيمة له فلو فرضنا انه يكسب شبابا أو ايحاء بالشباب فى الحياة فبعد الموت كل شىء ضـــياع ·

وهناك اهرامات صغيرة أى توابيت كبيرة وتماثيل تغطيها وتحيط بها السقوف والجـــدران ولكن قبور الشـــواهد أرق وأقرب الى الســـماء ·

قبل أن اغادر ايطاليا أسجل لها أروع ما رأته عينى فيها ·· صورة الفنان « مايكل انجلو » على ورق النقد ·· الفن هو الرمز الحقيقى للبلد ·· أى بلد ··

حين تنزع القصبة من مغرسها ، تصير شبابه
ترسل النغم شجى كقطرات الدموع

رحلة العودة أقصر أياما من رحلة الذهاب وهو ما نتمناه فقد شفنا الشوق الى مصر ·· عندما مرت الباخرة أمام جزيرة صقلية هز قلوبنا بحار جلس ومنظاره على عينيه يحاول رؤية الجـــزيرة لعل له بيتا فيها أو حبيب روح ·· يبدو أنه رأى حبه فقد أخذ يلوح بفوطة فى يده ·· يد متشنجة تجمعت فيها مشاعر انسان مغترب بحنانه وحنينه كان له الله ·· انى أحس عذابه وأنا وسط أسرتى حولى زوجى وأولادى ولكن مصر فى القلب وجود بلا حدود ·· انها الاهل والولد والزمان والمكان وبعد هذا كله يظل منهـــا فى القلب معنى غير محدود يهفو اليه القلب حتى عندما يكون فيهـــا ويحيله الغياب قطعة من العذاب فى البعد والفراق ·

نقترب الآن من المساء الشمس لم تغرب بعد ولكنها بدأت بألوانها تذوب فى الافق ·· وقفنا نشاهد الغروب ·· احمر قرص الشمس ·· الهلال الوليد فى السماء قوس رفيـــع أبيض وقرص الشمس يغطس شيئا فشيئا فى الماء حتى لم يبق منه فوق سطح البحر غير هلال ·· هلال أحمر فى الماء ، وهلال أبيض فى السماء ·

ازاى ازاى ازاى أوصف لك يا حبيبى ازاى

قبل ما احبك كنت ازاى يا حبيبى

كنت ولا امبارح فاكراه

ولا عندى بكره استناه

ولا حتى يومى عايشاه

يا حبيبى

ام كلثوم ·· صوت البشائر ·· مصر ·

النوم فى هذه الليلة نعمـــة لانه سيختزل المدة الباقيـــة على الاسكندرية التى تستقبل باخرتنا فى الصباح ·· ابنتى تعدو متجهة الى فى وجهها فرحة تهلل ·· الآن رأيت الراديو الترانزستور فى يدها ·· انها تقول انها بدأت تسـمع اذاعة مصر بوضـــوح ·· اقتربت الاسكندرية ويرانا راكب انجليزى ويفهم من بريق العيـون وضم الآذان للراديو ، ما يدور بيننا فيلتفت الى ويقول كمن يهنىء: Home at last ما أحلى العودة الى الوطن بعد الغياب على أمل ، أو بعد يأس كما يقول شوقى ، سواء ··

مــا دمت لقيتـــك يا وطنى		كأنى قدلقيت بك الشــبابا
ولو أنى دعيــت لكنـــت دينى		عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبـــل البيت وجهى		اذا فهت الشهادة والمتابا

وأدرت وجهى وقلبى نحو منازل تبدو من بعيد ومآذن ومداخن .. نعم انها مصر .. انها الاسكندرية .

وقيل الثغر فاتأدت فأرســت		فكانت من ثراك الطهر قابا

كانت بينى وبين هذه الابيات علاقة خاصة منذ كنت تلميـــذة بالمدرسة الثانوية وحفظت غيرها وغيرها .. وأخيرا التقيت بهـا هى على سطح الباخرة لاستقبل معها واستقبل بها الاسكندرية .

كانت فرحتنا كبيرة متوهجة ولكنى فى غمرة الفرحة لاحت منى التفاتة الى طاقم الباخرة .. هؤلاء البحارة وجميع العاملين على السفينة لم تلمع وجوههم ولم تبرق عيونهم مثلنـــا .. لم تعكس قسماتهم أى تعبير جديد ..

ان الاسكندرية التى تهز وجداننا الآن مجرد مينـــاء فى طريق الباخرة كالموانى السابقة .. ليس لهم أحد فى الاسكندرية .. ان البحر متعة اذا كانت الرحلة فيه أياما معدودة تدنو بالمســافر ، كل يوم ، من اللقاء الحبيب . ولكن هذه المتعة تفقد نكهتها ومذاقها اذا انقلبت حرفة .. روتين .. متى يرتوى هؤلاء الظماء بالعودة الى أوطانهم وأحبائهم .

الاسكندرية الجميلة بهوائها وهواها لم تبل الشوق كله .. انه نداء القاهرة .

سلامات ـ ازيك سلامات .. كلمة تعود القلب أن يتمتم بهـــا كلما صافح وجه النيل بعد غياب ..

انتهت الرحلة .. بل بدأت الرحلة فالرحـلات تبدأ حيث تنتهى .. ان السفر لا يخلو من قلق وخوف غامض وارهاق أيضا .. وتأتى العودة فتغسل هذا كله وتصفو الرؤية ويبدأ الســـفر فى الخيال فيطوف الانسان من جديد الاماكن والبلاد ويحكيها ويستوعب المشاهد والرؤى ومن ورائه الذاكرة « تستف » الذكريات ..

وبدأ أولادى يتذكرون ويقارنون .

ـ ايه يعنى جنيف . القاهرة أجمل منها مائة مـــرة حتى مع قذارة بعض الشوارع واهمال بعض الاحياء .

– ايه يعنى البحيرات ٠٠ النيل أحسن مائة مرة ٠

– ايه يعنى زيورخ ٠٠ ايه يعنى كذا ٠٠ وعلق الاولاد على ايه يعنى ٠

ولكن حنان أكبرهم كانت تكسر حدة المقارنة بقولها :

– تمنيت لو طالت وقفتنا عند كنيسة ميلانو الـ « دومو » فما ينفق الانسان فيه ٤٠٠ سنة من عمره ، لا تحيط به زيارة قصيرة أو نظرة عابرة ٠

وحمدت الله أنهم لم يتمردوا على بلدهم كالكثيرين ٠٠ على ألا يبخسوا الناس أشياءهم وعزز والدهم باعتبـــاره رأى كثيرا من عواصم أوربا ، ثقتهم بعاصمتهم وقال :

– ان القاهرة من العواصم العالمية المعدودة ٠٠ ليس فى العالم أكثر من بضع مدن فى مثل اتساع القاهــرة وتعـداد سكانهـا ٠ لندن مثلا ، موسكو ، باريس ، برلين ٠

وردت ابنتى فينان : حتى بغض النظر عن الحجم والاتســاع والتعداد ٠٠ الخ ، القاهرة فيها ميزة عزيزة ٠٠ الواحـد يحس معها كأنها تفتح له ذراعيها وتقول أهلا ٠٠ تعال ٠٠ متهللة ٠٠ القاهرة كأن على كل شجرة فيها ابتسامة تودع المسافر وتستقبل القادم ٠٠ لها شوق اذا غاب الساكن اليها والساكن فيهـا ٠٠ ولها فرحة اذا عاد ٠٠

عذبة القاهرة خاصة فى الجزيرة حيث تصعد المئــذنة كدعاء مؤمن الى السماء ، وتشمخ المسلة كمجد الفراعين ٠

بلد المجد وبلد الوجد عاصمتنا القاهرة ٠

فى حبيبتنا القاهرة رقة وصفاء من أثر التــاريخ الطويل فى الحضارة ٠

ان عطاء مصر فى الادب الرسمى هو الذى سجل وضمنه اصحابه بطون الكتب ولكن القريحة القاهرية خلقت وابتدعت ٠

الرجل العادى فى الحرفة البسيطة فيه لماحية وخفة روح تجعل الحلاق ، يكتب على (دكانه) « نحن نقص » ، والساعاتى يشير الى بضاعته بالآية (ان الساعة آتية لا ريب فيها) ووكيل المحطة الذى علق على مكتبه لافتة بالاية (هو الحق الوكيل) ٠

وليس هذا بالسهل فى باب لطف المشاعر او ظـــرف الروح . فقد روى الشيخ على الليثى عن الخديو اسماعيل انه رأى يوما لافتة وكيل المحطة « هو الحق الوكيل » فزر ما بين حاجبيه ثم صاح : هو .. الحق الوكيل ثم اســتدرك ظانا انه فطن الى الصواب : هوا لحق الوكيل .. ولم ينفذ الى الآية العربية او اللمحة المصرية .

ليست المسألة جدرانا أو تعداد السكان .

انها «روح المكان» ..

تعيشى يا مصر ..

فى أعلى الجبل دعوت لك .. وفى سهل الـوادى صليت من أجلك .. فى البحـر رأيتك اسـكندرية واسـماعيلية وبورســعيد وسويس وغردقة وبرنيس ..

وفى البر رأيتك دلتا والصعيد ..

رأيتك فى آثار الناس أقدم من القدم وأطول من الزمان .

ورأيتك فى أوطان الحضارة الحديثـة دمعـــة فى عينى تأسى ولا تيأس ، وأمنية فى خاطرى تطوى الليل وتتعجل الفجر .. وقد طلع الفجر وانجاب الظلام عن وجهك الجميل النبيل ، يا أم الحضارة يا أم التاريخ يا أم النيل يا أمى يا مصر ..

ان الحياة هناك بمبتكرات العلم أسهل وأنعم ولكنك عندى كنت وما زلت وستظلين الاغلى والاحلى أيضا .. ولن يتأثر زهوى بك وفخرى بالانتساب اليك ولو طاف بى الحور جنة رضـــوان .. ليت نصيبى من الجنة يكون على ضفافك يا نيل ..

لقد علوت الجبال فى سويسرا وجبت السهول فى ايطاليا ولكن جنات الدلتا لم تكن عن عينى تغيب ..

وقفت أمام آثار اليونان والرومان والعـــرب فى الاندلس ولكن شريط المجد من سقارة الى (أبو سمبل) ما كان ينتهى الا ليبدأ من جديد .. وحسبنى الراءون فى أوربا وأنا فى الصعيد ..

شــاهدت الانهار .. السين فى فرنســا ، والتيمز فى انجلترا ، والوادى الكبير فى اسبانيا فكان اكبرها كفرع الزمالك الــذى نسميه « النيل الصغير » أو « البحر الصغير » .. أما النيل الكبير

·· البحر الكبير عند جزيرة الذهب فليس له ضريب ·· ووجدتنى فى كل مكان أقول بغير حروف :

« أنت أنت مصر » ··

حتى حين يتسع الفرق بينـــك وبين أوربا لا أتمنى العيش فى غيرك أو الانتساب اليه فوجه الام وان شاه ، أجمل الوجوه وأنت أمى الجميلة الكريمة الرءوم ·

كل سبق يحرزه غيرك ، وكل تقدم لم تبلغه ظروفك لا يبعدنى عنك بل يدنينى منك أكثر لانه يزيد اهتمامى بك واشـــتغالى ·· كيف أنقل اليك الجديد والتقدم والعلم كيف ؟ عندك كنوز الطبيعة وعندك كنوز التاريخ وعندك الوادى وعندك الصحراء ·· عنـــدك المادة وعندك فيوض الروح ·· أنت وادى النيل وأنت وادى الدين ليس ماضيك وحده هو الذى يأسر القلب المصرى ولكنك أنت كلك لانك مصر بما لك وما عليك ·· ولا عليك ولكن علينا وحدنا يقع الذنب حين لا نعى عنك الدرس ، أو نصون لك الحق أو نحفظ لك الجميل·

العيب ليس فيك ولكن العيب فينا لاننا كالوارث الابله لا يعرف قيمة ما تركه له أبوه ·

أرأيت كيف تمتزجين بالدم فى العروق فالقلب ينبض لك والعقل يفكر فيك واللسان يترطب بذكرك فلا يملك المصرى الجواب فى أى مكان حل به الا أن يقول : أنت أنت مصر فى حنين كأنين القصبة حين تنزع من مغرسها فتصير شبابة ترسل النغم شجى كقطرات الدموع ··

وتتملك المغامرة ، الشباب ، ··· والمرارة الكهول ، فيبتعدون طلبا للرزق أو الراحة فما يكادون ينفضون عنهم غبار السفر حتى يحنون اليك ·· ويلج بهم الحنين فيغدو شوقا متقدا ، ودموعا ، على سماع الاغانى ، ومقارنة متصلة ·· ثم ينسون شقاءهم القديم ·· وفى سهمه يتمتمون :

تعيشى يا مصر ·· وفى لهفة يقولون ·· أنت أنت مصر ··

في مصر

رحلة المجد .. رحلة الأقصر

١٩٧٤/٩/٢

تحرك القطار فى تمام السابعة مساء ٠٠ غادر القاهرة فى طريقه الى الصعيد ديار المجد وديار الوجـد ٠٠ وكلما أوغل فى سـيره ، أسدل الليل أستاره فلم تعد الرؤية متمايزة ٠٠ الوادى فى غيبة الشمس متشابه فخلدنا الى السكون ولكننى نحو العاشرة ، دون أن أنظر الى ساعتى فى حينها خرجت من غرفتى بالقطار الى الممر الضيق لعلى أرى (مغاغة) بلدتى الاولى ٠٠ وما هى الا دقائق حتى لمحت اللافتة العريضة تؤكد أن احساسى كان صادقا ٠٠ انها (مغاغة) مر بها القطار مسرعا كأنه طيف أو كأنها حلم ٠٠ ومع هذا رأيتها ٠٠ القديم الذى بيننا أخصب اللحظات ٠٠ رأيتها المحطة هى هى لم يتغير فيها شىء ٠٠ الشجرة نفسها واقفة لم تمل وقفتها تلك كأنها تنتظر المجهول ٠٠ براها الشوق فهى نحيلة ٠٠ المحطة هى هى ٠٠ حجرة الناظر بطلائها القديم ٠٠ البـوابة التى كنت أنتظر عندها طفلة مرور القـطار لتفتح حتى أعبرها فى طريقى الى المدرسة التى تقع على الجانب الآخر ٠٠ البوابة هـذه المرة تنتظر مرورى أنا لتفتح ويعبرها أطفال آخرون فى سن أولادى ٠٠ انه موكب الاجيال ٠

ورأى أطفالى انفعالاتى الصامتة وجاملتنى البنات بالتمنى ٠٠ لو أن القطار وقف على مغاغة ! ولكن أحمد الصغير غلبته النكتة المصرية فقال : يبدو أن السائق حماته من مغاغة لهذا ولى مسرعا كمن يهرب بجلده ٠٠ ماذا يعرف الصغير بعد عن (الحمـاة) ! ولكن اسرافنا فى التندر منها ، أعداه ٠٠ مسكينة ٠

القطار يتجه الآن الى محطة أسيوط ومن نافذة القـطار تتابعت أمامى المناظر القليلة ، بيوت متواضـعة تسف التراب أو أكواخ

الطين لم يكن شامخا فى كبرياء الا النخيل والنيل .. وكان الجبل يدنو من القطار فيحجب عنى المشاهد ثم يفسح له فأعود من جديد أتطلع الى المنظر المكرر ولكنى لا أمله بل أتملاه وأجمعه فى قلبى فعلى هذه الارض ولدت ، كما ولدت من قبل عليها ، حضارة الانسان

لا نزال فى الليل الذى تولى عن الجبل حجب البلاد والاشـــياء حجبا كاملا اختفت تماما الاشباح التى كانت تجوس خلال النهـار أقصد الاجسام النحيلة الهزيلة التى تدب أقدامهـا على الارض من تحت أسمالها .. أين أضواء المساء ؟ .. أين أفراحه ؟ أين البيوت وثريات الكهرباء ؟ لماذا قل نصيب الصعيد من النور وهو الذى أرسل النور علوما وفنونا وفكرا وحكمة ؟ أكواخ الطين ضاعت معالمها لو صح أن لها معالم . وغرقت فى الظلام والصمت حزينة كاسـفة تتراءى منها على البعد أضواء شاحبة عليلة تنبعث من لمبـات الصفيح التى يسمونها هناك (لمبة صاروخ) من باب السـخرية فيما أظن .. فالذى يستعمل هذه الوسيلة الكئيبة البدائية لا يعيش فى عصر الصاروخ أو حتى الحمار ..

ولفنى الصمت أنا الاخرى ولكنه صمت بدوى فى داخلى .. حتى أسيوط تجرعت قراها المرارة وهانت على أصـحابها وعلى الحياة الكريمة الخليقة بالانسان ؟!

ومر أمامى شريط طوله عشرون عاما ووزنه ملايين الجنيهات .. ألوف ضاعت فى الصحراوات والعداوات والصداقات والخزعبلات من كل نوع ..

وعينى على قرى أسيوط ، تذكرت بيروت التى رأيتهـا مرتين : مرة سنة ١٩٦٠ وكانت فيها لا تزيد عن شارع كلوت بك فى القاهرة ومرة سنة ١٩٧٣ وهى فيها حافلة بالمتاجر والمنازل والشـوارع الحمراء والصفراء !!

لهفى على أسيوط أفزعها الخطر .. وغيرها أترعها السـهر وموسيقى الجاز ..

لهفتى على المنيا وأسيوط روعهما السيل وغيرهما أترعه الخير أنفقته مصر أو أهدرته فى غفلة من الزمن والعقل .. وفى غفلة أكبر منا نحن المنكوبين .

ولم أكد أستقر فى القاهرة بعد الرحلة حتى توالت أنباء الطوفان الذى جرف قرى المنيا وأسيوط معا لانها هشة لم يدعمها المال ، أو العقل ، أو العدل ، أو حب الاوطان ولو على القدر المغروس فى قلب الحيوان والطير حين يعشعش على صغاره لا أفراخ الآخرين ٠

قرى مهلهلة كضمير مافون ، منخوبة كتفكير مجنـــون ، مكروبة كقلب محزون ، محروبة كصحراء أضناها الظمأ وهى صاحبـة النيل والقنال والمال والامر أو هكذا كان المفروض ٠٠

لا وقت للتحسر ٠

من اجل كرامة الحاضر ٠٠

ومن اجل قدسية الماضى

ومن أجل الانسان المصرى فى الضفة الشرقية من النيل هـذه المـــرة ٠٠

ردوا على الصعيد الحياة حقوقا واجبة الاداء لا اعانات ولا مساعدات ٠

أعيدوا بناء الصعيد فقد بنى مدننا فى الحاضر وتاريخنا فى الماضى ٠

انه مصر فأبناؤه من أولئك الذين يزرعون ويصنعون ويبنـــون ويدفعون الضرائب ويدافعون عن الوطن فى الحرب ، ويصـنعون الكلمة فى السلم ويشكلون الحجر ويبعثون الوتر أنغاما فتحـــلو الحياة بهم ولكن فى عين الآخرين ٠٠

□

الاقصر :

وصلها القطار قبيل السادسة ٠٠ كانت المدينة نائمة لم تستيقظ فيها الا المحطة ٠٠ وحتى هذه كانت هادئة فلا اصـوات صاخبـة ولا حركات عالية أو لاهثة ٠٠ حتى الحمال تقدم فى هدوء وتناول الحقائب عند نزولنا من القطار ووضــعها على الرصيف ثم وقف ساكنا وكأنها مساعدة مجردة ٠٠ فطلبنا نحن منه أن يصحبنا الى خارج المحطة حيث الحناطير ينتظمها صف طويل ٠٠ وهنا ايضا لم يلح احد ولم يفرض نفسه ٠٠ نحن الذين تقدمنا الى اقـــرب حنطور ٠٠ يبدو أن وقار التاريخ فى المدينة العريقة أعدى كل شئ بالترفع والتعفف ٠٠

وصلنا الى الباخرة ايزيس الراسية على الشـــاطىء ‥ من الشرفات وعلى السطح ‥ كل شىء فيها يمنح اطلاله على النيل ‥ انه ملك ‥ ملك الملوك فالشاطىء الغربى الممتد أمامنا ‥ حرم ‥ ومثوى لسيتى الاول وتوت عنخ آمـــون والملكة تيتى ورجال دولتهم ·

النيل ساكن الصفحة ‥ مويجاته ، لولا النهار لقلت أنهـــا تسرى ‥ الشاطىء الغربى أخضر ‥ الزرع فيه يعـــلو مدرجات متقاربة والجبل وراءه ‥ الكل تلفه غـلالة شفافة من ضـــباب الصباح ‥ البدر ما زال فى المساء ينتظر طلوع الشمس ليغيب هـو ‥

مياه النيل بدأت تأخذ لونا ورديا فاتحا ‥ انها طلائع الشعاع ‥ حتى الثرى لونته الاضواء الوردية فتشربت ســـمرته بحمرة جذابة ‥ وبدأ الجبل ينضو عنه غلائله فلم يعد جبلا واحدا كما يبدو للعين بل تلالا متتابعة فيها قمم صغيرة وتجـــاويف وأخاديد وغضون ينسال عليها الرمل والشعاع فيلمع جانب ويدكن جانب ثان ‥ ويؤكد الاخضر على الشاطىء ، الاصفر وراءه ‥ وكلما صـــعدت الشمس فى مرقاها الى الســـماء ، تبدى المنظر أكثر وازدادت ابتسامته اتساعا ‥

بلغت الساعة السابعة فانبعثت من « ايزيس » موسيقى جميلة ناعمة ‥ انها بلغتها تقول « صباح الخير » ·

بدأ اليوم وأخذ النشاط يدب فى الباخرة ‥ وفى الطبيعة أيضا ‥ النيل موجاته الوسنانة بعد سهر الوهنانة بعد سفر بدأت تصحو وتتقافز فى سرعة الموجة تجرى ورا الموجة عايزة تطولهـــا ‥ اللنشات الصغيرة بدأت تعبر أمامنا الى الشاطىء الغربى مخلفة فى النهر طرقا كأنها أصبعا نحيلة خطت فى عســـل ابيض سرعان ما يلتحم ويبدو العسل كلا واحدا ‥ هكذا النيل مع القوارب التى تمخر فيه ‥ ولامر ما رمزنا الى الوجه القبلى (بالنحلة) ·

أرى أمامى لنشا صغيرا يقبع فى حضن الشاطىء الغربى وقد تعلق به فى حب كما يتعلق طفل بصدر أمه ‥

حتى القوارب تحب النيل ‥ تعشقه ·

حقيقة ان النيل يصحب مصر من أسوان حتى يصل بها ومعها الى شاطىء البحر الابيض بل ان النيل يمتد لا الى جنوب مصر وحدها بل جنوب السودان ·· وقد يتصور انسان أن بوسعه أن يراه فى كل مكان وفى أى وقت على امتداد هذه المســافة ولكن لا ·· ان النيل من الحضور وغنى الشخصية بحيث يبدو جديدا وفريدا فى كل مكان فهو فى الاقصر غيره فى القاهرة أو أسوان ·· هنا فى الاقصر النيل والضفة الغربية الخضراء بنخيلها والتلال وراءها والسماء وراء التلال وفوقها ·· « تركيبة » خاصة بالاقصر ·· ثم الهدوء الذى يملى للنفس ، ويخلى بينك وبين هذه الجنة ·· لعلهم لهـذا ، اختـاروا أن يودعـوا الراحلين ، الضـفة الغربيـة كمن يفتح لهم باب الخلد ··

فى الاقصر وفى (ايزيس) انت والنيل والسماء والضـــفاف فى صحبة ·· أنت هنا لحن فى السيمفونة الرائعة بضعة من هــذا المنظر الرائع لا يحول بينك وبينه حائل من بعد أو عمل ·· عملك هو أن تقرأه وتغوص فيه ·· تصيره ويصيرك ·· هنـا الكل فى واحـــد ··

وهذا المنظر من الغنى والوفرة بحيث يغدو فى كل جـــزء من النهار جديدا مع توزيع الضوء وتركيزه هنا أو هناك ·

ايزيس :

كم أنا سعيدة بها ·· لقد راقنى الكثير من لفتات السياحة فى الخارج · ومع كثرة ما رأيت تعطينى ايزيس « جديدا » الحمد لله ·

فى السابعة صباحا انبعثت منها موسيقى ناعمة مســـعدة هى تحية للصباح ودعوة للافطار ·· من يريد · قائمة الطعام كتب عليها « صباح الخير » · طعام الافطار كان سخيا متنوعا يلبى سائر الرغبات ·· الخدمة ملبية دمثة ·· وتذكرت فى بلد المجد « الاقصر » اننى فى رحاب الحضارة الرفيعـة التى بلغ من رقتها وانسانيتها أنها كانت تسمى الخادم : « المجيب » ·

الحجرات أجمل ما رأيت فى بواخر حتى الآن وقد ركبت بواخر شتى من جنسيات مختلفة وعلى أعلى المستويات ·· ولكن الحجرات فى ايزيس أغلى وثارة وأنعم ·· الحجرة مزودد بكل ما يتمنـاه انسان وكأنها شقة صغيرة فاخرة · وتزيد ايزيس عن البواخـــر التى ركبتها بما فيها « اسبريا » أزرار الموسيقى حتى لتستطيع أن

تتنفس موسيقى بها تنام وعليها تصحو .. موسيقى جميلة هادئة كأنها خلفية للوحة التى تعيش فيها كأحد خطوطها ..

الاقصر حبيبتى .. حضن كبير دافىء يلملم حتى غربة الغرباء فما بالك بأصحابه .. بأبنائه .. هنا يتوضأ الاحساس ليصلى القلب وتتبتل الروح التى علتها شوائب كثيرة من صراعات الكفاح فى الحياة ..

النوافذ فى ايزيس ليست (قمرات) صغيرة وكأنها عيون نظارات ولكنها بانوراما .. اطار كبير واسع للوحة رائعة . الستارة على نافذة كابينتى جميلة الالوان كفراشة تستحم فى الضوء ولكنها غريمتى .. اذ لا أريدها .. لا أريد ذلك الجمال الذى يحجب عنى جمال النيل والنخيل والاقصر وقلت بغير حروف مع شاعرنا الجارم:
خلو السجوف تذع مجلى محياها   وتنشر المسك من أنفاس رياها

من يملأ كوبى بها لاشربها واغدو كونا وكيانا نفيسا كما شربت كليوبطرة أثمن جوهرة بعد أن أذابتها فى كأسها فيما تحكى عنها الروايات أو الخيالات .

الاخضر أمامى فيما يبدو لى نصف دائرة .. ونحن فى وسط هذه الدائرة نقطة ولكنهـــا ليست نقطة المركز كما يشاء غـــرور الانسان أن يصور نفسه .

الساعة الثانية عشرة .. الجبل متربع فى الضوء فى هيئـــة رابضة كصدر أبى الهول .. انه حس الربضة والنبضة والاستشراف .

فى وضح النهار اتضح شىء جديد فى الجبل .. فى جانبـــه تجويف قائم كسور حصن وكأنه ينى بناء مرسوما ..

متعة أن تتملى النيل بمراكبه ومواكبـــه .. مراكب الشراع .. ومواكب الشماع ..

□

بين الاقصر ومرسى مطروح

فى هذه اللحظة ملء عينى ، الاقصر ، وملء ذاكرتى ، مرسى مطروح التى غادرتها منذ أيام .. تذكرت فى حضرة النيل وطيبة ، البحر فى (مطروح) و (عجيبة) .

كان الطريق اليها سلسا ربع الساعة الاولى فى سيارة جيش ذات السقف القماش والمقاعد الطويلة المتقابلة ٠

ولكن سلاسة الطريق واستواءه ، فترة قصيرة أوعر بعدها وأوغل فى الوعورة حتى كانت السيارة اللورى الغليظة (لعبة فى يديه) يرفعها ويخفضها فيرتفع تبعا لهذا صياح من فيها أو ينخفض دون أن يهدأ ٠٠

وأخيرا وصلنا بعد ساعة مرت كأنها ساعات ٠٠ وما كدنا نراها ، « عجيبة » ، حتى نسينا الطريق بوعورته وعذابه ودخلنا فى عالمها المسحور ٠٠ وكأننا الشاطر حسن الذى يتحدى الصعاب فى أساطيرنا الشعبية ليفوز فى النهاية بست الحسن والجمال ٠٠

كانت فى عينى وعيون كل من رأوها ست الحسن والجمال ٠٠ رقيقة أنيقة ٠٠ كأنها من نفسها تسكن قصرا يعدون له البحار السبعة وان كنت لا أدرى سر اصرار أساطيرنا على العدد « ٧ » ٠ لعله المقابل فى نظرها للسماوات السبع الواردة فى كتبنا المقدسة ٠



شاطىء « عجيبة » فى مرسى مطروح

ان يكون الصخر شفافا رفافا ·· عجيبة ·

وأن يكون الصخر منقوشا منمنما كالدانتلا ، بحساب دقيق أو هكذا يبدو للعين ، « عجيبة » ·

وأن يكون الصخر ملونا بالضياء ·· عجيبة ··

وأن يكون البحر والصخر والسماء فى اجتماع مغلق ، عجيبة ·

نغمة عالية « عجيبة » فى لحن رائع يصل بها الى قمة ·· ويلفنا الصمت ·

وينهل النغم فى حنان وروعة ·

ويشف الانسان كالمكان ·

ولكنه يظل صغيرا حيث يتسع الفضاء ويترامى البحر ·· هنا يغدو الانسان نقطة فى محيط ·· هذه حقيقته ··

ومن الغريب أن هذه الحقيقة تغيب فى المدينة ·· تغيب عنها ، وتغيب فيها ·

فيصطنع الكبر ويمشى مرحا ·· وكأنه يخرق الارض أو يبلغ الجبال طولا ·· ولعل القرآن اختار (بعد) الطول فى المقـــارنة ليكشف عن مدى ضعف الانسان فالانسان من الجبـــل فى قياس الحجم ذرة ·

فما بالك بالمقارنة فى الابعاد الاخرى كالثبات والرسوخ والعمر الزمنى ومقاومة الايام ؟ فالجبل لا يمرض ولا يهرم ولا يشـيخ ولا يهدده شبح الموت ··

وبعد هذا ومع هذا يتكبر الانسان ··

ليته يتذكر فى هذه اللحظة « عجيبة » التى طفنا بها ··

انها للعيون صلاة ·

وعدنا الى مطروح والجمال فيها يروع ويأسر ولكن « عجيبة » لا تنسى فجمالها له طابع متفرد وفريد ·· وفى طريق العودة عرجنا على «الابيض» ·· حيث يجود البحر بنحو كيلو متر مربع من الصفاء واللازورد الشفاف ·

حيث ينعم البحر بالامان والسلام فلا يخشاه حتى قليل السباحة ·

انه كالاستاذ الكبير يحنو على الضعيف ويبارك القوى والكل منه فى حمى أمين ..

وكانت أشدنا شعورا بالجمال فى «عجيبة» والابيض ومطروح، فتاة ألمانية تنزل ضيفة على أسرة مصرية صديقة .. تقول الفتاة انها لفت العالم ورأت شواطئه .. الكثير منها ولكنها لم تر فى حياتها كشواطئنا ..

كم هى جميلة مصر لو وجدت من يجلو جمالها ويصون نعمته .. جمال فى الشمال خلفته منذ قليل عند البحر ..

وجمال فى الجنوب أسعى اليه فى رحاب النيل .. فى رحاب طيبة أقدم وأغنى مدينة أثرية فيما يعلم العلم حتى الآن ..

فى الاقصر .. زرنا معبد الكرنك من آثار الدولة الحديثة وهو يجمع معبد آمون وبتاح ومنتو .. يمر الداخل الى معبد الكرنك بين صفين من تماثيل .. طريق الكباش وكأنها الحرس .. ويتكرر هذا فى الداخل ان المكان يسيطر عليه روح البلاط .

وفى القديم كان هذا المعبد بالتشريفاتية أقصد طرق الكباش، يمتد من شاطىء النيل غير أن الجزء الممتد من النيل الى بداية المعبد الحالى هدم أو تهدم (*)

أعمدة الكرنك تصعد الى السماء وتمعن فى الصعود ..

غابة من الحجر تتخللها السماء المصرية لتحدد خطوطها أكثر وتلون جوانبها بالظل والشعاع ..

مسلتا رع كأنهما صلاتان ترفعهما الارض الى السماء .

تمثال توت عنخ آمون بصباه الباكر .. عيناه لا تزالان تشعان أو هكذا تبدو العينان ..

واكبر من هذا كله واقيم معانى الطهارة والتجويد والصبر ففى المعبد المصرى البحيرة المقدسة التى ترمز الى انبثاق الحياة من الماء للتطهر والاغتسال الشامل لا الاطراف فقط .. غسل الجسم وغسل القلب ليملأه طموحا .

وفى المعبد المصرى زجاجات العطور من رفه الحضارة وكم من بلاد، فى المقابل، فى ذلك الوقت حتى فى أوربا، كانت تهيم فى الأدغال والظلام ..

وفى المعبد المصرى ، البهو المفتوح حتى لا يدخل بهو الاعمدة المفضى الى قدس الاقداس ، عامة الناس خوفا أن يكون بينهم من لم يغتسل أو من أكل بصلا ٠

فى المعبد المصرى الاحتفال بالميلاد والاحتفال بتجديد الحيـاة ٠

فى المعبد المصرى حجرة الرصد ٠٠ لقد نظروا الى السماء كيف رفعت ، ونظروا نظرة فى النجوم من غير سقم واهتدوا بهـا فى ظلمات البر والبحر ٠

وفى المعبد المصرى مقياس للنيل ٠٠

وفى المعبد المصرى التكامل والتطابق الممثل فى رسم العين فى بروفيل الوجه كاملة والصدر كاملا حتى يحيا صاحبها كاملا فى العالم الآخر ٠٠ ولهذا حين يرسم المصرى عدوه يرسـمه ناقصا مبتورا ليحرمه الخلود ٠٠ من غير سباب وألفاظ عارية ٠٠ حتى الهجاء ريشة وفكرة ٠

كان المعبد المصرى للالهة والملوك ولكنه يسجل الحيـاة اليومية المصرية لاصحابها ولشعبهم ٠٠ حتى الالعاب الشعبية التى تعرفها الازقة والحارات مسجلة عليه ٠

هنا التاريخ بلا حدود ٠٠ التاريخ يغلف المكان بنفاسة القدم ٠٠ انه مذاق خاص لا تعرفه بلاد كثيرة أكثر منا مالا ولكنها تعـرف أن مال الدنيا لا يشترى العراقة ٠٠

هنا أحداث التاميخ المجسمة تملأ المكان ٠ وكأن الكثرة أورثتنا الزهد فى النفائس فتركناها على الارض وهى السـنون والماضى والذكرى والكفاح الطويل والمرير ٠ وهى الفن والحضارة ٠ ولو ظفر متحف اللوفر أو لندن مرة أخرى بحجر من الاحجار الملقاة على الارض بلا حساب ، لحوطه بالزجاج وشد به انتباه المشاهدين٠

لقد رايت طريق كباش اخر خارج المعبد فى أحد شوارع الاقصر وعلى جانبيه البيوت ٠٠ ماذا كان مكان هذه البيوت ؟ حتى الماعز رايتها تعلو الاحجار الاثرية !

ويستغل هذا باعة الآثار المقلدة بايهام الاجانب أنها أصـيلة وتاكيدا لهذا يلفونها ويتظاهرون ببيعها فى الخفـاء ٠٠ !! ماذا

يعنى هذا ؟ كذب ساذج أو صدق رخيص فالذى يبيع تاريخه انما يبيع وطنه ونفسه ٠

منذ لحظات كان على باب المعبد رجل عجوز ينفخ فى النـاى وانبعث الشجى وكأن التاريخ هو الذى يمسك الناى الحزين ٠

□

المعبد والمسجد

معبد الاقصر :

وهو معبد آخر لآمون وزوجتـه موت وابنهما خنسو ٠٠ ثالوث آخر بعد أوزوريس وايزيس وحورس ٠

وفى المعبد تمثال لرمسيس الثانى وشاعره بنتاؤر الذى سجل انتصاراته على أعمدة معبد آمون ٠٠ كم سجل الشعر والشاعر ٠

وفى معبد آمون مسلة لرمسيس هى أخت لمسلة الكونكورد بل أعلى قامة ٠٠ لعل محمد على لم يلحظ هذا الفرق حين أهدى المسلة الى فيليب ملك فرنسا ٠

وفى معبد آمون تعـانق البردى واللوتس رمز اتحاد الشـمال والجنـوب ٠

لقد رمزوا أيضا الى مصر العليا بالنحلة ٠

ورمزوا الى مصر السفلى بنبات السوت والرمزان متعانقان ٠

كل شىء فى مصر دافىء حتى الرموز ٠

لقد حاول البطالمة أن يضيفوا الى معبد آمون فتقامات الاعمدة كانها خدم للاعمدة الكبيرة ٠

وفى معبد الاقصر ، مسجد « أبو الحجاج » ٠ ولامر ما شيد مقام أبى الحجاج ومسجده على ركن من فناء معبد الاقصر أو طيبة ٠

وكانت (طيبة) تحتفل بعيد الاله آمون السـنوى حيث كانت تخرج السفن من المعبد ، وهى تحمل تماثيل الاله المقدسة ، ورموزه الخفية ، فتجرى فى مياه البحيرة المقدسة يحيط بهـا كهنة الاله ،

وحملة المشاعل والبخور وهم يتشدون اغانيهم . ويرأس المهرجان الملك كما يقول الاستاذ محرم كمال .. وكان ملك مصر يصاحب الاله أمون وزوجته موت وابنهما خنسو فى رحلتهم على النيل . والشعب من حولهم قد امتلأ حماسة وحمية يتهلل فرحا .. والنبلاء يعتلون عرباتهم والجنود تتتابع صفوفهم وتتوالى ، والاعلام والبنود عسكرية ودينية ، ترتفع وتتماوج على حين يرقص الزنوج فيصدر عن النواقيس الصغيرة المعلقة الى رقابهم رنين جلجلة خفيفة . ويزيد المنظر عجبا ما يقوم به المهرجون واللاعبون من حركات القفز والنط متفقة ومنسجمة مع أصوات الجلاجل المقدسة التى تحركها الكاهنات فى أيديهن .

وهكذا يتحرك الموكب بطيئا متمهلا يغمره فيض من البهجة والسرور حتى يصل الى ضواحى معبد الاقصر ثم تشق القوارب الصغيرة المقدسة طريقها داخل المعبد فتقدم لها القرابين العظيمة . ويدخل الملك الى الهيكل فيطلق البخور .



مسجد سيدى يوسف ابى الحجاج مقام
على ركن من فناء معبد الاقصر

ثم يعود الموكب بنظامه السابق فى طريق العودة الى أن يصل الكرنك ..

وقد سجل معبد الاقصر هذا كله على جدرانه بالرسوم والنقوش .. ومن يراها اليوم ثم يشاهد مهرجان أبى الحجاج لا يعز عليه أن يلمح التشابه العجيب بين المهرجانين جملة وتفصيلا .

وليس الغريب كما يقول الاستاذ محرم كمال هو وجود مسجد لسيدى يوسف أبى الحجاج بالاقصر ولكن الغريب هو أن يبنى هذا المسجد على ركن عال من معبد الاله آمون بالاقصر . وأن يضم هذا المسجد الى أجزائه ساحة يوضع فيها قارب أبى الحجاج أو سفينته ، وأن يكون حلول سيدى أبى الحجاج بمعبد آمون الذى انتزعه منه قد جعله خليفة له يرث عنه ما له من صفات وما اشتهر به من مناقب وما عليه من واجبات ، وما له من حقوق وعادات . وكما كان الاله آمون فى زمن الفراعنة يخرج فى احتفال مهيب من معبده مرة فى العام فى سفينته المقدسة فيطوف أرجاء مدينته التى يتولاها بحمايته ورعايته ، فان « سيدى أبا الحجاج » يخرج هو أيضا مرة فى كل عام فى اليوم الرابع عشر من شهر شعبان المكرم فيطوف فى مدينته المحبوبة (الاقصر) فى احتفال يتضمن أكبر عيد محلى يقام فى هذه البلدة . ليطوف مهرجان أبى الحجاج يحمل السمات نفسها القديمة .. المظاهر نفسها .. الطابع نفسه .. المكان نفسه .. التفاصيل نفســـــها .

فاذا حل الموكب أخـــرج القارب « ذا الالوان » ثم وضـــع على عربة ذات أربع عجلات .. وقد غطى هذا كله بقماش ملون هو الذى كان يغطى مقبرة أبى الحجاج أما الاقمشة التى تغطى المقابر الخمس الباقية فانها تفرش على ظهور خمسة جمال تكون قد اتخذت زخرفها وازينت .. أما من يمتطى ظهور هذه الجمال فهم أعضـــــاء أسرة الحجاجية .

هكذا يكتمل الجمع عند المسلة التى تقوم أمام معبد الاقصر أى عند ميدان الساحة وفقا للتقاليد ، ويتكون الجمع من اثنين من ضباط البوليس وعشرة من رجال السوارى وخمسين من جنود المشاة . يلى ذلك الجمال الخمسة مزدانة بأجمـــل زخرف وزينة قد غطيت ظهورها بالاقمشة الملونة التى كانت تغطى قبور الاوليـــاء ، ثم هى تحرك رءوسها مزهوة فتدق الاجراس الصغيرة المشدودة اليها وتتيه

رءوسها بريش جميـل علق عليها .. على حين يهلل الرجال الذين امتطوا ظهور الجمال مكبرين بلا اله الا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ويرتفع صوت مؤذن المسجد داعيا الناس الى الصلاة على النبى ، وحمد الله والثناء عليه .

ويتلو ذلك مشايخ الطرق وأعضاء أسرة أبى الحجاج وقد حمل كل فريق منهم علما ذا ألوان متعددة وكلهم ينشدون أناشيدهم فى الاشادة بذكر أبى الحجاج ومسجده .. وفى وسط حلبة الاناشـيد والتصفيق والتهليل والتكبير واطلاق البنادق يتقدم قارب الولى فى هدوء وتمهل تحيط به الاعلام . ويجتاز هذا الجمع الحاشد الذى يبلغ منه الفرح مبلغا يفوق حد الوصف حتى لتراه يندفع الى القارب يحاول لمسه للتبرك به وبقداسته .

وهكذا يتقدم الموكب ويسير متمهلا تارة ومتوقفا تارة أخرى .. يعترضه فريق من الناس من حين الى حين وهم يرقصون أو يذكرون الله .. ثم هو يتوقف عند كل مقام لولى من الاولياء ليقرأ الناس الفاتحة ويثنوا على الله وعلى وليهم أبى الحجاج الذى يزور زملاءه الاوليـاء .

بهذا وصف كتاب (آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية) موكب أبى الحجاج . ومن الوصف تلمح عيوننا : القارب ـ معبد الاقصر ـ الجنود ـ الاعلام ـ الاناشيد ـ الشعب المبتهج ـ التبرك بالقارب حتى الاجراس الصغيرة بلغت سمع مصر الحديثة على بعد الزمن وطول الاحقاب .. الزمن العداء الذى لحقت به خطى موكب آمون المتمهلة .. لم يخلفها بل واكبته الى مصر الحديثـة فقارب الحجاج يتقدم (فى هدوء وتمهل) تماما كما كان يفعل قارب آمون .

أعياد ومراسم تمتد عبر الزمن من مصر القديمة لتتواصـل مع أعياد مصر الحديثة التى تبدو امتدادا لها وتتخذ فى الحديث كما اتخذت فى القديم ، النيل وشواطئه وسفنه ، مسرحا لها ومجالا .

والنيل فى الصعيد شعبى .. الذى يتمتع به هو الشعب الحقيقى الذى صحبه وتعامل معه منذ القدم .. الفلاحون الذين تطل بيوتهم عليه أقصد أكواخهم الطمية المتواضعة القصيرة القامة .

هنا الانسان والحيوان والمكان فى صحبة يتبناها النهر . فامرأة ملأت جرتها صاعدة .. وبقرة نازلة فيه تغمر نفسها بمائه فلا يظهر

منها غير راسها او جزؤها الاعلى فيما يبدو لنا من بعيد ·· وجزر توسطه وجزر أخرى جانبية كانها فى طريقها الى الشاطىء ·· ومراكب شراعية تتهادى فيـه وزوارق بخارية أسرع مشية وأعلى صوتا ·· وبواخر مثل ايزيس التى نستقلها عبره ·

كم ألوف السنين يشهد هو هذا المنظر يروح ويأتى غيره ويظل هو الباقى ·· كم وسع صدره من أسرار ورؤى ولا يبوح ·· له حكمة علمها أبا الهول فوعى عنه الدرس ·· ومن هنا آمن مثله بالصمت ففى ظله يختزن الصامت الكثير فيثير أصحاب الكلام ويحير البابهم ·

□

فى الطريق الى ابيدوس

الباخرة (ايزيس) فى طريقها الى نجع حمادى ·· نسمع على البعد الاطفال على الضفتين يصيحون ويلوحون ·· لعلهـا فرحة حقيقية أو هز الرتابة على الأقل ·

الساعة تقترب من الواحـدة بعد الظهر ·· ايزيس تمر الآن بالمنحنى الكبير الذى تقع عليه اسـنا ونجع حمادى ·· الجزر ومجموعات النخيل تتتالى ·· ها نحن نقترب من كوبرى نجع حمادى ·· رسونا عليه · مرساه حديقة غناء تتدرج هابطة الى الشاطىء··

بتنا فى نجع حمـادى لنصحو فى صبيحة اليوم التالى على حركة فى الباخرة ·· انها تستعد للابحار ·· بدأت تتحرك فى طريقها الى ابيدوس ··

النخل على الضفتين ولود ·· ما أكثر ما رأت العين نخلة متفرعة كانها أم تفرد ذراعيها ليتعلق بهما صغارها ·· وحين اقتربنا من قنا كانت المراكب ملأى بالفخار ·· القرى بيوتها الطمييـة تزحف الى الشاطىء تتجمع عنده ·· تطل عليـه ·· تشرب من النهر بجرارها وعيونها ·· جزر فى النهر ·· وايزيس وقوارب وضفاف خضر هى أيضا تيل أخضر ·· أليست منه ؟

بعض الاجانب من الجالسين على السطح لبسوا جاكتات وبعضهم جلس فى الشمس ·

نمر فى العاشرة والثلث تحت كوبرى قنا ٠

كل هذا الجمال يسعى اليه الاجانب من جميع انحاء الدنيا ولا نعنى به نحن ولا أقول نحتشد له ٠٠

جمال لا تغنى عنه القاهرة بعد أن حجب صفاءها الزحام والدخان والضجيج والكد والسباق ٠٠

□

معبد ابيدوس :

حرم مقدس فى مصر القديمة حيث دفن أوزوريس ٠ والمعبد قائم فى مدينة البلينا أو العرابة المدفونة التى ، كما يقول أستاذنا العقاد ، لم تدفن أبدا تحت التراب ٠

على باب المعبد وقفت سيدة انجليزية فى الثمانين من عمرها هى « أم سيتى » كما تسمى نفسها أو يسميها أهل البلدة ٠٠ وقد جاءتها هذه التسمية من ناحيتين أنها تزوجت مصريا وأنجبت منه ولدا أسمته « سيتى » ولكن الاقوى فى التسمية أنها تقدس معبد ابيدوس الذى بناه ملك مصر سيتى الاول ٠٠ هل تصدق أنها حين تقدمنا الى داخل المعبد تخلع نعليها ؟

بنى المعبد سيتى من الاسرة التاسعة عشرة وأكمله ابنه رمسيس الثانى وأشرف على نقوشه وزينته ٠ وبمناسبة النقوش والزينة أسجل أن زائر المعابد نادرا ما يجد جثة طفل اللهم الا البنتوغزالتها فى المتحف البريطانى ٠

لقد رأيت على المعابد ما يشير الى أنهم كانوا يتركون الاطفال عرايا حتى سن الثانية عشرة ٠٠ يتركونهم للشمس والهواء ٠٠ كان الطفل فى هذه السن يذهب الى المدرسة عاريا وفى يده زجاجة لبن ٠

فهل هذا هو السر فى صحة أجسامهم وعقولهم ؟

وتقول أم سيتى أن المعابد المصرية والحضارة المصرية انفردت برسم النجوم ولم يكن هناك تلسكوب ٠

فى معبد ابيدوس رأيت الملك يسقى الزهور ٠٠

وفى معبد ابيدوس رأيت الالهة موت ترضع الملك ٠٠ كانوا يحيون حياتهم فى ولاء كامل للحياة ٠

وفى معبد ابيدوس رأيت المرأة كبيرة الاطباء ورئيسة العمال ٠

رأيت رمسيس حين كان فى العاشرة من عمره وقد قام والده سيتى بوضع التاج على جبينـه وعدا بالملك ٠٠ وان كان رمسيس يعلل هذا بأن والده كان يشتهى أن (يرى جماله) ٠٠

ولكن الذى رأيته فى معبد ابيدوس ووقفت أمامه طويلا هو أسماء الملوك من مينا الى سيتى ٠٠

هنا تسجيل للتاريخ والحفاظ عليه ٠

والتسجيل حاسة تاريخية ٠ انه حفظ الزمن أنه لون من وعى مصر الاجتماعى صاحبه المثل : (التعليم فى الصـغر كالنقش فى الحجر) ٠ انه مثل لا يقوله غير فنان نحات ٠ والتذكر بالتسـجيل أو النقش صفة مصرية ولدت الحاجة الى الكتابةوفى لغتنا اليومية لفظ (قيد) بمعنى أكتب وأحضر حتى لا يهرب المعنى ٠

وفى معبد ابيدوس ظاهرة التجويد والصبر ٠٠ والبحيرة المقدسة فى المعابد المصرية ظاهرة أيضا أنه وضوء كامل للجسم كله ٠٠ ليتطهر ٠٠ غسل للقلب يملؤه طموحا ٠

وآية الحرص على النظافة ٠٠ البهو الخارجى أو الفناء المفتوح للعامة ممن يخشى أن تعلق بهم رائحة الاطعمة الدارجة من بصـل وسمك وغيرهما ٠

على أن البهو المفتوح لا يفصله عن بهو الاعمدة فواصل حقيقية اذا استثنينا معبد دندرة لان الرومان اصطنعوا فاصلا حجريا بين الاثنين ٠

ومعبد دندرة بنى فى ١٨٠ سـنة بدأ فى عهد البطالمة وانتهى فى عهد الرومان ٠ وتستقبل العين منه البوابة الضخمة ذات الجانبين الشامخين ينفتح بعدها المكان ٠

ودندرة اسمها المصرى تنترا وتنتريس حرفت الى دندرة فى العهد العـــربى ٠٠

ودندرة معبودتها حتحور الهة الحب والجمال وصاحبة المعبد ٠ وأعمدة المعبد عليها رأس هاتور أى رمزها ٠٠ والمعبـــد مملوء بالنقوش ٠ كان يرافقنا رجل يحمل فانوسا ليكشف الرؤية ٠ فى أى نور نقشت اذن ؟

على أن نقش أعمدة دندرة غارق فى تفاصـــيل لم يكن النقش المصرى الخالص يعنى بها ٠٠

والاسقف فى المعبد تزدان بالنجوم والنيل وبالمعبد ٤٢ حجـرة تحت الارض منقوشة غير الحجرات العليا ٠ يوصل اليها سلم هو فاصل دقيق ومحير فالدرج يتوالى على مسافة بضعة سنتيمترات ولهذا يريح فى الصعود والهبوط وعدد درجاته ٣٦٥ درجة اشارة الى عدد أيام السنة عندهم ٠٠

فى العهد المصرى كانت مصر ٢٨ مقاطعة ولكنها فى العهد البطلمى كانت ٤٢ مقاطعة فهل يطابق عدد الحجرات عدد المقاطعات ؟

يد التخريب تعيث فى بعض أجزاء المعبد الذى سرقت منه لوحات ونفائس ٠٠ ولكن القاعدة فى الترميم خوف المحو أو اختفاء المعالم ٠ ولا يلجأ الى الترميم ما دام الاثر قد بقى منه ما يكفى للدلالة عليه ٠

ومن حجرات معبد دندرة حجرة الميلاد ٠٠ ميلاد العام الجديد وفى سقفها الالهة موت الهة السـماء تشغل السقف كله وترسـل الاشعة فيه ٠

وفى حجرة أخرى الالهة موت ومربعفيه الجنين والرحم والسائل والخلاص ٠

وحجرة أوزوريس وبهذه المناســبة يلاحظ أن الآلهـــة والملوك لا يتحلون بذقون ٠٠ الذقن الالهى يكون مبروما أما الذقن الملكى فيكون مقوسا ٠

أما حجرة الرصد فالسقف تبدو فيه الابراج السماوية ، على أن اللوحة الاصلية قطعت وهى الآن فى اللوفر ، والموجود الآن بديل حديث ٠٠

كم لوحات اقتطعت من دندرة ٠٠ نوع من المحنة تمر به آثارنا ولكن نفاسة ما بقى فيها عزاء وفيها اثارة أيضا ٠

ومن رسم دندرة ملك مصر يعلو الأسد ٠٠

وهكذا مصر فى قوتها تفترش الأسد ٠٠ وفى ضـعفها تفترش الارض ٠٠

وفى معبد دندرة كليوباترا تقدم القيصر لايزيس راجية أن ينـال بركتها ٠ انها ايزيس التى ركعت لها كليوباترا بعد هذا قائلة :

ايزيس ينبوع الحنان تعطفى
وتلفتى لضراعتى وسؤالى
انى وقعت على رحابك فارحمى
ذل الملوك لمجدك المتعالى

وشىء تلحظه العين فى الرسوم المصرية ٠٠ أن بروفيل الوجه أى جانبه ترسم به العين كاملة حتى تبعث كاملة وكذلك الصدر ٠ ولعل هذا يفسر تعمدهم رسم أعدائهم مبتورين دعاء عليهم بالحرمان من البعث والخلود ٠

انه الايمان بقوة الكلمة وسحرها ٠

بقى أن أقول أن قرية دندرة بنيت على مرتفع فى الرمال بعيدا حتى لا يضيعوا خيطا من الارض الزراعية ٠٠

آه لو دروا كيف نذبح الآن الخضرة لنقيم مكانها علب الكبريت أى العمارات الجديدة !!

□

الصوت والضوء فى الكرنك

مساء الخميس :

الصوت والضوء فى الكرنك

وسقطت الاضواء على أركان المعبد ولم تخب يوما ٠٠ المعبد الذى فجر انبهار نابليون وهو الفاتح فقال : ان المسريين القدماء لم يكونوا بشرا مثلنا ٠٠ ان الذين بنوا هذا لابد أن تكون لهم قامات العمالقة ٠

وجاء بعده شامبليون ليقول كلمة العلم بعد اكتشاف وتحقيق : ان أعظم كلمة فى أى لغة من لغات العالم هى « طيبة » ٠

وانبثت الانوار فى أرجاء المعبد وأضاءت الاعمدة ٠٠ وعكست أضوائها على رؤوس النخيل ٠٠ فضة سائلة ٠٠ وانبعثت أصوات الكهان عميقة تتخلل الموسيقى ٠٠ وأصوات الجموع التى اجتمعت

على الشاطىء تحتفل بالفيضان ‥ ووسط هذا كله انسابت كالحرير أو النغم الجميل أصوات العذارى اللائى شفهن الوجد فى أغنيات رقيقـة للأحبة ·

(كل مياه النيل لا تطفىء ظمئى اليك يا حبيبى) ·

والحبيب به مثل ما بها من الظمأ واللهفة · انه يقول :

لا شىء

لا شىء يمكنه أن يحول دونى

والوصول الى محبوبتى على الشاطىء الآخر

لا شىء

حتى التماسيح الراقدة هناك

لا تملك أن تبقينا بعيدا عن بعضنا

سوف أذهب رغم كل شىء

وسوف أسير على الامواج

بينما يطفو حبها فوق الماء

ليحيل الموج الى أرض يابسة

وتمتد تحت قدمى

ويستحيل النهر الى بحر غرام

أن تراها

أن تراها قادمة اليك

كل هذا الجمال

فرحة العمر

ولن يأخذها منى شىء

حتى الزمن

لن يأخذ منى فرحة مراها

⊙❖⊙

رحلة محفوفة بالمخاطر

انه يتمتم :

قلبى يصلى لك يا رع

جـــلال الملك أيام وتمضى ... ولا يمضى جـلال الخالدينـــا
مشت بمنارهم فى الارض روما ... ومن أنوارهم قبست أثينـــا
فكانوا الشهب حين الارض ليل ... وحين النـاس جد مضلليـنـــا
تعالى الله كان السـحر فيهم ... أليســوا للحجارة منطقيـنـــا

نعم ، لقد أنطقوا الحجر وحضروه وثقفوه حين نقشوه ورووه من المعنى فانتقل من الصخر الى حجر كريم .. محظوظ الحجـر المصرى فلم يرو حجر من احساس غنى بالقيمة مثله ولهذا فهو ملىء بالرؤى ، ومشحون بنبض القلب الذى شكله ونقشه بالنور ..

كم وشوشت مصر الحجر وأترعته أسرارا ومشاعر فكان عملها لونا من التطعيم الذى تحسبه مقصورا على الصدف والعاج .

وانتهى العرض .. كل شىء يمضى (ولا يمضى جلال الخالدينا) .

□

الشاطىء الغربى

هناك على الضفة الاخرى من نيـــل الاقصر حيث يقوم الدير البحرى أى المعبد الجنائزى لحتشبسوت . انه معبد للحياة لاللموت فيه أسماك البحر الاحمر على اختلافها وأنواع النباتات مما جلبته بعثة بنت . وفيه الشجرة السرية .. والحنة فى الميزان . فيه سقف القبو ودقة الاعمدة فى النقوش والطفل يغطس فى المياه المقدسة وهو ما يقابل التعميد فى المسيحية فيه النجوم عرف الرسام منطقة تجميع الضوء فيها ..

وفى البر الغربى مقبرة راموزا الوزير الاول لاخناتون .. وعلى الجدار رأينا الموكب الجنائزى للوزير . متاعه محمول على الاعناق بل متاع جديد للآخرة .

السيدات والدموع والشعر المنثور .

وفى هذا المعبد تغطى الجدار بالحجر الجيرى لليونته وتشربه للالوان فيما بعد وسهولة تفريغ ما حول الرسوم ثم طلاؤها بالالوان

ويحكى المعبد خروج اخناتون بدينه الجديد من طيبـة الى تل العمـارنة .

كان كبراء المصريين يتوسلون بالمعابد والنقوش والقرابين للظفر بحياة أخرى ٠٠ وهنا يطل سؤال : ما حيلة الفقراء ممن لا يستطيعون بناء المعابد ؟ والجواب أنهم يعتقدون أن الملك ملكهم اله وابن الاله وأنه سيعطيهم مما عنده ٠٠ وأنه سيحميهم ويمنحهم الحياة الثانية ولهذا يبنون له وهم راضون لانهم انما يبنون ، بمعنى آخر ، لانفسهم فضلا عن التقرب وعبادة البطولة ٠

وفى البر الغربى مقبرة منـــا Mna وزير تحتمس الثالث ٠٠ مسجلا عليها تلقينة ما يفعل ولا يزال المصريون الى اليوم يقومون بعد الدفن بعملية تلقين الميت وهذه الطقوس الجنائزية القديمة من تلقين ٠٠ وأخمسة وأربعين ٠٠ لا يعمل بها فى غير مصر ٠

والمقبرة كسائر المقابر مسرح للحياة ٠٠ فالطيور والاسماك فى لوحة الصيد ٠ وهنا نشهد خروج الزوجة مع زوجها فى الصـــيد والوقوف خلفه وتحويطه بذراعيها لحمايته ٠ لقد سجلت معـــابدنا الحب الكبير بين المرأة والرجل فى لمسة اليد واحتواء الذراع ٠

ان العلاقة بين الرجل والمرأة فى الفنون التشكيليـــة فى العالم أعمال معدودة ولكنها فى مصر موضوع كامل غنى مميز ، لقـــد كرمت مصر المرأة بالدير البحرى ومعبد نفرتارى ٠

وتأتى ساعة الحساب يزنون القلب بالاعمال ففى الكفة الثانيـــة من الميزان معات رمز الخير والعدل والحق ٠٠ ويسجل الاله تحوت اله الحكمة ٠

ان الانسان المصرى القديم يقاس بالقيم ٠٠ لقد تركوا نفائسه ومتاعه وكل ما يحمله معه الى قبره مما تصوره جدران المعابد وقاسوه ساعة الحساب بالقيم الحقيقية ٠

وفى مقبرة نخت Naght بالبر الغربى نرى الزرع والحصاد وعصير النبيذ حتى مصفاة الشاى وجدناها فى مقبرة توت عنخ آمون ٠ وفى وادى الملكات مقبرة تيتى من الاسرة ١٩ ــ ٢٠ ٠

ومقبرة الامير امنحـــر خبشف Aimen horghob chef ابن رمسيس الثالث ٠ ويتجلى فى هذه المقبرة زهو الالوان وجمال الوجوه وصفاؤها من السعادة والرضا ٠٠

ولكن كنوزنا بالبر الغربى نهب مباح حيث الحراسة شـــبه معدومة فالذين يخفرون النفائس رجال ضـــعاف ماديا وبالطبع معنويا فالفقر فى المال فقر فى كل شىء كما يقول المازنى ٠

والاقصر ٠٠ طيبة بشرقها وغربها أكبر مدينة أثرية فى الدنيـــا

٠٠ حتى ليبدو الاحياء حاشية للموتى يعيشون على تاريخهم ٠٠ على آثارهم ٠٠ على التعريف بهم ٠٠ على زوارهم ٠

ورمسيس الثالث آخر الاقوياء وله بالبر الغربى مدينة هابوحيت يطالعنا فيها فناء مفتوح ثم آخر وكل منهما فيه جانبان من الاعمدة المربعة عليها تماثيل أوزوريس وجانبان من التماثيل البردية ٠

أما مقبرة سيتى الاول ففى وادى الملوك عمارة منحوتة فى الجبل من عدة طوابق تحت الارض تصعدها نازلا عمارة كل شبر فيها منقوش مكتوب ملون ٠٠

ان التصوير بأنواعه أسلوب مصر فى الفن فالآلهة مجسدة ومصورة ٠٠ واللغة مجسدة ومصورة والفكر والكتابة ٠٠ والفن صور متلاحقة فى غنائية موسيقية هى نوع من الجلال الانيق هنا فن مصر الذى فيه روح النبات يتراءى للعين فى نبض تيار دافق ٠ ويخرج الحجر عن صمته لينطق ٠٠

حتى الفنون الصغيرة مدرسة الحياة وعنوان جلدها وأنسها معا وائتناسها أيضا ٠٠ فنون الابرة والحلى ليست صغيرة مادامت تمارس من أفق الحياة المتطلعة ٠ ولقد كانت المهد الذى نشأت فيه تلك الاعمال الرائعة الكبيرة من مرود الكحل خرج الدير البحرى بادراك العلاقة بين الاشياء الصغيرة والكبيرة ٠٠ لينتهى الى الجليل العميق انه الرباط الجامع يؤلف بين أشتات القلوب ٠٠

هل تمضى هذه الاعمال من أعمال الفن المصرى ؟

لا ٠٠ ستبقى لأن البقاء فيها ٠٠ توحيه وتحتويه ٠٠

بعض المؤرخين وعلى رأسهم توينبى وشينجلر يرون أن الحضارة المصرية انتهت وانحسرت موجتها وجاء بعدها مد موجات اخرى ٠

من الشائع أن الموجة والموضة الفنية عمرها سنتان فى رأى تجار الفن على الاقل ٠٠ هذه الفنون تعتمد على الطرافة والمفاجأة والاستحداث وهى فنون يجوز أن يقال عنها مضت وانقضت ولكن الفن المصرى يتمتع بنوع من البقاء بما هو متجدد حاضر منتصر على الزمن مستقر فوق الاحداث استقرارا لم يصنعه الحجر والكتلة ولكنه استقرار قار فى نفس الفنان الخالق وفى روح المكان ٠ قد تتفتت الكتلة فى الفن المصرى ويظل عزيزا منيعا متجددا ٠ لقد تهشم أنف أبى الهول وما زال محتفظا بشهادة محضره ، على الوجود الكامل وكأن لا مساس ٠ انه فى صمته مكبر لمعانى السكينة والسلام والاستقرار ٠٠

هذه السكينة التى يعشقها الشرق ·
حين كانت أوربا تتسابق فى الفتك من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ كانت الهند تشغل الدنيا ببساطة وسماحة غاندى وشاعرية تاجور ·
ان الهند تعرف الثقافة بلفظة « سنسكريت » أى التطهير والتغيير وايقاد الحماسة والتهذيب وتحقيق الكمال · ان كلمة « اليوجا » معناها النظام ·.

اننا اذا نظرنا الى مثال هندى وآخر مصرى ، نجد خطا مشتركا هو الاستقرار والسكينة غير أن نظرة التمثال الهندى الى الداخل وكأنه يريد أن يعرف الكون من خلال نفسه · ولكن نظرة المصرى الى الخارج ليعرف الكون والماوراء ·

والنظرة المصرية شغوف بالطبيعة الخارجيـة تستوعب الحقائق العليا للمرئيات الخارجية وما وراءها ·

روح مصر متعلقـة بالمقدس ·· بالمحل الاعلى ·· لهذا كانت حضارتها دينية · أما روح الهند فخير ما يمثلها الرقص الهندى الرقص عندهم فلسفة وديانة ولغة ·· ولهذا كان فن الهند كله فنا راقصا دائب الحركة فى غير اضطراب ·
موج زاخر بلا شطآن ··

فن غير خرافى وان كان مغلفا بوشى الخرافة المزخرف ·
بينما أوربا فن عقلانى يمثله « بوسان » فكل قطعة عنده محسوبة ·
الفن الهندى نابع من الغابة والجبل والحية والنار والشـجرة بينما نجد الفن الاغريقى فن مدينة · وحدود المدينـة عندالاغريق أن أهلها جميعا يغطيهم صوت المتكلم أو اذا تكلم انسان بينهم سمعوه · ولهذا نبغت عندهم فنون المسرح وعلوم المنطق والجدل · ونجد عصر النهضة فى أوربا ، عنده الشخصية الرئيسية أو الموضوع الرئيسى : « الموديل » أى الجسم العارى ·· وهو نفسه موضوع الاغريق والرومان حتى سيادة المسيحية ·.
ولكن الفن الصينى ، الكون ، فيه هو الاساس ·· وكذلك الفن المصرى ·· الانسان والحيوان هو الاساس فى الفن المصرى وهو بهذا فن كونى ··

الصين والهند ومصر نظرتها كونية ·
والفن الصينى أيضا فن اجتماعى وهو شقان يكمل كل منهمـا الآخر وان بدا متناقضا معه شق يدفع الى الالتزام ·· الى الحقل والبيت والمجتمع ويمثله «كونفوشيوس» وشق يدفع الفرد الى الخروج الى السحب والجبال ومنابع المياه ويمثله «لاوزا» · فالقلب الصينى المتأثر

بالحكيم لاوزا ، تلقاه فى جداول الماء وسامقات الجبال وهائمات السحب ومسالك الدروب الطويلة ٠

النظرة الاوربية مركزها الانسان ولهـذا اهتمت طويلا بالجسم عاريا ولكن النظرة الشرقية صينية أو مصرية مركزها الكون زهرة ذهبية فى ردهة ارجوانية من مدينة اليشة ٠

ولكى تحس الفن الصينى لابد لك من قدرة سماع حركة الفرشة على الحرير ٠ وقد يرهق رائيه لرفعة ما فيه من مشاعر الصـفاء والرقة ٠ ومثله فى هذه الخاصية ، الفن المصرى ٠٠ حتى ان الاسلام عندما أراد أن يصنع شيئا فى مصر انتقل الى شىء آخر فما أمامه قمة ليس عليها زيادة لمستزيد ٠

□

فى اسنا ٠٠ نفحنا هواها وما نعسنا

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات
وكيف ينعس من يرى معبد اسنا بجماله الانيس وكبريائه المنيف وجلاله المتعالى لرفعة فيه وترفع على رفق ورحمة تسرى وتشـع من خلاله فتملأ القلة ٠٠ قلب رائية بالنور والفرح والعشق والبشر والسهر فالمحة لا ينام ٠٠

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبـات مسطورة أو صحف منشورة ٠٠ مكتبات دينية ٠٠ انه ايمان مصر بالدين وبالكتابة معـــا ٠٠ ايمانها بالفنون فقد صـــوروا مليكهم يرقص ممسكا بآلة السنستروم لاغرو انموسقت مصر الاديانالسماوية بعد هذا حين دخلتها وحين دخلت فيها ٠٠ فموسيقى مصر الكنيســـة (أقدم مدرسة موسيقية معروفة فى العالم) ٠ بل تكاد تكون أغناها أيضا بما انبثقت عنه من موسيقى مصر القديمة التى تحمل أسماءها الى اليوم ألحانا ٠٠

يقول الفليسوف الاسكندرى فيلو (ان بعض الالحان الشائقـة الى الآن فى الكنيسة المصرية تحمل أسماء بلاد قد اندثرت منـذ عهد بعيد ٠٠ فاللحن السنجارى نسبة الى بلدة سنجار التى تقع شمال محافظة الغربية وعرفت منذ أيام رمسيس الثانى ٠ وكانت تحوطها الاديرة فى العصر القبطى ، وكذلك الاتريبى نسبة الى اتريب القديمة بالقرب من الديرين الاحمر والابيض بمنطقة أخميم) ٠

وفى الاسلام وضعت مصر أسس التصوف الاســلامى على يد ذى النون وهو أول من أنشد شعر الحب الالهى فى سلاسة وعذوبة تسرى الى النفس فتأسرها حين كان شعر أبى على الروزبادى يشق فهمه ويتطلب الوقوف على مصطلحات الصوفية لادراكه ·

وعلى طريقة ذى النون فى الحب الالهى سار ووصل ابن الفارض · وفيه مثله من مصر رقة الاحساس وشفافيته ، وهو بهذه الصفة سلطان العاشقين · ومصر بهذه الصفة فيه صاحبة فن فى التصوف ورفه حضارى · ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه احتشد للغناء وألوان الفن حتى لينشد أشعاره انشادا من ولعه بالنغم والتطريب ·

ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه غنته الجوارى فطرب حتى رقص على دقات الدفوف وأنات الشبابة ·

حتى اسلوبه نابع من مصر ·· من مدرسة البهاء زهير ثم مدرسة الشعب بأزجاله ولغته الجارية ·

واسلوب ابن الفارض فى الشعر اتسم بالرقة والظرف والصفاء وحيوية العاطفة والومض ·· وقد شغلت (تائيته) الشراح حتى المخالفين له فى الرأى فكثرت شروحها وتشعبت ·

وحب مصر للنغم يفسره دورها الذائع فى علم القراءات · فعن (ورش) المصرى أخـذ علمـاء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الازرق بن عمرو بن يسار المصرى وأخذ الاندلس عن عبد الصـمد ابن عبد الرحمن بن القاسم المصرى ·

وفى القراءات موسقت مصر الدين بطبعها الفنان

كتب الشيخ البشرى مقالا عن (تقاليد مصر فى الفن) جاء فيا أن متقدمى القراء فى مصر (لا يبدأون قراءتهم الا من البياتى ، وبه دائما يختمون) · ويعلل هذا بأن (البياتى هو نغمـة البلد الأصيلة ، أو هو من أصل النغم التى تتقلب فيها حناجر المصريين · ففى الحق أن هذه النغمة ، فوق سعة آفاقها ، وتقبلها لكثرة التصرف والتلوين ، فان المصرى يجد من الاستراحة اليهــا والانس بها ، ما لا يجد لكثير) ·

وبعد القرآن يأتى الأذان · وعمل مصر فيه يحدث عن التناسق والهارمونى فى ذوقها · فان جميع مؤذنى المساجد فى القاهرة كانوا كما يروى الشيخ البشرى فى كتابه « قطوف » اذا ظهروا المآذن

للهتاف بالاولى أو « الأولة » — ومن أولة الأذان هذه ابتدع ببيرم ، فيما أرجح ، حين تشرب الروح المصرية ، ألوان الأولة في الغناء — وقفوا وقد أرهفوا آذانهم ، وعلقوا أنفاسهم في انتظار الامر الذي يصدر اليهم عن مئذنة الشيخ صالح أبي حديد بالنغمة التي يجرون بها الاهازيج لليلتهم .. فاذا جلجل مؤذن الشيخ صالح بنغمة الرصد مثلا ، أسرع مؤذنو المساجد حوله بالصـــياح بها ، وأخذ أخذهم مجاورهم ومن تقع للأسماع أصواتهم ، وهكذا فلا تمضي دقائق الا والقاهرة كلها تجلجل بنغمة الرصد . واذا بدأ بالبياتي ، أو بالحجاز ، أو بالسيكا ، الخ فهكذا وما شاء الله كان !

وان دل هذا على شيء فانه يدل على أن أهل مصر أو ســـكان القاهرة على الأقل ، أصحاب فن ، وأهل ذوق ، وعشاق تطريب .

حقا (الذوق ما فاتش باب النصر) كما يقول أهلنا في أمثالهم .

حقا (اللي عمل مصر كان في الاصل حلواني) .

ومن تقاليد مصر في الفن .. فن الذكر المصري فقد كانت مصر تجعل له قائدا هو بمثابة ضابط الايقاع . ومن مشاهير المصريين في هذا الباب السيد علي الركبي . (كان اذا جلس أعلام المنشدين لشانهم في صدر المجلس ، جعل يدير أساليب التنغيم بالذكر تنغيما فنيا يهيىء لأولئك المنشدين أداء مهمتهم على أدق القواعد وأحسن الوجوه . ولقد يصرفهم هو في فنون النغم ، بتوجيه الذاكرين الى هذه الناحية أو هذه الناحية ، مسرعا مرة ومتمهلا أخرى ، ضابطا الوحدة بنقرة بخاتمه الفضي على حق سعوطه النحاسي . فكان بحق أكفأ « مايسترو » رأته العيون في هذه البلاد) .

ومعبد أسنا منخفض عن سطح المدينـــة كثيرا .. لانهم كانوا يضنون بالأرض الزراعية أن تبنى عليها المدن .. كانوا يعرفون حرمة النبات فلا يئدونها .

وفي أسنا البائعات المتجولات البسيطات من نساء الصعيد يجدن الفرنسية والانجليزية باللقانة ، أو على الاقل ، بالقدر ، الذي يسع أسماء معروضاتهن من الثياب والخمر (الطرح) والمناديل وأسعارها والرد على مساومة الزبائن ..

وكذلك الاطفال من البنات والبنين .
وكذلك الشـــيوخ .

وتذكرت بعثة (بنت) التى اوفدتها ملكة مصر حتشبسوت وكيف عاد أفرادها يحملون من الطاف بلاد الصومال ، اللغة أيضا فقد التقطت البعثة المصرية اللغة الصومالية ..

ان للمصريين ولعا باللغات وقدرة فيها ، منذ القدم .

وعند قناطر « اسنا » مرت باخرتنا « ايزيس » من الهويس . وهو فتحة كبيرة فى أقصى اليمين من القناطر .. فتحة بعرض الباخرة فقط وكأنها فصلت عليها تفصيلا . ودخل قائد الباخرة الفتى الاسمر ذى الجلباب الابيض والعمامة البيضاء .. دخل الهويس بنعومة فائقة ، وبقدرة فائقة .. ويتحدث طاقم الباخرة عنه أنه أبرع من دخل الهويس . ويحكون ان ضابطا بحريا أكاديميا أخذ ثلاث ساعات ليدخل بمشقة فى الهويس الذى دخل منه الرجل الخبير فى دقائق وبثقة !!

دخلت الباخرة الهويس واغلق خلفها الباب فغدت بين بابين عريضين .. ثم أخذ رجل فى أعلى القناطر يدير عجلة مثبتة فى القناطر لترفع الباب أمامنا قليلا تحت سطح النهر حتى يرتفع منسوب الماء فى الحوض الذى نقف به وترتفع معه باخرتنا حتى يبلغ الماء تحتها منسوبه فى النهر خلف الباب الأمامى . وحينئذ فتح لها الباب وخرجت من الهويس ..

نحن الآن فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر .. ايزيس تمر ، ونحن جلوس الى مائدة الغداء ، تحت كوبرى ادفو .

وما أن يهل شهر توت حتى يظل الناس ولمدة ثلاثة عشر يوما يفدون على « ادفو » التى تعيش هذه الآونة من السنة عيد اللقاء المقدس .. حيث ينظم المصريون القدماء زيارة سنوية تقوم بها (حتحور) حاجة الى رحاب زوجها فى ادفو ، وقد أصبح أمر الزيارة عيدا رسميا منذ أيام (تحتمس الثالث) أسموه : « اللقاء الطيب » . وكان يحتفلون به احتفالا كبيرا . فيخرج كهان ادفو بتمثال معبودهم (حورس ـ بحدتى) ـ وهو غير حورس بن ايزيس وأوزوريس وان كان المصريون مزجوا بينهما فى كثير من الاحيان ـ ليلقوا زملاءهم من كهان دندرة الذين يحملون تمثال « حتحور » على زوارق النهر . فاذا استقر الجميع فى ادفو ، ظلوا أياما يحتفلون بهذا اللقاء ، يقربون القربان وينشدون الاناشيد لاهين فكهين بالغناء والموسيقى . وكان على كبار الموظفين أن يسهموا فى الاحتفال

بالعيد وأداء طقوسه ومناسكه . وكان على الاغنياء أن يفتحوا بيوتهم للوافدين ويأووهم ويضمخوهم بالطيب ويقدموا اليهم الطعام والهدايا لاسعادهم .. حتى اذا انتهى هذا الحج ، عادوا الى ديارهم راضين موفورين .

ويعود كهان دندرة ، بعد قضاء مناسك الحج ، بتمثال حتحور الى معبدها .

فى مصر القديمة كان حورس رمز الحق والجهاد

وحتحور رمز الجمال والامومة

ورع أى الشمس .. النور

وأوزوريس أى النيل .. والخصب

الدين فى مصر القديمة من خلال الملموسات والمرئيات يتخلل هذا فترة تجريد كان فيها اخناتون يناجى الهه قائلا : (أنت فى قلبى) .. ألم يقل القرآن الكريم ان الله أقرب الى الانسان من حبل الوريد ؟

لقد قصرت الدولة القديمة حق البعث على الملوك ومن هنا التفانى فى بناء الهرم .. لعل الملك الاله فى الوقت نفسه ، يجود بالبعث على البناة من شعبه .. ومن هنا أيضا حزن العامة الشديد عند الموت لان الموت نهاية بلا بعث ..

ثم قامت الثورة على الدولة القديمة .. واكتسب سواد الشعب حق البعث كالملوك هنا ظهرت عبارة (لا تغضب الاله الذى فى داخلك) وهى تقابل فى الاسلام ، الآية الكريمة نفسها (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

لم يعد الاله فى الخارج فقط بل حل فى الداخل .

ان مصر وعاء حضارى صبت فيه أفريقيا وآسيا قديما ثم أوربا حديثا .. ومصر تغترف ما تريد وتترك ما تريد ولكن فى ذاتية متميزة خلاقة .. بصمتها واضحة على كل شىء .

رسالات السماء لم تهبط عليها فأولى بالانبياء والرسالات أقوام فى حاجة اليها ولكن من عرفوا (معات) أى الحق والعدل والمعروف ..ومن عرفوا التوحيد وسبحوا للقوى الاعظم ليسوا فى حاجة الى هداية حاجة غيرهم اليها .

لقد امتدوا

لقد وصلوا واتصلوا ··

وبعد الديانة المصرية القديمـــة جاءت المسيحية وتحــررت من الاقليمية ، وتجردت من الاشياء ·

وجاء الاسلام يردد « الله تعالى » وفى كلمة « تعالى » هذه سمو على الاشياء وعلو على الصفات ··

أرأيت ؟ لم ينقطع التيار الحضارى عن مصر ·· تواكبت على هذه الارض ، القيم والمعانى والاديان ··

□

أقسم الله بالقلم ··
وقدست مصر الكتابة
انها كنانة الله

معبد ادفو

وادفو اسمها المصرى القديم (بجدت) · وفى معبـــد ادفــو « سشات » الهة الكتابة وعلى رأسها نجمة ·· ان الكتابة من السماء ·· والكتابة نور يهدى كالنجم ·· والكتابة مقدسة ·

هكذا تقول مصر بغير حروف ·

وفى معبد ادفو حيث لا توجد فى المعبد بحيرة مقدسة للتطهر ، توجد حجرة للتطهر يصب الماء فيها على الملك ، وحجرة أخــــرى المعطور ·· وفناء حورس والمزاريب فيه ·

كم للعين فى معبد ادفو : آثار الراهب ، وحجرة المركب المقدسة، ومقياس النيل ، والقارورات الزجاجية من المملكة القديمة ·

ان معابد البطالمة تقليد تام كامل لمعابد مصر · الالهـــة كل اله مقاطعة ، يحمل على رأسه رمز المقاطعة · ولكن الإله حابى ، اله النيل له ٤٢ صورة · على كل صورة رمز مقاطعة · وكأن حابى أبو المقاطعات كلها وصاحبها على السواء ·

اما الاله (ست) فقد صوروه على هيئة فرس البحر ورسموا أرجله اثنتين اثنتين حتى يحرموه الحركة الطليقة أليس عدو «اوزوريس» رمز الخصب والخير ..

وفى سقف معبد ادفو فتحات لاستقبال الضوء وتشكيله أيضا .

فى معبد ادفو صخرة من الجرانيت جيء بها من أسوان وشكلت ناووسا ..

فى معبد ادفو ، البهو المفتوح كل عمود يختلف عما يجاوره ويماثل العمود أمامه فى الصف المقابل .

والموسيقيون صف أيضا ..

وقد بنى البطالمة أيضا معبد كوم امبو .. وعلى الرغم من هذا التقرب كله ، قامت الثورات المتصلة ضد البطالمة .

فى معبد ادفو يأخذ الاله سوبك ، اله كوم امبو مكانه على اليمين .. والى اليسار الاله حوريس .

وفى معبد ادفو ، أدوات التحنيط ، والانابيب الزجاجية المدرجة ، والمقص ، والملقاط ، والمشرط ، وسائر الادوات الطبية .

وفى معبد كوم امبو حجرة لموميات الحيوانات . التماسيح فيه تكاد تكون حية .. لقد أعزوا الحيوان ..

الحياة اليومية المصرية مصورة ومسجلة على المعابد تسجيلا كاملا .. بل كل ما يدور بخلدهم حتى أحلام اليقظة .. فمثلا يرسمون الاسد يأكل ذراع العدو أو يرسمون الاسرى .. نصفهم الاعلى فقط حتى لا يبعثوا باعتبار الجسم ناقصا .

من أعلى المعبد النيل والنخيل والمدينة والمعبد منظر يسعد العين حين تطالعه أول مرة .

غادرنا كوم امبو فى طريقنا الى أسوان .. الطبيعة واحد يتعدد .. الاخضر الوان ومدرجات .. الضفتان تتبادلان الزروع والنخيل .. الجبل الرملى على اليمين والجبل الاحمر (الحديد) على اليسار .. الجبلان يحتضنان النيل . ويحوطانه خاصة اذا

خلا الشاطئان أو احدهمـــا الزرع أو قلت كثـــافته أو قصرت قامته ..

القطار على الارض يمرق بسرعة ، ويدخل فى الجبل .. اتوبيس قادم من الاتجاه الآخر .. النيل من كوم امبو الى أسوان يتعرج كثيرا .

ها هى أسوان .. الشاطىء صبغته حمرة الحديد حتى نوائب النخيل حمراء . قمم الجبال وراء النخيل حمراء .. مدينة مشرقة أسوان كأنها بنت الشمس .. النيل فيها غيره فى أى مدينة مصرية .. هنا النيل لم يفرغ بعد من معركته مع الصخور .. جنـــ كثيرة تعترض مجراه .. صخور كبيرة سمراء يكاد يكون بعضها على هيئات آدمية حتى لكأن مجموعاتها فرق الجيش محارب ولكن النيل لا يخشى بأسها حتى مراكبه الصغيرة ذات الشراع تغدو وتروح على مرأى منها .. انها تلهو فى حمايته وتتخطر فى حماه ..

☐

اغا خان

أخذنا الزوارق الى ضريح أغا خان .. انه يقوم على ربوة عالية فى أسوان .. لقد اختار الرجل مدينة الضوء الماسى مشتى له فى الحياة ومثوى بعد الحياة .. نحن نرفل كما يقول المرحوم فريد ابو حديد ، صاعدين فى الربوة .. ما أجمل أسوان من هنا .. لم ير أسوان من لم يرها من فوق الربوة . كما لم ير القاهرة من لم يرها من ربوة سقارة .

من على الربوة .. النيل هنا وجه آخـــر مختلف تمـــاما .. الصخور فى عرض النهر وعلى جانبيه مجموعات كبيرة .. صخور جرانيتية ضخمة كأنهـــا هياكل حيوانات .. ومجموعة كأنهـــا تماثيل رابضة أو منتصبة .. ومجموعة كأنها فرقة من الجنود لابسى الخوذات .. وصخرة ضخمة بارزة فى النهر كأنها أبو الهول غير أن الفنان لم يشكل الرأس بعد ..

النيل فى أسوان يبذل جهدا كبيرا .. انه يمشى مثقلا بالصخور .. وحين يحطها عنه ، يسير مرهقا من فرط ما حمل وبذل .. ولكنه كالعظيم الراسى يخفى تعبه ويتجمل بالهدوء ويتحمل الجهد راضيا لان فيه سعادته وفيه رسالته .

ورست الزوارق على الشاطىء الآخر .. وأخذنا طريقنـــا الى ضريح اغا خان .. طريق صاعد يستدير حلقات .. وكلما أممنا

فى الارتفاع دار من جديد وكأنه بلا نهاية ·· وصعد معنا بيت أغا خان الى منتصف الربوة تقريبا حيث وقف وتركنا نصعد وحدنا ··

وتذكرت صعودنا فى حى مونمارتر فى باريس · وأخيرا وصلنا فجلسنا حوله ننتظر خروج فوج السياح بداخله واذا بأسوان تبدو من أعلى الربوة مدينة اسطورية أو موضوعا ملونا للرسام والشاعر ·· النهر يبدو من أعلى الربوة ، هوى الناس والطبيعة فالجزر الخضراء تتناثر فيه ·· والجبال بألوانها حمراء وبيضاء تدخل فيه وتخرج منه ·· والصخور الرمادية تشكيلات شتى ·· والقوارب الصغيرة كطيور الماء ·· والبيوت والمآذن والقباب يلتمس كل منها اطلالة على النهر العظيم ·· وعلى عالمه الكبير ··

دخلنا الضريح بعد أن طلب الينا أن نخلع نعالنا على الباب ··

قاعة مستطيلة مفروشة بالسجاد الاحمر وقد غطيت بغطاء من قماش أبيض يتلقى عنها موطىء الاقدام ·· وهذه القاعة قامت على أعمدة من الجرانيت ·· يليها الضريح من الرخام الابيض الناصع البياض · وقد علته النقوش وزينت جوانبه بالآيات القرآنية ·· الضريح يبدو وكأنه علبة كبيرة من خان الخليلى صيغت من رخام لا من خشب وأصداف ··

فى الضريح دفتر لقيد الاسماء ·· كتبنا أسماءنا وكتبت هذه العبارة ··

« زيارة تحية لرجل اختار مصر مثوى له وفاء بوفاء ·· » ·

لاغا خان وصية عاطرة ·· فكل الذى يطلبه من الدنيا صاحب الملايين أن تضع زوجته على قبره وردة حمراء كل يوم !

هل هى مجرد وردة ؟ أم رمز ؟ ويرجع هذا اختيارها حمراء ·· هل يريد أن يذكر زوجته بحبهما كى لا تنسى ؟

على كل حال لقد أثبتت الايام أن البيجوم سيدة كريمة وفية ··
لا تزال السيدة تضع عليه وله الوردة الحمراء فاذا سافرت عهدت الى تابع أن يضعها يوميا فى الميعاد ·

تذهب الملايين وأصحابها وتبقى المعانى الكبيرة ·· وما أكثر الذين يعجزون عن فهم هذه المعانى الكبيرة واحتوائها حين تجمعها وتؤديها وردة صغيرة حمراء ·

نزلنا الربوة .. وأخذنا الزوارق الى جزيرة النباتات . وفيها سرنا بين صفين من الاشجار الطويلة من النخيــل المستجلب من كوبا وغيرها .. أشجار نحلية ممشوقة كراقصــات الباليه كما تشبهها ابنتى الصغيرة ..

زهور وطيور وطرقات مرصوفة وخضرة يانعة . كم تســتريح العين الى هذا الجمال الجميل .. ولكن الدليل وهى سمراء مصرية تحسن عملها ، طلبت الينا أن نستقل الزوارق الى حيث ترســو (ايزيس) .

وعدنا الى ايزيس وكانت طيور « أبو قردان » جماعات جماعات عائدة الى أوكارها ، أشجار الشاطىء ، معلقة على سطح الماء .. وكان منظرها من بعيد حين ألقت نفسها على الاشجار بعد اجهاد الطيران كأزهار بيضاء تتوج هام الشجر ..

كان المساء جميلا نديا غنيا بكل مايسعد الاحساس والعين والروح .

ينقص أسوان البوليس السياحى فان عدده فيها ووســائله لا يتناسب مع حجمها السياحى والتاريخى .. لا يتناسب مع قيمتها الحاضرة لا سيما وأن ظاهرة البقشيش بين الاطفال امتدت اليها !! هل هى الحاجة تدفعهم ؟ ربما وهل نسيت اسنا .. هذه المدينة العريقة وصلنا بمعبدها شارع بدائى . لماذا لا يكون الطريق من الباخرة الى المعبد ممهدا مرصوفا نظيفا جديدا قديما فى آن ؟ أى تكون مساكنه وحوانيته على الجانبين حديثة العهد بالبناء مصرية الطابع .. وبدلا من أن يلاحق الباعة المتجولون والاطفال ، السياح ببضاعتهم على أيديهم ، تنظم هذه المعروضات فى الشارع المؤدى الى المعبد بشكل مهذب يحفظ البضائع ويحفظ قبلها كرامة أصحابها وكرامتنا معهم ؟

لقد رأيت فى اسنا مما يعرضه هؤلاء ، مصنوعات يدوية جميلة ودقيقة الصنع كالشيلن المنسوجة على النول ، والقبعات «الكورشيه» ..وغير هذا بأسعار زهيدة ، يقدر السائح الاجنبى كم تكلف فى بلده باعتبارها شغل يد . لماذا لا نشجع هذه الصناعات وننميها ونصدرها ؟ دعاية لنا ، وامتصاصا للبطالة والفقر والفراغ فلا تعد الايدى الصغيرة بحاجة الى طلب البقشيش ؟

لقد أعطت هذه الارض للانسان ما لا يقدر بمال فكيف يستجدى فيها أبناؤها المليمات .

أكبر من هذا كثيرا اسنا ·· وأعظم من هذا أسوان ·· بلد المجد وبلد أبويا العجاد ··

أستاذنا العقاد يدعونه فى أسوان وأنا معهم : أبويا العجاد ·· فى المنيا أيضا نعبر عن الاحترام الكبير بلفظة الابوة ·· وهكذا أجدنى فى أسوان أدعوه أبويا العجاد ، وأدعوه فى القاهرة أستاذنا العقاد ·· انه الاب الاستاذ ·

لقد بدأت محافظة أسوان تصحو بعد عشر سنوات وتبنى الضريح ·· لقد رفعت السماء العقاد وتقاعست الارض فلم يرتفع ضريحه ·· استطاعت السماء أن ترفع العقاد بكل ثقله الفكرى والفنى والادبى ·· وعجزت الارض عن أن ترفع الطوب والاحجار ضريحا ·

وكم بين القارورة والعطر

وكم بين الدن والسلاف

بين الدن والدنى

ولكنى أرى البناء قائما الآن والعمال يجدون فيه ·· رجوت من سائق السيارة السياحية أن يقف بى أو يقف لى أمام الضريح ·· ونزلت وتقدمت اليه وقرأت الفاتحة فاذا بالعمال يأخذون فى قراءة الفاتحة وكانت نظراتهم تقول كلاما كثيرا ·· تريد أن تقص ·· أن تتحدث عن صاحب الضريح ·· لولا أن السيارة السياحية تنتظرنى لطاب لى أن أستمع اليهم ·· أن أستمع عنه ··

وحين وقفنا على شاطىء النيل فى انتظار القوارب لتحملنا الى معبد فيلة سألنى السائق مغتبطا عن سر نزولى واجلالى لرجلهم العقاد ·· وبدأ هو ومن حوله يقصون فى زهو سيرته والتفاف أسوان حوله ، وفترات حضوره اليها ·· ويصمتون قليلا فأتحدث أنا عنه فى القاهرة ··

ويحضر الزورق فتنفض ندوتنا الصغيرة ··

ماذا تقول رسائل الشوق ؟

نحن فى عرض النيل فى طريقنا الى معبد فيلة .. وفى عرض النيل أيضا صخور ضخمة كأسود رابضة تحرس التاريخ .. قمم متراصة من الصخور بينها مجموعة شكلتها الطبيعة بصورة لا تشك لحظة أنها تمثال بوذا .. وفى أمريكا شكل الفنان التشكيلى صخور الجرانيت بجبل رشمور Rusmore من سلسلة الجبال السوداء بولاية داكوتا Dakota وجوها تمثل الرؤساء الاربعة الكبار :

واشنجتن - جيفرسون - تيودور روزفلت - لنكولن - فأصبحت معلما سياحيا وكانت لا تصلح حتى للتسلق .. كانت كما مهملا :

والغريب ان المثال الفنان صاحب الفكرة Gutzon Borglam جطزون بورجلام استوحى الفكرة من تماثيل قدماء المصريين المنحوتة بالكامل فى الجبل على طول شاطىء النيل بل قلدها تقليدا (أنظر كتاب Wonders of the World) لمؤلفه الألمانى Ronald Goock ترجمة Kate Reddick

عندنا الفنانون التشكيليون يشكون الزمان والمكان فهل يأتون الى هنا يشكلون هذه الصخور ليصنعوا منها جبل رشمور ، ثانيا ؟

وصلنا الى معبد فيلة .. معبد ايزيس الهة السحر أم حورس :

فيه حجرة الميلاد وفيه مقياس النيل ..

العين ترى ســور الانقاذ والعمـــال يروحون ويغدون يرفعون الأحجــار ..

تجرى فى المعبد عملية شــفط الماء .. وعلى طرف آخر من الجزيرة عمال آخرون يسوون المكان لاستقبال معبد فيلة .. معبد ايزيس ..

الخزان القديم لم يبق من فتحاته فوق الماء الا أقواس صغيرة يخرج منها الماء .. ثم سور فوقها من البناء القديم .. انه يبدو الآن وكأنه كوبرى ..

السد العالى

الطريق اليه شريط ناعم ضيق صاعد فى الجبال على الجانبين جبال حمراء من كنوز الحديد :

فى طريقنا اليه مسلة صغيرة يبدو أنها تعبت من الوقوف فنامت .. مسلة ينسبها البعض الى حتشبسوت وينسبها البعض الى رمسيس الثانى .. هى يكفيها أنها مصرية .. هذه أكبر ..

بعد أن وقفنا بالمسلة فى سلام طائف عدنا الى السيارة وبعد دقائق من سيرها هتف الدليل اغمضوا أعينكم .. وفتحناها ثانية بناء على دعوته أيضا فاذا بالمكان صخور أحجاما وألوانا وأشكالا شتى .. أترانا على سطح القمر ؟

يرافقنا أيضا فى رحلتنا دليل آخر .. انها سمراء مصرية فارعة اسمها عهود وتحفظ العهود وليس هذا من باب الانشاء .. انهـا حقا تحب التاريخ وتحفظ عهوده كتلميذة نجيبة .

نحن الآن أمام السد . شلالات الماء فى اندفاعها تشف وتخف حتى كأنها شلالات من نور أو بخار أبيض ناصع .

وراء السد ، البحيرة .. والبحيرة موضوع سياحى لولا بعوضة الجامبيا التى تعيش فيها الآن يملى لها ركود الماء فى البحيرة فاذا دبت الحياة فوقها بالسكنى وجدت الناموسة غذاءها فى دم الانسان وهنا الخطر الاكبر حيث يمكن أن يموت الملايين بملاريا الجامبيا الذى تنتشر عدواه من انسان الى انسان .

لهذا يجب أن نفكر فى وسيلة عملية تحرك الماء فى البحيرة وتحرك الطمى الذى يترسب فيها ويخرج بعدها الماء خاليـا من الطمى أى من الخصب .

عدنا وأفكارنا الى ايزيس الباخرة .. متعة الرحلة لا يساويها هم البحيرة واذا بنا نرى على الشاطىء المقابل كوخا أحسب أنه خال من الهم .. وهل يعرف صاحبه البسيط شيئا عن بعوضة الجامبيـا ؟

أقول كوخا ؟ انه فى الحقيقة صخرة ضخمة يعيش فى جوفهـا رجل كأنه من أهل الكهف .. الصخرة العجوز مثل صاحبها تعابثها المويجات الطفلة فلا تعبأ بشقاوتها بل لعلها سعيدة بها من أجل العظيم الخالد الذى يملك الشاطئين .. وصاحب الكوخ يملك قاربا صغيرا يرسو كالصخرة على الشاطىء .. حين يستأجره الناس ، يمضى صاحبه بهم .. ثم يعود فيسنده الى الشاطىء ويستند معه .. وهكذا اليوم كله ..

كوخ على النيل وقارب فى مثل هذا الموقع من المدينة العالميـة (أسوان) غنى كبير .. ان الرجل البسيط أغنى من رجل يملك

قصرا وسيارة فى مكان آخر ٠٠ ان القرب المجرد من النيل نعمة وثراء كبير ٠٠

ليس الكوخ وحده ٠٠ وراءه حزمة من بيوت صغيرة متواضعة تتملى النيل فى أمان وفرحة ٠٠ عن يمينها ويسارها غابة من النخيل ووراءه جبل أصفر ٠٠ آه لو تدرك نفاسة موقعها هذه البيوت المحظوظة على تواضعها ، لعرفت أن ترابه يزن مثقاله ذهبا ٠٠

نحن ، ننتظر الغروب ٠٠ السماء فيها غمام خفيف مغشى بالنسمة ٠٠ السحاب والشمس من ورائه يشكل منظرا عجبا ٠٠ كأن طاووسا نشر جناحيه ٠٠ والجناحان فى صفاء الازرق غير أن أطراف الريش مفضضة فى بريق النور الذى ينهل من الشمس الغاربة ٠٠ قرص الشمس يمثل رأس الطاووس الجميل ٠

بعد قليل بدأت ألوان الشفق الاحمر والاصفر بمدرجاتهما يتباريان فى الانعكاس على الافق الرحيب ٠٠ الجبل والنخيل والنيل تشهد المباراة فى سعادة غامرة لان النور من كل لون يزيد جمالها تألقا ٠

الباخرة أوزوريس قادمة من الشمال أى من الاقصر الى أسوان ــ المسائل نسبية ــ حيث تتأهب لرحلة العودة ٠٠

أطلقت الباخرة أوزوريس من بورى صوتا خاصا ٠ فتهللت (ايزيس) وأطلقت من بورى ساريتها ، أصواتا جميلة للتحية ٠٠ كأن الباخرتين بينهما من الحنان ما كان بين ايزيس وأوزوريس فى الماضى ٠٠

سعادتى مضاعفة بهذه الرحلة من سعادة أولادى بها ٠٠ لقد أردت لهم أن يشاهدوا الآثار ويتربوا فى عزها ٠٠ فى عز مصر ٠٠ وقد نجحت أو نجحت الرحلة ٠٠

أدركوا جيدا بالصورة والتشكيل كيف ارتقى وطنهم بوجدان الانسان من الغثاثة الى أفق المعنى دون احتقار للجسد أو احتكار للمادة ٠

لمسوا موهبة وطنهم فى العمارة ٠٠ التى شرح افكاره بها واودعها أسراره وفلسفته ٠٠ رأوا بأعينهم مصر أمهم تترجم بالتشكيل عن أعماق الانسان فى ذرى قلما يترجم عنها الكلام ٠ فالاسلوب ليس الالفاظ ولكنه نمط فريد وعزيز من الادراك ٠

أدرك أولادى أن تاريخهم شىء آخر غير ما لقنوه فى المدرسة ٠٠
أعادوا قراءة تاريخهم من خلال الاعمال والدلالات ٠

لمسوا ادراك الحضارة المصرية نعمة الاسرة فى مثلها الاعلى :
بيت وأم وأب وابن ٠

ايزيس ـ أوزوريس ـ حورس

موت ـ آمون ـ خنسو

عرفت مصر الاسرة بمعناها الخاص

وعرفت مصر الاسرة بمعناها الاشمل والاكبر

فقد رأى صغارى فى المعبد المصرى ، « حورس » يشترك مع
سيت قاتل أبيه فى رفع رمز الوحدة !!

أمام مصر الاعداء والاصدقاء أسرة ٠٠ وهى وحدها الأم والأب ٠

ان الاسرة بمفهومها المصرى العريق بؤرة حضارية يتشرب المرء
فيها شعورا قويما ومقوما ٠٠ رحيما ومنعما ٠

فى الاسرة المصرية التى مثلتها المعابد لمسنا جميعا الوعى الحى
الساهر والعزم اليقظان ٠٠ وعى ووعاء يتحول فى عصور الافول
الى محافظة وجمود ورتابة ٠

لقد ترك أولادى الاهرامات فى الجيزة ليروها فى الاقصر وأسوان
مسلات شامخة ٠٠ وهل المسلة الا هرم مرفوع على قاعدة عالية
تلملم أطرافها لترتفع الى السماء ؟

رأى صغارى « أوزوريس » يقبض بيد على السوط ، وباليد
الاخرى على رمز العقل أى القوة والحكمة ٠٠ واذ رأوا تعلموا ٠

رأى أولادى النفس المصرية قد وضعت القلب فى كفة ٠ وفى الكفة
الاخرى علامة الحق معات ورمزها ريشة ٠٠ وسألوا فى حيرة
لا تخفى وكثيرا ما تصلنى الاسئلة بهم اكثر ٠٠ ان تركيز مصر
على القلب ووزنه بالريشة اشارة الى رؤية مصر للقلب انه بالصفاء
والشفافية يوزن ويقدر لا اللحم والدم ٠٠ الا يذكرنا هذا بالحديث
الشريف : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى
قلوبكم وأعمالكم) ٠

وبالآية الكريمة (الا من أتى الله بقلب سليم) لا بناء الجوامع والصدقة رئاء الناس ورياء السلطان ·

نعم القلب يوزن بالريشة فى مصر ··

فليس الدين فرعا من التجارة بل لابد للمتدين أن ينضو عنه اسمال النفس ، البالية ·

رأى أولادى (نفرتيتى) و (نفرتارى) و (موت) فى زهو الجمال ، فاذا الجمال فى الرأس المرفوع فى استقامة وترفع وورع واحتشـــام ··

الشعر يترى كالغيث فى رأس ابيدوس ، أو يتتابع موجـات فى رأس المرمر ·

حس الزينة والاناقة دون الخضوع لها ·

يعرفون من الاسلام الآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ويرون من الفن المصرى احتفاله بالزينة تحلو بها الحياة وتبسم ، وتتنعم بها الصرامة وتترقرق · ان الفن المصرى صـــارم الخط ورائع اللطف معـا ·

والتربية الحقيقية هى اكساب الاولاد عادات فكرية ·

ان ما رأوه مقولات ومقالات تشكيلية تحمل رســائل شوق من الماضى الى الحاضر ·· وقد قرأ أولادى وتعلموا ·· الكثير فى هذه الرحلة وسمعوا الكثير ايضا · سمعوا سائحة فرنسية تقول : (كيف طاوعنا قلبنا حتى ننقل آثار مصر الى متحف اللوفر ؟ انها أجمل وأنفس فى أرضها ··) ·

وسائحة بلجيكية همست فى عمق : المستقبل لهذه الارض حين يزحف الأفول الى أوربا ·· كم حدثونا عن اسرائيل ·· الآن عرفت مصر ·

وقالت سائحة بلجيكية أخرى : « يقابلنا فى مصر كثيرون فقراء ولكن الفقراء الذين نقابلهم فى الشارع ، والاغنياء الذين نقابلهم فى الفنادق أو البواخر ·· الكل طبيعتهم سهلة ضاحكة ودود ·· لقد زرت روسيا فلم يكلمنى أحد ·· لا اذكر انى سمعت ضحكات ·· حتى الالوان التى يلبسها الناس قاتمة ··

وبالآية الكريمة (الا من أتى الله بقلب سليم) لا بناء الجوامع والصدقة رثاء الناس ورياء السلطان .

نعم القلب يوزن بالريشة فى مصر ..

فليس الدين فرعا من التجارة بل لابد للمتدين أن يتضو عنه اسمال النفس ، البالية .

رأى أولادى (نفرتيتى) و (نفرتارى) و (موت) فى زهو الجمال ، فاذا الجمال فى الرأس المرفوع فى استقامة وترفع وورع واحتشام ..

الشعر يترى كالفيث فى رأس ابيدوس ، أو يتتابع موجات فى رأس المرمر .

حس الزينة والاناقة دون الخضوع لها .

يعرفون من الاسلام الآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ويرون من الفن المصرى احتفاله بالزينة تحلو بها الحياة وتبسم ، وتنعم بها الصرامة وتترقرق . ان الفن المصرى صارم الخط ورائع اللطف معا .

والتربية الحقيقية هى اكساب الاولاد عادات فكرية .

ان ما رأوه مقولات ومقالات تشكيلية تحمل رسائل شوق من الماضى الى الحاضر .. وقد قرأ أولادى وتعلموا .. الكثير فى هذه الرحلة وسمعوا الكثير أيضا . سمعوا سائحة فرنسية تقول : (كيف طاوعنا قلبنا حتى ننقل آثار مصر الى متحف اللوفر ؟ انها أجمل وأنفس فى أرضها ..) .

وسائحة بلجيكية همست فى عمق : المستقبل لهذه الارض حين يزحف الأفول الى أوربا .. كم حدثونا عن اسرائيل .. الآن عرفت مصر .

وقالت سائحة بلجيكية أخرى : « يقابلنا فى مصر كثيرون فقراء ولكن الفقراء الذين نقابلهم فى الشارع ، والاغنياء الذين نقابلهم فى الفنادق أو البواخر .. الكل طبيعتهم سهلة ضاحكة ودود .. لقد زرت روسيا فلم يكلمنى أحد .. لا أذكر أنى سمعت ضحكات .. حتى الالوان التى يلبسها الناس قاتمة ..

ان الطيبة وصفاء النفس رزق أيضا وخير كثير ..

ان المصرى الذى يظفر بهذه الرحلة فى حاجة الى عزلة هادئة ليستعيدها ويعيد ترتيبها فى نفسه .. فى شعوره .. وتصير جزءا من نسيجه ليثرى .

☐

كنت على الباخرة ايزيس مع الناس أى السائحين الاجانب ولكنى فى رحلتى من أسوان الى المعبد العظيم (أبو سمبل) كنت على الباخرة (الدكة) وحدى مع النيل . فقد كان الفوج السياحى القادم من الغرب ليستقل الباخرة معى من أسوان الى المعبد لم يصل القاهرة بعد . وأبرقت الوزارة الى مركز الآثار بأسوان أن تتحرك الباخرة فى موعدها المحدد ..

أسبوع وحدى على صفحة النهر أصحو فافتح عينى عليه وأنام على موعد معه فى الصباح . كانت حجرتى بالباخرة (الدكة) كبيرة تملك الرؤية من الجانبين وكأنها والنهر فى مستوى واحد .. ففى الصباح تطل على النوافذ مويجاته الصابحة كأطفال مدللة تداعب اما عاشقة أو أطل عليها أنا بعيون جذلانة تقول فى صمت « صباح النيل » .. صباح الخير كله والنعمة والحياة حياتنا مصريين على طول التاريخ .

انك لا تستطيع أن ترى وجه مصر خالصا صافيا منورا الا من على الهضبة ، أو على النيل .. هناك تتبدى لك مصر لا تشبع العين من سناها .. هناك تتجلى لك مصر بامتداداتها التى تستغرق البصر والحس والفؤاد جميعا ..

من أعلى الهضبة أو من على النيل تشعر فجأة أنك أغنى انسان فى الدنيا .. تشعر أنك تملك هذا الوادى الاخضر والرمال الذهبية والسماء المتهللة المتلألئة .. تملك النيل ..

بل ان شعورك بالملكية أقوى من عقد التمليك .. ان الوادى بنهره وخيره وطيره وسمائه ونوره وحلاه ، أنت نفسك أن المصرى جسما وروحا وشعورا وسلوكا وأسلوب حياة انما صيغ من هذا الوادى .. انه عطاء مصر .. منها خرج .. منها مادة وتراثا كما يخرج الطفل من بطن أمه فيه من دمها وصفاتها وسماتها .

وما أسعدنى مصرية رأت وجه مصر من القدسين معا .. رأيته من أعلى الهضبة ورأيته على صفحة النيل .. رأيته وتمليته ونهلت

منه أسبوعين كاملين على النهر اعيش معه فى النهار واسهر معه فى الليل وأنام فيكون آخر وجه تمليته واصحو فيكون اول وجه رايته .. وعلى الرؤية والنهل والتملى ، رجعت وبى ظمأ الـ يخيل الى انه لا يمتوى . وفى قلبى من حبها شوق يؤجج شعلة الروح ..

لقد قام الكثيرون برحلات على النيل ولكنى الاحظ أن المصريين منهم عاشوها فحسب ولكن الاجانب سجلوها . حقــا ان أساتذة الجغرافيا عندنا أفاضوا فى الكتابة عن النيل ولكنها الكتابة العلمية المقننة التى تحجز فيض النفس الفنانة .. ومن اجل هذا تحيا كتابتهم بين طلابهم وأهل الاختصاص .

ولست أزعم ، ولا أستطيع ، أن رحلتى هذه جامعة .. انها مجرد رحلة ، للعلم منها الحقائق الواقعية ، وللانسان منها ما يفيضه هذا النهر من مشاعر وانطباعات . ان قيمتها فى (مصريتها) فهى رحلة مصرية تبين عن مشاعر المصرى نحو النيل وتعكس صورته فى عينه .

هذا النيل شد اليه عبر القرون والبلاد كثيرا من الانظار والرحلات والاقلام والفنون ما بين مفتون بكشف مجاهله أو تصوير معالمه أو كتابة تاريخه ، أو قصته مع الطبيعة والانسان . ومن هؤلاء عــلى سبيل المثال لا الحصر ويلككس W. Willcocks وهيرست H.E. Hurst وألان مورهيد Alan Moorehead فى كتابيه (النيل الابيض) و (النيل الازرق) ، ولودفج Emil Ludwig والكسندر مـــوريه Alexandre Moret وشـــيلو Q. Chélu وفرناند لبرت Pernard Leprette واليان فنبرت Elian Y. Finbert وشارل بلانك Charles Palanque
هذا غير كتب الرحلات مثل (النيل يمر ببلادى) للكاتبة بلانكاييرا فييرا وغير الفصول التى عقدت على (النيل) فى كتب الانهـــار وغير الكتب الفنية التى نقلت عن النهر الفنان ما أبدعه .. من لوحـــات ورؤى . وأنا هنـــا ألمح كتـــاب The Nile تأليف اليوت اليزيفون Eliot Elisofon المصور العالمى الذى حاضــر فى الفن والتصوير فى المتاحف والكليات فى جميــع أنحاء العالم ، والعضو بكلية علوم الحفائر والاجناس بجامعــة هارفارد ومن هنا تتمثل قيمة كتابه الذى يضم ٢٠ صـــورة ملونة و ١٨٤ لوحة مصورة ، فى قدرة كاميرته الخارقة على تعمق المنظر ونشره على عيوننا فى حساسية لا حد لها . فقد صـــور المؤلف

المنابع وتدفقات المياه من زواياها المختلفة ثم تدور الكاميرا القادرة فى جلوث السودان وتمضى مع النيل الابيض وتصعد فى السودان والنوبة العليا ثم تدخل النوبة السفلى أى النوبة المصرية حتى اذا بلغت أسوان كانت قد سجلت الصورة رقم ١٤٦ وهى لجزيرة فيلة٠ ثم تنتشر الكاميرا فى (الوادى الاخضر) لتسجل آثار كوم امبو وادفو وطيبة والدير البحرى ودندره وابيدوس وأبو تيج وبنى حسن والفيوم ودهشور وممفيس والجيزة حيث تشمخ الاهرامات الثلاثة وأبو الهول ٠ ثم صور القاهرة الاسلامية والحديثة وقطاعات مختلفة من الوجه البحرى حتى اذا وصلت الاسكندرية جمعت الصورة الاخيرة ، الثغر الجميل ، فى منظر يلفه الليل ويغمره ضوء القمر التقط المنظر للاسكندرية من البحر فى الجزء الشرقى من المدينة عند كامب شيزار ٠

وهكذا يقطع الاجانب آلاف الاميال ، والايام ، ليصوروا النيل أو يكتبوا عنه ما لم نتكلف مثله نحن أبناء النيل الذى يجرى النيل فى عروقنا دما ويسرى فى قلوبنا هوى وهو فى حاضرنا وماضينا شريان الحياة المصرية الاكبر ومجلاها ٠

ان قصتى مع النيل أو رحلتى على النيل من أسوان الى معبد (أبو سنبل) وما حول المعبد ، لها حديث طويل ٠

◇◇*◇*◇*◇

من مؤلفات الكاتبة

١ ـ النيل فى الادب المصرى

٢ ـ شخصية مصر

٣ ـ فى بلادى الجميلة

٤ ـ اعيدوا كتابة التاريخ

٥ ـ قمم ادبية

٦ ـ ادب المازنى

٧ ـ الجمال والحرية والشخصية الانسانية فى أدب العقاد

٨ ـ احمد رامى (قصة شاعر واغنية)

٩ ـ خصائص الشعر الحديث

١٠ ـ شعب وشاعر (ابو القاسم الشابى)

١١ ـ رسائل الى ولدى (ترجمة)

عدد خاص من كتاب اليوم

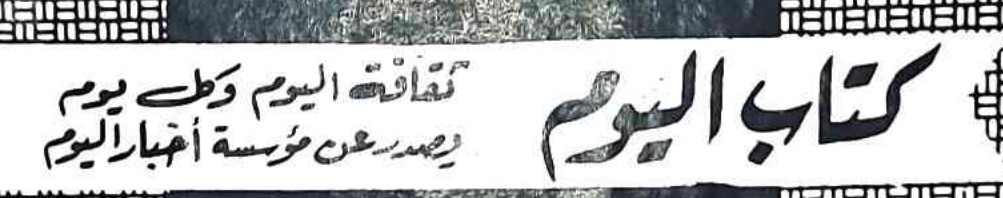
فى ١٥ أغسطس الحالى

قصة حب عصرية من واقع الحياة

لحظـــة طيش

للقصاص المعروف

حسن محسب



رئيس مجلس الإدارة :

موسى صبرى

رئيس التحرير :

أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :

حسين فريد

العدد ١١٣

أول أغسطس ١٩٧٦

شعبان ١٣٩٦

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٩٧٧٧٧٧ سبعة خطوط

الاشتراكات

البريد العادى

المجموعة الأولى ١,٥٠٠ مليم جنيه ج.م.ع واتحاد البريد العربى والأفريقى

المجموعة الثانية ٢,٣٠٠ باقى دول العالم ..

البريد الجوى

المجموعة الأولى ٢,٣٠٠ مليم جنيه اتحاد البريد العربى والأفريقى

المجموعة الثانية ٥,٣٠٠ باقى دول العالم ..

ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ (م) شارع الصحافة بالقاهرة ت ٩٧٧٧٧٧ / ٩٧٧٨٦٠

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ١٩٧٦/٤٠٢٥

الترقيم الدولي ٤ ـ ٢٨ ـ ٧٠٤١ ـ ٩٧٧ ISBN

طبعة عام ١٩٧٦

مطابع الاخبار



هــذا الكتاب

هذه الرحلة تطوف الشرق والغرب تجوب أوربا وتذرع مصر من الشمال الى الجنوب بقلب مشوق وعين وضاءة الرؤية تصل الماضي بالحاضر وتنفذ الى المستقبل بعقل مفتوح وأمل طموح .

والكاتبة فى هذه الرحلة تحلق فى الآفاق وتغوص فى الأعماق فى عملية استشفاف ومقارنة بين الحضارات والشعوب والبلاد تجمع بين :

- العلم والأدب
- الموضوعية وجمال الاسلوب
- الكشف والوصف
- المعاصرة والتراث

وهى عند المعالم الرئيسية والبلاد تقدم بين يديها صفحة مركزة جامعة فيها المعلومات والأرقام محققة وموثقة فى منهج علمي يزيده نصوعا وسطوعا على الأدب وروح الأديب .